دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العـدد الاول ـ السنة العاشرة ـ رجب 1386 ـ نوفمبـر 1966

فى هـذا العـدد :

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الأول
السنة العاشرة
رجب : 1386
نوفمبر : 1966
ثمن العدد
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حسـاب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

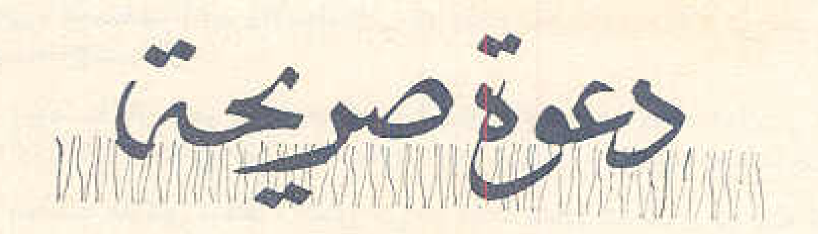
او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد



احتجبت المجلـة عن قرائها فى عطلة معتادة ، دامت شهرين متواليين ، لتعـود اليوم وفية بعهدها مستوفية لالتزامها ، مستأنفة جهادها ونضالها ، ومواصلة سيرها ونهجها ، دائبة العمل للنهوض بالرسالة السامية التي اضطلعت باعبائها ، وتعهدت بحمل ثقلها ومسئوليتها ، وهي اقوى ما تكون ثبات عقيدة ، ورسوخ ارادة ، وصـدق عزيمة ، وقوة راي ، ولتضيف الى سنواتها الحافلة باطيب ثمرات الفكر ، وألـوان المعرفة ، واشكال الثقافة ، اعمالا اخرى ، علها تخرج بنا من مظاهر الركود الفكـري الذي تعانيه الحياة العلمية والادبية والثقافية فى مجاليها ببلادنا ، وتحقق مانصبو اليه من تطور وتقدم مستمر سواء فى عرض الافكار والمفاهيم التي تعالج مشاكل الشباب، او فى نشر البحوث والدراسات التي تقوم ما اعوج من اخلاق ، وانتشر من انحـلال والحاد ، وترشد الحائر ، وتوجه المتشكك المرتاب الوجهة التي يامر بها الدين القويم .

ولعلنـا نستقبل هذه السنة الجديدة بقلوب مومنة ، وعقـول متفتحة لحياة نامية متحركة تزخر بالحيوية الدافقة والنشاط الموفور فى ظلال بعث اسلامي ينيـر السبيل ، ويضيء المجتمع ، ويبرز القيم الروحية فى أصدق صورها ، والمباديء الدينية فى اجلى مظاهرها ، ويحيي العقيدة النقية الصافية التي تحمي مقدسات الوجـود الانسانـي الكـريـم .

ونامل كذلك ان نستقبل سنتنا الجديدة بوجه مشرق باسم ، وقلوب مؤتلفة موحدة ، ورأي جميع للقيام باعمال مشتركة فى سبيل تدعيم هذه النهضة المغربيـة التي أسست على هدى من أول يوم ، بعد مقاومة الدخيل ، وطرد البغي ، وتجـديد ما تهدم ، وتثبيت أسس العقيدة الصحيحة فى اطارها الاسلامي السليم .

اننا نامل من قادة الفكر والنظر ، وحملة العلم فى هذه الامة ، ورجـال الفقـه فيها ، ان يقدروا الاعمال التي نيطت بهم ، وكلفهم الله بتبليغهـا ، فيبينـوا للنـاس ما نزل اليهم ، ويتحملوا مسؤولياتهم للعمل على ملء الفراغ الروحي والفكري الـذي نحس بـه ، ونالم لـه ، ويتحللوا من التقصير الثابت الذي لاسبيل الى التنصـل

منـه ، لانقاذ شبابنا من حيرته ، وانتشاله من مشكلاته ، فقد جرفهم تيار التمـدن الكاذب الى مواطن نات بهم عن مبادئ الدين وحدوده ، واغـرى بريقهـا الزائف ابصارهم ، فصرفهم عن النواحي الجدية التي تستلزم نشاطهم ، وتفجير طاقاتهـم وزاد هذه المشاكل اضطراب القيم والمثل العليا بمعاني الحضارة في هذا العصر الذي يكاد يتفق فيه المفكرون على انه يعاني داء ممضا ، وازمة مستعصية .

ولعـل السبب في ذلك يعود الى مناهج التعليم في بعض بلادنا الاسلامية التي جعلت في الوطن الواحد فريقين بعيدين عن بعضهما .

فريق يتبع مواريثه العقلية الروحية الاسلامية الصرف ، ويسير على سنـن المبادئ الدينية الصحيحة ، وفريق ابعد عن ذلك ، يتلقى نصحـه وتوجيهه من الغرب اللاديني ، فاستخف بالقيم والامجاد التي عند الفريـق الاول ، وانكـر اعتبـارها في حيـاة الانسـان .

ومهمـا يكن الامر ، فان تشخيص اسباب الداء الذي يعانيه العالـم اليوم عموما ، والعالم الاسلامي خصوصا ، وآراء المفكرين في طريق علاجه مختلفة جدا .

فمذهب ماركس ، مثلا ، ينبني على ان افات العالم ناشئـة عن بيئة الانسان الاجتماعية والاقتصادية ، وانه اذا ما تغيرت هذه البيئة امحت تلك الافات .

كما ان هناك مذهبا آخر مضادا لوجهة نظر الاول ، يفسر غفـوة الضمائـر ، وقسوة العواطف الى ان المشكلة الرئيسية التي يتعين مواجهتها ليست اقتصاديـة او اجتماعية بل هي مشكلة اخلاقية وسيكولوجية ، ذلك بان التقدم الفني يقـوض المجتمعات التقليدية في سرعة جنونية ، وخطوات عملاقية ، حتى لقد اصبح القلـق والتذمر من كـل الاوضاع شعـارا للعصر الحاضر ، ومن المؤيدين لهـذا المذهب والقائليـن بـه « الدوس هكسلي » .

والحق ، ان مفتاح علاجنا ـ نحن المسلمين ـ بايدينا ، وفي مبادئ تعاليمنـا الدينيـة ، وشريعتنـا القويمـة .

فديننا الحنيف دين ينبض بالحياة ، يلائم الظروف والبيآت ، لانه خالد بمثلـه قوي بمبادئه عظيم بامجاده يشتمل على عنصر حي من عناصر الحياة ، هو عنصـر المرونـة البصيرة ، الذي يوحيه ناموس التطور ، وتمليه سنة الحياة ، والذي لايكون بدونه تطور او اصلاح ، وتقـدم وفـلاح .

واخيرا ، وليس آخرا ، نامل في سنتنا الجديدة ان تقـوم الهيآت والمنظمـات العلمية والادبية والفنية سواء على الصعيد الرسمي او الشعبـي بتنظيم الوسائـل والاسباب التي تكفل النهوض الثقافي والفني في مختلف المجالات ، ومتنوع الميادين وتبرز القيم الروحية منها والفكرية حتى تساعد تلك القيم حاضر الثقافة اليوم التي تاخذ من الماضي ، وتقتبس نورها واشعاعها من القديم الثري ، بما يرفد القريحـة ، ويمد الطبع ، غير ناسية في ذلك ما يتطلبه الحاضر الملح ، وما تنشده الثقافات اليوم للمستقبل الواعد ، من بعث وانطلاق ، في نطاق الفكر الناضـج ، والنقـد الصريـح ، والحكـم الموفـق ، والرأي السديـد .

دعوة الحق

عقيدة الاسلام والمجتمع المغربي

للأستاذ محمد الطنجي

ان الامة المغربية كسائر الامم النامية فى العصر الحاضر تتطلع الى الحياة الكريمة الا انها تمتاز عن البعض برصيد روحي هام يجعلها سباقة فى ميدان العزة والكرامة تضيف طريف ما تكتسبه فى الحال الى تالد ما خلفه لها ماضي الاجيال ، ذلك الرصيد هو العقيدة والشريعة الاسلامية والاخلاق القرآنية التي عاشت فى ظلها طوال تاريخها الاسلامي المجيد .

وان تأثير العقائد فى حياة الامم والتقاليد الطيب فى المجتمع ليلعب كل ذلك دورا عظيما فى توجيهها وفى رقيها او انحطاطها ، وكل مغربي منصف وكل مؤرخ غير متحيز يعلم علم اليقين بان اجتماع المغاربة حول دين الاسلام العظيم هو الذي دفعهم لتكوين دولهم المتعاقبة على الحكم فى المغرب على امتن الاسس واقواها التي هي عناصر الخلود والحياة الفاضلة فى مبادىء الاسلام كعقيدة وشريعة وسلوك فاضل فقد استطاعت تلك الدول المغربية الاسلامية بتمسكها بهذا الدين العظيم الحفاظ على كيان المغرب وحماية حوزته وتكوين وحدته ، بل استطاعت زيادة على ذلك فتح الاندلس وحماية الاسلام فيه عدة قرون واستطاعت الامتداد فى تخوم الصحراء والسودان بل استطاعت احيانا جمع شمل المغرب الكبير تحت سلطة اسلامية موحدة واسترجاع ما كان بأيدي روم صقلية منهم فى ادوار من تاريخ المغرب الحفيل وهنا يمكن ان نردد قول الامام مالك رحمه الله لا يصلح اخر هذه الامة الا بما صلح به اولها .

وان من يرى أويشاهد آثار التيارات الفكرية والمذاهب الاشتراكية المتطرفة والشيوعية والراسمالية مع الشعارات التي يعلن عنها مختلف المذاهب ثم يرى الويلات التي تنتاب الامم الضعيفة من تنازع القوى الدولية المتحكمة فى العالم على امتداد نفوذها فى الامم الصغرى ، نقول من يشاهد آثار هذه التيارات مع الانقلابات التي تتبع هذه النزعات ليود من صميم قلبه ان تبقى امته بمعزل عنها وعلى الحياد التام بينها حتى تضمن لنفسها الاستقرار وحتى لا تحترق بشظايا من نيران هذه الانقلابات التي تحرق الاخضر واليابس وحسبنا اتقاء هذه الفتنة واجتناب الركون اليها عملا بنهي الذكر الحكيم « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » فالسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه .

هذا وقد فكر اسلاف المغاربة الامجاد تفكيرا جديا فى عواقب الاختلافات العقائدية على حياة المجتمع المغربي الاسلامي الطاهر فبذلوا جهودا مشكورة فى تطهير المغرب من الاختلافات العقائدية سواء داخل الاطار الاسلامي كوضع حد لنشاط الخوارج من الصفرية والشيعية وغيرهما او كان هذا الاختلاف خارج الاطار الاسلامي كالبرغواطية التي كافحها المرابطون وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين العظيم وكذلك ضيقت الدولة الموحدية الخناق على اليهود الذين اسلموا فتوحد المغرب عقيدة وشريعة وعظم شأن هذه الامة بهذه الوحدة الشاملة حتى تكون ذلك التاريخ العلمي والسياسي والحضاري الذين لا زالت آثاره مشهودة فوحدة العقيدة الاسلامية الطاهرة هي التي جمعت قلوب المغاربة على الاهداف العليا وقوت العزائم على ادراك اعز المفاخر والمكارم ، بين الذين يومنون بالجزاء الاخروي على خير الاعمال التي قاموا بها فى المجال الدنيوي ولذلك كان الفوز والنصر دائما حليف المومنين الصابرين الصادقين فى ايمانهم وما تاريخ الفتوحات الاسلامية شرقا وغربا وما تمكين السيادة للمسلمين عند قوة عقيدتهم ويقينهم بنصر الله لهم الا شواهد صدق على عظمة تأثير العقيدة وربطها بأوثق الروابط بين الامة التي آمنت بها ويظهر فضل الايمان فى المعارك بين المومنين وغير المومنين اذا تساوت الوسائل المادية الاخرى فيكون النصر حليف اهل الايمان، ولذلك يومن القواد العسكريون بالنصر

عندما تكون معنويات جيوشهم مرتفعة وهي لا ترتفع الا بالايمان بالفوز والنصر والمسلمون يومنون بان النصر من الله وباذنه ، ولذلك يخاطب الله المجاهدين المومنين بقوله « ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون » من كرامة الاستشهاد في ميدان الشرف وحسن الذكر في الدنيا ومن حياة الشهداء عند الله في الجزاء الاخروي ، ولذلك كان الايمان هو الذي يؤلف بين قلوب الامة ولا تؤلف بينها الترضية بواسطة الاموال ، وهذا ما يؤيده الفيلسوف الاجتماعي ابن خلدون الذي استخلص ذلك من الحوادث والانقلابات التي عاشها بنفسه في القرن الثامن الهجري ، فان مقدمة تاريخه الشهيرة فصل في ان « الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين . »

اما من نبوة او دعوة حق وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والتغلب انما يكون بالعصبية ، واتفاق الاهواء على المطالبة ، وجمع القلوب وتاليفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه ، قال تعالى « لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم » وسره ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف ، واذا انصرفت الى الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها ، فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة » انتهى كلامه .

وكما تحصل القوة في نصرة الحق وتاليف الدول بالعقيدة كذلك تحصل القوة وتجتمع الكلمة للامة في الدفاع عن المبادىء العقائدية ولو حصل هذا في وقت خمود الفكرة الدينية في الظاهر .

والامثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الامم في المشرق والمغرب ولا باس بالتعرض لبعض ما يعرفه المغاربة من تاريخهم لان ذلك اوقع في نفوسهم :

1 — تاريخ المولى ادريس واجتماع المغاربة حوله حصل بواسطة كونه من البيت النبوي الذي يكن له المسلمون انواع التقديس حتى انهم بايعوا المولى ادريس الازهر ولده وهو صبي في حجر مولاه وخادم ابيه .

2 — قيام الزعيم الديني المربي السيد عبد الله بن ياسين رحمة الله عليه بتاسيس دولة المرابطين على اساس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعقيدة السلفية حتى امكنها بقوة ايمانها ان تنقذ بلاد الاندلس من ايدي المغيرين عليها واقامة حياة اسلامية فيها جديدة امتدت اربعة قرون اخرى.

3 — قيام الدولة الموحدية العظيمة بواسطة زعامة ابن تومرت وتلميذه عبد المومن بن علي فكان لها من الشان العظيم وامتداد السلطان ما يعرفه كل من له المام بالتاريخ الاسلامي في هذا المغرب .

4 — ما كان من الدولة السعدية من الوقوف في وجه الدول الاوربية المغيرة على المغرب بزعامة البرتغال ، فقام السعديون بجمع كلمة المغاربة دفاعا عن الاسلام ومصيره في المغرب حتى حصل النصر العظيم لهم عند وقعة وادي المخازن الشهيرة بناحية القصر الكبير ، فلم تقم لدولة البرتغال بعدها قائمة.

5 — ما وقع في عصرنا الحاضر عندما حاولت فرنسا فصل سكان الاطلس الشامخ عن دينهم وعقيدتهم في 16 ماي سنة 1930 حيث استصدر لوسيان سان الظهير البربري المعروف ، فتحركت قوى الايمان الكامنة في قلوب المغاربة الاوفياء لدينهم فكان ذلك مبدا تعميم الحركة الوطنية التي قاومت الاستعمار حتى نهايته في هذه الديار .

ولا زالت الحركة الوطنية في هذه الحقبة من التاريخ بين كر وفر ومد وجزر مع الاستعمار ولكنها في زيادة مستمرة حتى سولت للاستعمار نفسه التعدي على امام المسلمين الشرعي في المغرب مولانا محمد الخامس قدس الله روحه ، هو واسرته المالكة ، فثار المغاربة ثورتهم العارمة على الاستعمار واذنابه ولم يقبلوا الشخص الذي نصبته فرنسا بقوتها الغاشمة اماما للمسلمين ، فقاطعوا حتى صلاة الجمعة في المساجد لا رغبة عن الصلاة الواجبة ولكن لغاية اخرى ، هي ان حضورهم لسماع الدعوة الصالحة لشخص لم تعقد له الامامة الشرعية عن طواعية من الشعب لم تجوزه لهم عقيدتهم التي تامرهم بطاعة الامام الشرعي والدفاع عن حقوقه التي تجب المحافظة عليها .

وهذا ما يعطينا صورة واضحة من الوقائع التاريخية الاسلامية عن اثر العقيدة الاسلامية في نفوس المغاربة . وهو ما يجعل كل مخلص لوطنه يرى وحدة العقيدة ضمانة للاستقرار وجمع كلمة الامة وتقوية معنوياتها في جميع المجالات ومن الاخلاص للاسلام والوطن والامام الشرعي في هذه الديار ان يقف المسلمون المغاربة في وجه الدعوات الهدامة المناوئة للاسلام تبشيرية او بهائية او شيوعية او غير ذلك حتى يضمنوا سلامة الوطن وعقيدة اهله الذي بها ازدهر المغرب في تاريخه العظيم .

الرباط — محمد الطنجي

لقاء مع الفكر الإسلامي

للأستاذ عبد القادر زمامة

— 1 —

عند ما نلتقي مع التفكير الاسلامي المعاصر في قضايا الفلسفة والاجتماع . والخلق والاقتصاد والسياسة تجد انفسنا امام الوان من التصميمات والتخطيطات من جهة ... وامام الوان من المفاهيم من جهة اخرى ... وكل هاته الالوان تقدم الينا على انها تفكير اسلامي ... يستوحي مبادئه من تعاليم الاسلام .. ويستوحى تخطيطه وتصميمه من المثل والاهداف القرءانية ..

وليس بالامكان ان نلمس بسهولة ويسر حقيقة الفكر الاسلامي من خلال — التفكير — الاسلامي المعاصر .. وذلك يرجع لسبب بسيط جدا وهو اننا حينما ندرس التفكير الاسلامي عند الاشعري في المعتقدات وعند الغزالي في الذوقيات .. وعند ابن القيم وابن تيمية في السلفيات .. وعند ائمة المذاهب في الفقهيات .. وعند غيرهم في سائر ضروب المعرفة .. نكون في شبه طمانينة الى اننا في لقاء مع — تفكير — اسلامي في اصوله وفروعه ومبادئه وغاياته .

وبقطع النظر عما يقال حقا او باطلا من ان هذا — التفكير — نفسه يحمل عناصر ورواسب جادت من شرق الدنيا وغربها .. عن طريق الامتزاج الثقافي والديني .. وعن طرق اخرى يجتهد — الشعوبيون — المعاصرون في البحث عنها .. فان هذا لا يغير في شيء من حقيقة نظرتنا وطمانينتنا الى ان الفكر الاسلامي الحقيقي عند اولئك المفكرين كان وسيلة .. ومادة .. وغاية .. فهو وسيلة من حيث المبدأ .. ومادة من حيث الدراسة .. وغاية من حيث الايمان .

— 2 —

فاين الوسيلة ؟ واين المادة ؟ واين الغاية ؟ في التفكير الاسلامي المعاصر .. او بادق تعبير .. في هذه الالوان المختلفة التي تقدم الينا في تصميمات ومفاهيم على انها — تفكير — اسلامي .

فنحن نعلم من روح الاسلام .. ونعلم من هديه وسائل اساسية لتطهير النفس .. وتهذيب الروح .. وتثقيف العقل .. وربط القلوب والافكار بروابط متينة في مقدمتها التصافي .. والتاخي .. والتماسك .. وكل ما ياتي بعد هذه الوسائل يكون ثمرة ناضجة .. وبناء متينا .. وصورة حية لتخطيط هادف .. ومفهوم واضح .. وتفكير شامل .. وسير مستقيم .. لا يجافي الطبيعة .. ولا يتنكر للفطرة .. ولا ينحرف عن الغريزة المهذبة .. والمطامح والاشواق المعقولة ..

فعند ما نقول ان الفكر الاسلامي يجب ان يكون — وسيلة — فاننا نعني ونومن بما نقول .. فبناء خلية اجتماعية .. في اسرة .. او جمعية او جماعة .. او مدينة او مجتمع .. لا يمكن ولن يمكن الا بالوسيلة الاسلامية التي تفرض السلامة .. والصفاء .. المكتين اللذين قامت التجربة على امكانهما بما لا يترك مجالا للزعم بأنهما امران خياليان .. بعيدان عن الواقع الانساني .. والطبيعة البشرية .. فحيث لا سلامة في النية .. ولا صفاء في الضمير .. وحيث لا وسيلة مشروعة .. فان الفكر

الاسلامي يكون بعيدا عن كل عمل يراد انجازه في مختلف الميادين .. فالدرس الاول .. واللبنة الاولى في الفكر الاسلامي سواء في الماديات او المعنويات .. في الفرديات او الاجتماعيات .. هما ولا شك اتخاذ وسيلة سليمة قويمة .. واي تعطيل او انحراف او تنكر لا يعطي الا ثمارا شوكية .. ونتائج معكوسة .. وصورا مشوهة .. لا تمت الى الفكر الاسلامي الا بصلة واحدة .. وهي صلة : الحروف .. ! والكلمات .. ! والاسماء .. ! والالقاب .. ! وما الى ذلك ..

والمفكرون الاسلاميون الحقيقيون لم يجافوا الصواب .. ولم ينحرفوا عن الروح التشريعية القويمة حينما قالوا :

« ان الوسائل تعطي حكم المقاصد »

وبالتعمق في دراسة الوسائل المختلفة التي نتوسل بها الى تحقيق اهدافنا في الحياة ندرك ان الفكر الاسلامي كان هو السباق الى هذا التماسك العملي بين الوسائل والغايات .. والى هذا الانسجام بين الرغبات الحيوانية والاشواق الروحية .. لانه فكر يبدأ بالوسيلة لتكون سليمة صافية مستقيمة ..

وسواء علينا في هذا الميدان أكانت الوسيلة قريبة ام بعيدة لان الفكر الاسلامي لا يعرف ما تلوكه الالسنة من امثال :

« الغاية تبرر الواسطة » .. فكل عمل اقتصادي او اجتماعي او سياسي من وجهة الفكر الاسلامي يجب ان يتحقق بوسيلة سليمة مشروعة .. والضمانة المعهودة المعروفة هي :

«انما الاعمال بالنيات .. وانما لكل امرىء ما نوى»

— 3 —

اما مادة الفكر الاسلامي ونعني بها المجال الواسع الذي تفتحه النصوص امام المشرع والمفكر والباحث والمتعبد .. فهي اولا وبالذات مادة مصوغة مبنية على اعتبار ان الاسلام نظام انساني عام يوجه الانسان ويقوده لادراك الكمال الممكن فرديا .. واجتماعيا .. وروحيا .. وعقليا .. وماديا .. وهذه النصوص هي قانون الفرد .. ودستور الدولة .. ونظام المجتمع .. واعمق ما فيها انها تجعل كل تكييف يتكيف به عمل الفرد لصالح نفسه او لصالح غيره بالوسيلة السليمة المشروعة .. تجعله عبادة يراد بها وجه الله .. ويثاب فاعلها لانها قربة تقرب بها .. وطاعة قام بها .. وفريضة اداها ..

فالفكر الاسلامي من هذه الناحية واسع الافاق والابعاد لصالح الفرد باعتباره الوحدة الاساسية لبناء المجتمع .. ولصالح المجتمع .. باعتباره مجموعة الافراد .. ولصالح العالم .. باعتباره الميدان الذي تنعكس على صعيده اعمال الانسان في محاسنها ومباذلها وصلاحها وفسادها وفجورها وتقواها ..

والفكر الاسلامي من ناحية اخرى منطقي مع نفسه ومع الناس .. فهو منطقي مع نفسه .. لانه نصب اولا وسيلة نقية سليمة لكل عمل فردي او جماعي .. وجعل ازاء هذه الوسيلة مادة تشريعية متنوعة شاملة مرنة واسعة الابعاد عميقة المدلول ..

وهو منطقي مع الناس لانه فيما يرجع للعبادات الفردية او على ادق تعبير فيما يرجع للاشياء التي اصطلحنا على تسميتها باسم « العبادات » (وقد علمنا ان كل عمل للانسان يقوم به بوسيلته الشرعية هو عبادة ..) قد جاء بنصوص محكمة المدلول والمفهوم .. تفصلها بما يجعلها قربة اختارها الله لعباده .. ليتحقق بها مدلول الطاعة والامتثال للخالق جل علاه .. وفيما يرجع للاشياء الاخرى جاءنا بمباديء عامة وقوانين اساسية تجب مراعاتها .. اما ما يحدث في عمر الانسانية الطويل من احداث ونوازل وما يجد في العالم المتحرك رقيا وانحطاطا .. وتقدما وتاخرا .. وحربا وسلما .. فذلك مجال « التفكير الاسلامي » ومجال « الاجتهاد » ومجال « العقل » الذي كان الانسان بسببه مستعدا لتحمل « الامانة » دون غيره من مخلوقات الله

واذا كان التفكير الاسلامي المعاصر قد وقف امام قضايا اجتماعية .. وعمرانية .. وسياسية .. وفكرية .. قلبت الاوضاع .. وزعزعت العقائد .. وزلزلت التقاليد .. وتنكرت للاخلاق .. فان الفكر الاسلامي في العصور الغابرة وقف امام اشباه هذه القضايا في ظروف وملابسات وازمات .. والفرق بين الموقفين هو الفرق

بين من يقف على صخرة ثابتة الاساس .. وبين من يقف على رمال في مهب الرياح .. فالاول مختار في تصرفاته وخطواته .. والثاني يترنح ويتمايل تحت رحمة العاصفة .. !

على اننا يجب ان نعترف – في اعجاب – بطائفة من المفكرين الاسلاميين المعاصرين الذين انار الله عقولهم بالعلم .. وطهر قلوبهم بالاخلاص .. وملأ ارواحهم بالايمان .. وثبت خطواتهم بالصبر .. فلم ينصاعوا لمغريات الاسماء الخداعة .. ولم يقفوا مندوهين امام مسايرة الالحاد المقلد .. ! والجهل المنافق .. ! والتفكير العابث .. ! والضلال البليد .. !

ومن اجل هذا يجب ان نتمسك بالمعرفة العميقة للمادة التشريعية والخلقية التي لم يكن لها مثيل في تاريخ الجنس البشري بما في ذلك المذاهب المعاصرة بقضها وقضيضها .. !

فالمادة التشريعية في التفكير الاسلامي .. تعززها الوسائل النبيلة المستقيمة كمبدأ .. وتعززها الاخلاق الفاضلة كاسلوب .. واخيرا يعززها الايمان كغاية انسانية .. لا تتم انسانية الانسان بل ولا تتحقق بدونه .

فمن اليسير السهل ان يستورد الانسان بضاعة او اثاثا او لباسا .. لكن استيراد « التفكير » و « العقيدة » و « المبدأ » لا يتم « بسهولة ويسر » الا لمن لا تفكير له .. ولا عقيدة .. ولا مبدا .. وتلك مأساة الفراغ التي تعانيها الرؤوس الفارغة .. ! من المعرفة العميقة .

– 4 –

اما الغاية في الفكر الاسلامي فهي الايمان .. ! وسواء اراد الماديون ام كرهوا فان الغاية من كل تفكير ومن كل عمل هي الايمان بالله بارىء الكائنات .. ولهذا كان الفكر الاسلامي وسيلة .. ومادة .. وغاية .. وكلها تدور في فلك واحد لتحقيق الرسالة الانسانية والامانة البشرية في حياة تنوعت الوانها .. واختلفت مظاهرها .. واتسعت آفاقها .. وتباينت اغراضها .. ولكنها – محدودة – رغم ذلك بسبب ان مبداها واحد ! ومصيرها واحد ! وخالقها واحد !

فاذا تنكر الانسان لهذه الغاية في تفكيره .. وما اكثر ما يتنكر .. ! فاي غاية يختار .. ؟ واي غاية جديرة بالاعتبار .. ؟ وهنا ترتفع الاصوات باسماء ! والقاب ! وشعارات .. ! تزعم ان الانسان مدعو الى استهدافها في اعماله وتصرفاته وتفكيره .. وقد اتاح الزمان لجميع هذه الاصوات فرصا ومناسبات فجربت حظها في الالحاد ! والكفر ! والمادية ! والعبث ! والتقليد ! وحاولت جاهدة ان تستهدف كل شيء .. ما عدا الايمان .. ! ولكن ذلك لم يزدها الا اقتناعا بانها تبني على رمال .. ! وترقم على ماء .. ! وترسم في فضاء .. ! وتقدم كل يوم وقودا جديدا .. حيث لا ينفع وقود .. وتقوم كل يوم بتجربة حيث لا تفيد تجربة ..

ولو جربت – الايمان – وجعلته هدفا ومثلا اعلى تسعى للوصول اليه لعلمت انها تختصر المسافة .. وتطوي الابعاد وتحقق الاشواق .. وتنال السعادة

– 5 –

على ان الفكر الاسلامي لا يجعل التسليم الجاهل .. ! والتقليد الاعمى .. ! ضمن وسائله .. وكتابه الكريم يقول:

« هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين »

ورسوله الامين يقول :

«الحكمة ضالة المومن فحيث وجدها فهو احق بها»

وائمة المذاهب والعقائد يقولون :

« المعرفة شرط الايمان »

فالعقل حكم .. والعقل اداة .. في الفكر الاسلامي. وليس القصد فيه منصرفا الى تكوين انسان مدرب على فعل الخير .. والاتصاف بالفضيلة والتحرك اليا نحو غايات معينة في العمران والكسب .. ! ولكن قصده منصرف الى تكوين انسان يفهم .. ويعلم .. ويفكر .. ويتصرف بارادة حرة .. بل ان نصوص الكتاب العزيز تحث الانسان على استعمال نعمة العقل في التفكير والبحث للوصول الى الحق

– 6 –

والى جانب هذا .. ومع هذا .. وقع الفكر الاسلامي القديم ايام ازدهار المذاهب الفكرية في المعتقدات ولا

سيما في القرون الخمسة الاولى . في مشكلة الجبـــر والاختيار .. وذلك لان من طبيعة كل فكر ان يقع فيها .
ولا يعزب عن ذهننا ان في القرآن الكريم ايات تمسك بها طائفـة من المسلمين على انها دليل قاطـع يصـور الانسان المجبر امام ارادة الله جل وعلا .

وبقطع النظر عن المحركات التي كانت تحـرك الدعوة الى « الجبر » .. ! من اجل اهداف بعيدة عن الفكر الاسلامي الصحيح .

وبقطع النظر عن التفسيرات والتاويلات التي كانت لازمة للخروج من المشكل .. ! والتغلب على «تناقض» مزعـــــوم .

فان الفكر الاسلامي ظل الى جانب حرية الارادة في الانسان . والى جانب سيادة العقل .. !

وبهذه الروح شيد المسلمـون معالـم الحضـارة والثقافة والنظام السياسي والاجتماعي . وبهـذه الروح نصبوا مقاييس الخلق والفضيلة .. ولو كانوا جبريين لبلغت الدنيا في ايام معدودات كل اخبارهم واثارهم ..

— 7 —

ولعل الشكل اليوم لم يبـق لـه ظـل الا في ذهن الذين يبحثون عن الثغرات ليستدلوا بها استدلالا معكوسا .. ونحن في لقائنا مع الفكر الاسلامـي نحيل طالـب الحقيقة على كتاب الله ليدرسه باعتباره المادة الاساسية يفسر بعضها بعضا لانها كل لا يتجزأ . وكل فـراغ يحدثه الجهل بحقيقة الفكر الاسلامي في حياتنا المادية او الروحية او العقلية فان الضلال يملأه بما شـاء من اسماء ما انزل الله بها من سلطان .

فــاس : عبد القادر زمامة

— صراحـة لاذعــة —

هاجم احـد النقاد كاتبا معروفا ، فشكاه الكاتب الى صديقـه قائـلا له : هـل رأيـت كيـف هاجمنـي فــلان ؟

فأجابـه الصديـق مواسيـا : لاتكـترث بـه ، انـه ليس الا ببغاء يـردد مـا يقولـه النـاس ! ! !



للأستاذ محمد عبد الملك الكتاني

نشرت صفحات هذه المجلة الغراء فى العددين التاسع والعاشر من السنة العاشرة موضوعا حول مسالة النسخ فى القرآن للاستاذ احمد التيجاني ، وقد كانت طريقة الكاتب فى تناول الموضوع ووجهة نظره فيه مما يدعو الى تناوله من جديد للرد على بعض المسائل التي عنت لي ، ولاستيفاء بعض الحق الذي يجب له .

ان ظاهرة التغير والتطور الانسانيين ظاهرة حتمية لم يشذ عنها مجتمع من المجتمعات البشرية . والشرائع النقلية والوضعية انما تجيء فى نسقها التطوري لتؤكد هذه الحقيقة الاجتماعية والتاريخية ، والا كان المجتمع اي مجتمع مستغنيا عن كل الرسل والدعوات الاصلاحية ، والتنظيمات المستحدثة بما يكون لديه من تقاليد وعادات موروثة متداولة . واذا كان تطور الشرائع والاحكام الوضعية امرا ظاهرا للناس بحكم الممارسة والتجربة والواقع المشهود فان تطور الشرائع السماوية فى اعتقاد الناس او عامتهم امر مستحيل ما دام مصدرها الوحي والرسل ، وهي اشياء موقوتة بزمانها ، فضلا عن كونها لا تقبل النقض امام هذا الذي يتطور ، والذي لا يتطور فيما يتصل باحكام تنظيم المعاش الانساني تصاغ فى اذهان المضللين شبهة زائفة تنعي على الدين عموما جموده وقصوره عن مجاراة التطور البشري الحتمي . وأول ما يجب ان نؤكده ان صياغة المقولة على هذا النحو فيه تضليل بعيد . فالشرائع السماوية نفسها ليست نظاما جامدا لايقبل التطور ، بل اذهب الى ابعد من ذلك فاقول ، انه ليس هناك الا دين واحد على مر العصور هو الدين الذي عرفه الرسل على اختلاف ازمانهم واقدارهم ومجتمعاتهم . وان هذا الدين الواحد كان يحمل من ورائه تنظيمات مختلفة ، وقد ظلت هذه التنظيمات بسبيل من التطور على مر العصور . وهذا ما يعرف بالشرائع . قال الشيخ مصطفى عبد الرزاق : « جاء الاسلام يقرر ان الدين الحق واحد، هو وحي الله الى جميع انبيائه وهو عبارة عن الاصول التي لاتتبدل بالنسخ ، ولا يختلف فيها الرسل ، وهي هدي ابدا . اما الشرائع العملية فهي متفاوتة بين الانبياء ، وفى القرآن : « مايقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ، ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم . » وفى القرآن ايضا : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .. » (1)

وقال الامام الزمخشري فى تفسير قوله تعالى: « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . » المراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده ، واصول

1) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية للشيخ مصطفى عبد الرزاق ص 114

الدين دون الشرائع فانها مختلفة . وهي هدي ما لم تنسخ . فاذا نسخت لم تبق هديا ، بخلاف اصول الدين فانها هدي ابدا . » (2)

اما الاسلام فيجمع بين الدين والشريعة ، فالدين كله في كتابه الكريم ، ولم يكل الناس الى عقولهم في شيء منه . واما الشريعة فقد استوفى اصولها ، ثم ترك للنظر الاجتهادي تفصيلها . اما الآية الكريمة « اليوم اكملت لكم دينكم » فيقول الامام الشاطبي عنها في كتابه « الاعتصام » : « فلم يبق للدين قاعدة يحتاج اليها في الضروريات والحاجيات الا وقد بينت غاية البيان ، نعم يبقى تنزيل الجزئيات على تلك الكليات موكولا الى نظر المجتهد ... فالجزئيات لا نهاية لها ، ولا تنحصر بمرسوم . والمراد بالكمال ما يحتاج اليه من القواعد الكلية التي يجري عليها مالانهاية له من النوازل » (3)

وقد قصدت بايراد هذه الاقوال بل تأكيد هذه الحقائق ، اثبات بعض معطياتها الاساسية ، وهي:

1 – كون الشرائع الالهية نفسها تتطور بتطور احوال الناس .

2 – كون الاسلام كدين سماوي وشريعة سماوية حمل في نظامه الجوهر الذي لايتغير كالاصول والمبادىء الاعتقادية ، كما حمل معه التنظيمات التي تتطور طبقا للكليات والقواعد الاساسية .

3 – كون الاسلام وهو آخر الاديان اعلن بهذا الاسلوب الصريح في كتابه السماوي ، وفي سنة نبيه العظيم رشد العقل البشري ، وقدرته على الاعتماد على نفسه في تنظيم امور المعاش ، وذلك بسن قاعدة الاجتهاد ، والا لما كان معنى لاختتام النبوة بنبوته عليه السلام ، واختتام الرسالات برسالته . فالانسان المسلم بعد الاسلام ليس بحاجة الى الجديد دائما من المبادىء والاسس التي يرسي عليها حياته ، وانما هو محتاج الى هذا الاسلام الذي يشده الى الكون ويشده الى اله الكون ، والى مصيره ، والى الانسانية بوشائج دونها الفلسفات ، كما يحثه على مسايرة التطور ، والاجتهاد في استنباط الجزئيات من تلك الكليات .

ما علاقة كل هذا بالنسخ في القرآن ؟

علاقته أن القول بالنسخ قد يثير في بعض الاذهان نوعا من الريبة في قيمة الدين الاسلامي من حيث كونه انطوى على بعض التناقضات – كما قد يدعي ذلك مدع – وانه اضطر ان يعدل من مبادئه كل ما كشف التطور والواقع عن شيء من ذلك ، وكل ذلك بالتالي مدعاة للشك في قيمته ومصدره . والواقع ان هذه احدى الشبهات الكبرى التي ينفخ في ضرامها المغرضون من المستشرقين ، والطاعنين على الاسلام ، وبعض الناشئة المسلمة التي لم يهيأ لها الاطلاع على حقيقة الامر ، بل هي شبهة قديمة اثارها من قبل هؤلاء واولئك طائفة من الناس مسلمين وغير مسلمين ، في الاسلام وفي غير الاسلام من الاديان السماوية .

ودحضا لهذه الشبهة نجيب بان الاسلام كدين سماوي نسخ بشريعته كل الشرائع التي جاءت قبله، وذلك مماشاة للتطور الانساني ، واتماما لمكارم الاخلاق، وان هذه الشريعة السمحاء حملت في مبادئها الاساسية قابلية التعديل والتغيير وفق الاصلح دائما كي لايكون الناس في حاجة بعده الى شريعة جديدة . ولانه كنظام ارتبط بالواقع البشري يجب أن يماشي طبيعة الانسان ، وقانون تعلمه وتربيته ، وهو قانون التدرج. نعم يجب ان يرتبط كل تعديل او تغيير دائما بالكليات التي لاتقبل التعديل . فالعلماء المسلمون اجمعوا على أن النسخ هو « دفع حكم شرعي بدليل شرعي » ، ومؤداه أن النسخ لايكون الا في الاحكام . أما العبادات وأمهات الاخلاق ومدلولات الاخبار المحضة فلا نسخ فيها . (4)

ان التعريف السابق يقتضي :

1 – كون النسخ يختص بالاحكام دون العبادات وأمهات الاصول والاخلاق والاخبار .

2 – كون الحكم الناسخ يأتي بعد الحكم المنسوخ بتراخي الزمان ، لانه لامعنى لناسخ ومنسوخ متواقتين .

3 – كون مصدر الناسخ والمنسوخ واحد .

4 – أن يكون بين الحكمين تعارض حقيقي .

---

2) الكشاف للامام الزمخشري تفسير سورة الانعام
3) الاعتصام للشاطبي ج 3 / 197 – 98
4) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج 2 \ 71

بهذه المقتضيات كان النسخ ذا وظيفة فعالة في النظام التشريعي الاسلامي يتفاعل مع مصالح الفرد ويوجهه ويستحثه نحو الافضل الاصلح باستمرار ، واذا لم يكن هذا هو السر فيه ، فماذا يكون وراء نزول القرآن نفسه منجما خلال ثلاث وعشرين سنة من فائدة . ولهذا قامت الشبهة ايضا ضد هذا السر الالهي العظيم « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة » . ويأتي الجواب الالهي « كذلك ، لنثبت به فؤادك » .

وكذلك يجب ان يكون دستور البشرية متفاعلا مع الاحداث ، ناميا مع الانسان متدرجا به نحو الاسمى والاصلح ، تثبيتا لفؤاد النبي العظيم ، وللتاريخ ، وللامة التي تدين به في التاريخ .

هذا رأينا في النسخ وحكمته نعلنه انتصارا لجمهور علماء الاسلام . اما ما يقع بين يدي الباحث بعد ذلك من اختلاف هؤلاء العلماء في آية أو أخرى أو حكم او آخر ، وبالتالي بين مفرطين ومفرطين ، مغالين ومعتدلين فلنا فيه رأي آخر .

ومن الطبيعي أن يكون مفهوم النسخ بالمعنى الاصولي المشار اليه آنفا مفهوما متأخرا عن المعنى اللغوي الذي كان يتبادر للاذهان في الصدر الاول من عصر الاسلام . فلقد كان المسلمون الاولون يخبرون به عن جملة من المعاني كتخصيص العام وتقييد المطلق وقد أورد الشاطبي في الموافقات بضعا وعشرين قضية نسخ رويت عن الصحابة والتابعين ، ليستدل بها على أن مدلول النسخ عند الصحابة كان أوسع منه عند الاصوليين (5) . هذا الاتساع في المفهوم للكلمة من ناحية ، والمدلول الاصولي لها من ناحية ثانية أوقع المتأخرين في خلط احيانا ، وهذا ما وقع لبعض العلماء الذين قالوا بأنه لا وجود للنسخ ، وانما هناك تخصيص الاحكام كما فعل ابو مسلم الاصفهاني « م322هـ » . فقد انكر هذا العالم النسخ ، وفند كل دعاوي النسخ محتجا بقوله تعالى : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد » وقد ساق الاستاذ التيجاني رأي هذا العالم وكأنه ـ رغم انفراده به ـ في وزن رأي الجمهور من علماء المسلمين القائلين بالنسخ ، او كأنه رأي غير مدحوض ، والواقع غير ذلك ، ومن اراد بيان ذلك فليرجع اليه في مظانه (6) .

وهناك من خبط خبط عشواء ، فادخل صورا من تخصيص العام في الناسخ والمنسوخ كالذي حدث لابي جعفر النحاس « م 338 هـ » الذي تحدث الاستاذ المحترم عن كتابه « الناسخ والمنسوخ » ومثله في ذلك هبة الله بن سلامة « م410 هـ » . فهذا صنف من العلماء تزيدوا في امثلة الناسخ والمنسوخ لما اشتبهت عليهم من مسائله . ومن أسباب ذلك :

- ظنهم بأن تخصيص العام او تقييد المطلق هو من الناسخ والمنسوخ .
- توهمهم ابطال الاسلام لبعض عادات واحكام الجاهلية نسخا .
- توهمهم التعارض بين امرين حيث لا تعارض كالذي حدث لابن النحاس في الآية « ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله »

فهذه آية محكمة ، تفيد استغراق ملك الله للكون وشموله ، فالآفاق لله ، « فاينما تولوا فثم وجه الله » وله تعالى ان يوجه عباده طبقا لذلك مشرقا ومغربا اما الآية التي تحدد وجهة القبلة « فول وجهك شطر المسجد الحرام » فهي آية محكمة ايضا . وهي منطوية معنى في الاولى . فامر الله بتعيين جهة من جهات الافق لاينافي وان يكون الكون لله مشرقا ومغربا ، بدليل نزول الاولى بعد حدوث التحويل ، ولا يعقل ان يتقدم الناسخ على المنسوخ .

وكذلك ما اورده ابن النحاس في آية الصيام « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » فلا وجه لكون الآية « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » لانه لاتعارض بين الآيتين من حيث كون المشابهة المستفادة من الآية الاولى لا تقتضي المشابهة من كل وجه ، وانما تنص على المماثلة في الحكم بوجوب الصيام .

وقد ابان الاستاذ التيجاني طرفا من قصور نظر ابن النحاس في الكلام على الناسخ والمنسوخ بالمعنى الاصطلاحي الاصولي . ولكن الذي نؤاخذه عليه ان

5) النسخ في القرآن للدكتور مصطفى زيد ج 1 / 72 . والموافقات للشاطبي ج 3 / 65
6) مناهل العرفان في علوم القرآن ج 2 / 103

يجعل من قصور النظر هذا عند هذا الرجل وامثاله سببا فى اتهام جمهرة العلماء بالتوسع فى القول بالناسخ والمنسوخ مما اوحى اليه بنوع من المشابهة بين علمائنا وارباب الكنيسة وغيرهم من الذين جاروا على كتبهم المقدسة . ولقد كتب مقاله « لتتبعن سنن من قبلكم » فى العدد 8 من السنة 9 / صفر / 1386 . فهل معنى ذلك ان الكاتب يميل الى القول بعدم وجود الناسخ والمنسوخ ام يميل فقط الى القول به مع تضييق نطاقه او حصره فيما تواتر الخبر على ثبوته منه . فان كانت الاولى فسيكون فى حرج امام النصوص القاطعة والاخبار المتواترة وان كانت الثانية فنحن على وفاق معه ، لاننا وجدنا أن النسخ اصبح عند البعض بابا عريضا يتسرب منه على ديننا وكتابنا وأحكامنا اختلاف عظيم .

ومن المعلوم ان النسخ مشكلة واجهت علماء الاديان السماوية السابقة كما واجهت علماء الاسلام من بعد ، فمنهم من انكر وجود النسخ عقلا وسمعا . ومنهم من جوزه عقلا وانكره سمعا ، ومنهم من اجازه بدليلهما معا . وقد اثبت الجمهور الاكبر من علماء الاسلام وجوده بما لم يعد مجالا للمناقشة او الاخذ والرد (7) .

اما القرآن فيشير مرارا الى هذه الاحكام التي ينزلها فى وقت ثم يرفعها او ينسخها حسب مشيئته ولحكمة خافية عن عقولنا ، قال تعالى : « واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر، بل أكثرهم لايعلمون » وقوله تعالى : « يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب . » وقال تعالى: « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها »

اما سائر الشبهات الموضوعة على ألسنة المنكرين للنسخ فلها ردودها الخاصة فصلها العلماء فى بابها .(8) واما أبو مسلم بن بحر الذي انكر النسخ البتة كما اشار الى ذلك الاستاذ التيجاني ، فلعله لم ينكره وفق المعنى الذي نسميه نسخا أو هكذا تأول له التاج السبكي حين قال : « ان أبا مسلم لا ينكر وقوع النسخ بالمعنى الذي نسميه نسخا ، ولكنه يتحاشى ان يسميه باسمه ، ويسميه تخصيصا .

تبقى الآية الكريمة « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها أو مثلها . » وقد وضع الكاتب القائلين بالنسخ موضعا يلزمهم بالجواب عن المقصود بالمثلية فى هذه الآية لانهم وحدهم المطالبون بالاثبات للنسخ داخل الشريعة الاسلامية .

والظاهر ان الاستاذ التيجاني ذهب الى حمل لفظ الآية فى هذه الآية الكريمة على معنى آية القرآن، وبذلك استطاع ان يتاول المعنى بكون القرآن نسخ شريعة موسى وهذا ما يقتضيه السياق فى نظره . ولكن ما معنى العطف على فعل الشرط وهو (ننسخ) بفعل آخر وهو (ننسها) ؟ الا يقتضي المقام هنا كلا نوعي النسخ ؛ النسخ مع بقاء اللفظ اي نسخ الحكم دون نسخ التلاوة ، والنسخ حكما وتلاوة ، وهو المحو من الذاكرة وهذا تفسير اكثر المتكلمين (9) ، وهو التفسير الذي تهدي اليه الآية « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » والقرآن يفسر بعضه بعضا . وها هو الطبري يخرج فى تفسيره بصدد هذه الآية الاخيرة حديثا ينتهي بسنده الى ابن عباس مفاده كون المحو والا ثبات هنا متعلقين بالقرآن (10) .

لقد مضى الاستاذ التيجاني يفسر الآية على ضوء سياقها ، وهو اسلوب نحمده منه ، لانه وحده يهدي الى فهم القرآن جهد الامكان ، وحسب المرء ان يقرأ الآية فى سياقها ونظمها الفني ليحتمل ما افترضه الكاتب . ولكن هذا الاحتمال ، وبالاسلوب الذي عبر عنه يمثل القرآن وكانه اشفاقا من غضب اليهود وثورتهم على ظهور الاسلام اخذ يطمئنهم ويخاطبهم بكون نسخ الشرائع سنة مطردة . يقول الكاتب في معرض يؤكد هذا الاتجاه « هذه الرواية تتفق تمام الاتفاق مع النفسية المسيطرة على اليهود فى مستهل بعثة النبي العربي ؛ كبر عليهم كما قلت أن تخرج النبوة من ايديهم وهم شعب الله المختار كما يزعمون وتنتقل الى امة بدوية يغمرها الجهل والوثنية خصوصا والنبي الذي على راسها جاء بكتاب يلوح عليه طابع التفوق والهيمنة على ما قبله من الكتب ... والتوراة من جملة هذه الكتب لاسيما وقد لاحت فى افق هذه الهيمنة بوادر التبديل والتغيير اعني النسخ فانزل من

---

7) النسخ فى القرآن ج 1 / 221
8) مناهل العرفان ج 2 / 93 — 131
9) التفسير الكبير للفخر الرازي ج 3 / 256
10) تفسير الطبري

رحمته وسعت كل شيء ما لعله يطفيء غيظ قلوبهم قوله تقدس اسمه « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها أو مثلها » (11)

ونحن نأبى أن نجاري الكاتب في هذا الفهم لكونه بعيد عن الواقع التاريخي ، وعن اسلوب القرآن في مخاطبة اهل الكتاب . فانه وان كان يجادلهم بالتي هي أحسن فانه لايحاول طمانتهم أو ملاينتهم ، ولاسيما حين يكون سياق الآية كما هو الشان هنا صريحا محذرا للمسلمين . بل ناخذ بالتفسير الذي ساقه الدكتور مصطفى زيد قال : « انه يعني (اي سياق الآية) ان أعداء الاسلام من المشركين واهل الكتاب لما عجزوا عن منع الوحي من النزول على محمد ـ راحوا يشككون في كون القرآن من عند الله ، والذي يوحي به اسلوب الآية انهم قداستغلوا فيهذا التشكيك ظاهرة النسخ لبعض آيات الاحكام ببعضها الآخر ، فمضوا يقولون : ان محمدا يامر اصحابه اليوم بامر وغدا ينهاهم عنه ، وما هو الا مفتر يتقوله من عند نفسه ! ولم يكن بد من الرد عليهم فكانت هذه الآية ؛ وانها لتتحدث عن النسخ والانساء فتوقعهما على (آية) وتجعل منهما فعل شرط جوابه (نات بخير منها او مثلها) . وبهذا تتبين بعض الحكمة في النسخ ، وأن الحكم انما ينسخ حين يصبح غيره أوفى منه بالمصلحة (او خيرا منه) فيرفع ليحل هذا الحكم محله ، أو حين يساويه غيره في الوفاء بالمصلحة ورعايتها ، ولكن يراد امتحان المؤمنين بنسخه فيرفع ليؤتى بدلا منه بحكم مثله (12)

اما مسالة المثلية في الآية والتي تقف اشكالا في نظر الكاتب فيما اذا لم ناخذ بالتأويل الذي ارتضاه وقال به فاني من جهتي أراها اشكالا قائما حتى مع التأويل الذي ذهب اليه . فما المقصود من نسخ شريعة بشريعة مثلها ؟ يقول الكاتب : « اين تتصور المثلية اذا لم تكن بين آية تنوسيت وطواها الزمان فيما طوى كما قلته آنفا وياتي سبحانه بأخرى عوضا عنها وبدلا منها ؟ » (13) واقول : انه يجب تحديد مفهوم الآية في هذا السياق ، وعلى الاخذ بكونها تعني المعجزة او الشريعة كما يذهب اليه الكاتب نلاحظ أن القرآن نفسه ذكر بكثير من هذه الشرائع المطوية ودعا الى الايمان برسلها ، وأن التاريخ احتفظ بها ، وان الآخذين بها والقائمين على حفظها كانوا احياء يجادلون الرسول في مكة والمدينة فاي نسيان تتصوره مع كل هذا ؟ وما الحكمة من هذا الانساء ؟ ان السير مع هذا النهج في الجدل أمر عقيم . والاحرى أن تعتبر المثلية هنا يقصد منها مثلية الثواب على الامتثال لآيات الله ، حيث لا يتفاضل المؤمنون في مثوبتهم اذا امتثلوا لاوامر الله ونواهيه وشرائعه واحكامه بين زمان وزمان، وشريعة وشريعة اخرى ، وحكم قام بالامس وحكم يقوم اليوم . ان المقصود بكل ذلك اختبار طاعتنا وتحقيق مصلحتنا على النحو الذي يناسب واقعنا وبذلك تتجلى ربوبيته وتقوم حجته ولله الامر من قبل ومن بعد .

الدار البيضاء ـ محمد عبد الملك الكتاني

---

11) دعوة الحق ع (9 ـ 10) السنة التاسعة (غشت 1966) ص 8

12) النسخ في القرآن ج 1 / 260

13) دعوة الحق ع (9 ـ 10) السنة التاسعة (غشت 1966) ص 9



عبقرية الاسلام في المغرب

للأستاذ : الحسن السائح

(3)

يمكن ان نجعل من فرض الحماية على المغرب بداية الاستجابة لنقد ذاتي عميق ، فقد شعر جميع المغاربة وحتى المتفائلون منهم بان الحماية بداية النهاية فهي في الواقع ليست وثيقة قانونية لاستنزاف خيرات البلاد بقدر ما هي هادفة الى محو الشخصية المغربية نهائيا ، ولذلك استجاب المغاربة بحماس للمحاولات التنظيمية الجديدة ، والعمل داخل الجماعات الاسلامية ، وليس من الصعب ان نستدل على أن سبب عزلة المغاربة من قبل ، ولجوئهم الى التصوف والطرقية بدل الرباطات ، انما يرجع الى ما كبدتهم الحروب الصليبية من ارهاق في مختلف الميادين والمستويات ، فالحروب العنيفة المستمرة لا ينتصر فيها جانب على آخر ، وانما يموت أحد قبل الاخر ، وهكذا كانت العزلة المغربية مفضية الى ما هو الص واشد شؤما ، فكان لابد أن تفتح الابواب والنوافذ من جديد لتطل على عالم الغرب ، وكان المستعمرون مضطرين من جهتهم أن يحملوا الى المغرب حضارتهم المادية والثقافية ، كما كان المغاربة مضطرين ان يطلوا على الثقافة الغربية ليعرفوا كنه هذه الحضارة وليستطيعوا الاستفادة منها ، ومن الطبيعي الا يتفق الناس جميعا على ذلك ، والنتيجة الحتمية هي أن تعاني البلاد ازدواجية في الفكر والعاطفة سواء بالنسبة للفرد وحده او بالنسبة للجماعة ، ولذلك كان بعض المواطنين يتمسكون بدينهم في جماعات طرقية او صوفية ، وبعضهم يلتحق بالحركة السلفية التي كانت في اوج قوتها وحيويتها ، ومن الحق أن الفريق الاول كان مهتما باتنالوجية ينعموجدانيا بعالم هادي ، فارا من تحليل الحقيقة الاليمة ومن الاستفسار عن مصيره الذي كان في بعض الاحيان من يسخرونه في الغالب عن حسن نية أو عن سوئها لاغراض يجهلون هم انفسهم غايتها . أما الفريق الثاني فقد كان يحاول الرجوع لماضيه المجيد ليعيش في حاضر يناسب عزه القديم ، وفي الحق ان كلمة سلفية لم يعط لها مفهوم دقيق محدد ، ولم تتبلور في دراسات مخططة هادفة ، بقدر ما كانت محاولة بحركة للعقل الباطن ليعيد الصورة المجيدة الماضية في المحنة الحاضرة ، والسلفية لم يقدر لها أن تعرف في القرن العشرين عبقرية اسلامية كالغزالي الذي قوض التسربات الفلسفية الهلينية الى الدين ، ولا عبقرية كابن تيمية الذي اوتي من سعة الاطلاع والذكاء ما ساعده على نقد من سبقه ، واعطاء شرح لحقيقة الاسلام . ولو ان السلفية الحديثة فهمت التجديد على انه احياء للوعي الاسلامي والسلوك المستقيم والايمان العميق ، فاعادت حيوية التصورات الاعتقادية الشاملة للكون في شتى تحليلاته ، جاعلة من المسلم قوة لتحقيق المثل الاعلى في الارض ، ومن الدين فعالية الخلق والاستمرار ، لا مجرد عرض لماضي الاسلام ومواقفه الفكرية والاجتماعية او مجرد خلق ضمير انساني ، بل هوتفجير قوة الحركة المطلقةمن الفكر والشعوروالعمل على اساس الاخلاص والعمل في ملكوت الله الواسعةالقوامة العادلة ولو ان السلفية درست القرآن دراسة فلسفية ولم تقتصر على الاستفادة الوعظية أو الفقهية لاعطت للغته الخالدة طاقتها الحقة وحيويتها وفعاليتها ووعيها ، فوعى المومنون كتابهم الخالد لا بطريقة شخصانية كما دعا اقبال ولكن في جماعة اشبه برجال الاسلام الاولين ، ثم لما كان لها أن تشتغل بالمقومات وتعطي للمبدعات فهو ما خاصة فتهاجم الفن الاسلامي وصرح حضارة قرون من المعمار والفن لمختلف الدعاوي والاسباب . ولما كان لها ايضا ان تسلك الطريق السهل فتدعو الى الرجوع الى القرن الاول وحده غافلة تراث الاجداد من فلسفة وتصوف واخلاص وفقه وعلوم نفس واجتماع ، ذلك التراث الخالد العظيم الذي كان منبثقا عن دعوة القرآن وسنة الرسول

الاعظم ، فلا تتجاهل الغزالي وابن العربي وابن سينا وابن طفيل وابن باجة وابن رشد . ومع هذا كله فلا يجوز مطلقا نكران فضل الحركة السلفية التي امدت المسلمين بمصل جديد ، وطاقة قوية لمواجهة الواقع المر، وانما يجوز ان نلاحظ كمؤرخين ان المجتمع انقسم بين جماعتين (الاولى خيالية افلاطونية فارة من الواقع تركض وراء المثل العليا ، وتعاني تمزقا ذاتيا عنيفا ، فهي لا تستطيع أن تلائم بين العقيدة الصافية المثالية وما تشاهده من واقع مغاير ، ولذلك تصرف وجهتها عن الواقع ، (والثانية) جماعة تعيش امجادها وتحاول تطوير واقعها ، ولكنها تصطدم دائما بالحاجة الاكيدة الى المادية الغربية التي تعارض المبادىء الاساسية للدين في بعض الاحيان، ولو أن التقنية تطورت في العالم الاسلامي ليخرج من الاستنجاد بالغير الى الاكتفاء لاستطاع ان يكمل شطر دعوته ولحقق عالمه الذي يصبو اليه .

ولم يظل المغرب طويلا في هذا الموقف الحائر ، أو لم تتح له الفرصة ليصالح بين الجماعتين فكريا ليخرج من هذا المازق الحرج ، فقد فوجىء بافواج متلاحقة من تلامذة المدرسة الغربية تدخل لميدان الفكر والعمل ، وهي مهما كانت مشدودة الى ثقافتها بشيء من الاقتناع والعطف والوراثة والتحدي ، فقد كانت في عمقها تواجه في قلق واشفاق عالما لا تقره على جميع ما فيه ، وكانت تعاني انقساما من نوع آخر ، فبعض هؤلاء تاثروا بالليبرالية والضمير الفردي وفهموا الاسلام على انه دين يمكن ان يفهم على أسلوب لا يغاير الاديان المنتشرة في الغرب التي تجعل من الدين ضميرا حيا لا يرتبط بالجماعة ارتباطا قويا ، وبعض هؤلاء تاثروا بحركة الالحاد المنتشرة آنذاك بالمغرب ، تلك الحركة الداعية الى تسطيل الشرائع ، ومن حسن الحظ ان هؤلاء لم يتجاوزوا أفرادا لا تاثير لهم مطلقا وطائفة أخرى من الذين طالعوا كتب ماركس وانجل وتاثروا بها وراوا فيها طريق الخلاص من المحنة الاستعمارية فروجوا لها في محيط محدود على ان اغلبية المتخرجين من المدرسة الحديثة ظلوا متمسكين بعقيدتهم ودينهم متفانين في الدفاع عن شخصية بلادهم وعظمة اجدادهم وصدق ملتهم .

ومهما يكن من هذا التعدد فان الحركة السلفية ظلت هي الاداة المحررة المستجيبة للتطور والتقدم في ثقة ويقين ، وظلت تجد من اختلاف التطورات بالبلاد الاسلامية ما ينمي وجودها ويفتح لها باب الامل ، كما أن المؤمنين السلفيين وجدوا في حركتهم ما يؤخذ بين عقيدتهم وسلوكهم ومكانتهم في عصرهم ، ولكن مع ذلك فسوف تشرق الشمس عن جيل لا يستسيغ عقله هذه الجرعات الموقتة التي عالجت جيل آبائه فرضوا بها واطمانوا اليها ، حيث سوف لا يجدون من وقتهم متسعا للتوفيق بين تعاليم مثالية وسلوك قرن يعيشونه، ولذلك يجب على المفكرين المسلمين ان يعبئوا قواهم لانقاذ الجيل الصاعد من الحيرة والارتباك والقلق الوجودي وشرح هذه التعاليم في لغة واضحة سهلة ، وعلى اساس ذلك يجب أن نجيب عن عدة اسئلة يثيرها شباب اليوم ، فهل الاسلام واقع لا ضرورة لفلسفته ، او هو في حاجة الى فلسفة جديدة ، وهل الاسلام يدرس كعلم أو يلقن كتربية او هما معا ، وعلى اي اساس يوحد الاسلام بين الفرد والجماعة على الصعيد النفسي والاجتماعي والاخلاقي ، وما هو الاقتصاد الجديد الذي يمكن أن يدعو اليه الاسلام فيجد مجالا للخروج من النظرية الى الواقع ، وكيف يسخر الفن والادب ، وهما قوام التوجيه في هذا العصر لخدمة الاسلام هذه اسئلة تفضي بدورها الى موضوعات ثانوية سنعالجها بعد ، ومن واجب المفكرين أن يجدوا لها جوابا فنحن لن نكون الا مسلمين ، ولن نرضى الا أن نكون مسلمين ، وحتى المتهافتون لن يستطيعوا الخروج من ذلك ،

ولو طار جبريل بقية عمره
من الدهر ما استطاع الخروج من الدهر

الرباط : **حسن السائح**



للأستاذ : الراجي التهامي الهاشمي

(7)

لغـة قيـس عيـلان ((1))

أما قبيلة قيس عيلان فقد شاركت هي بدورها في القرآن الكريم بـ 13 لفظة اتت على الشكل الآتي :

1) لفظة « **فورهم** » الكائنة في سورة آل عمران الآية 125 . وبما ان هذه اللفظة ، كما يذكره لنا المحققون من علماء اللغة ، لفظة مشتركة بين قيس عيلان وهذيل وكنانة فقد سبق شرحها آن الحديث عن مفردات القبيلتين الاخيرتين (2) .

2) لفظة « **نحلة** » الآية الرابعة من سورة النساء ومعناها بهذه اللهجة فريضة ، وغير مستبعد أن يكون معناها الفريضة التي تؤدى عن طيب خاطر أي « آتوهن صدقاتهن راضين » ومما يحمل على هذا التاويل ، آخر هذه الآية وهو : « فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه » فعدم الإكراه هنا يقابل طيب النفس هناك ، وهذا كما نرى من المحسنات المعنوية التي نغفل عنها كثيرا .

3) « **الحرج** » في الآية 6 من سورة المائدة وفي مواضع اخرى كثيرة من القرآن ومعناها « الضيق » .

4) لفظة « **أمة** » في سورة يوسف الآية 45 . ومعناها بلغة قيس عيلان « نسيان » ويقول ابو القاسم ابن سلام ان هذه المفردة مشتركة بين قيس عيلان وتميم . واللفظة التي تهمنا هنا هي « امة » بضم الهمزة بعدها ميم مشددة بالفتح . ولقد اجاد من من قراها بفتح الهمزة وتخفيف الميم بالفتح . واعتقد انها قراءة ابن عباس واستشهد الجوهري (3) لهذا الوجه الاخير بقول الشاعر :

أمهت وكنت لا انسى حديثا
كذلك الدهر يؤدي بالعقول

وقد قراها الاشهب العقيلي بكسر الهمزة وتشديد الميم بالفتح ، ومعنى امة هذه : النعمة ، كما جاء في بيت عدي الذي أورده الزمخشري حين تفسيره لهذه الكلمة :

ثم بعد الفلاح والملك والامـ ـة وارتهم هناك القبور

وقد تقرا بسكون الميم وهي قراءة فاسدة ، لامعنى لها ، كما انها وردت بفتح الهمزة وكسر الميم في الحديث الزهري ، وقالوا ان معناها «أقر واعترف» واكتفوا بأن حكموا عليها بانها « لغة غير مشهورة » (4) وكان بودنا لو اخبرونا عن هذه اللغة ، ولماذا هي غير مشهورة .

5) مفردة **((تفندون))** في قوله تعالى : « ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون » الآية 94 من سورة يوسف . ومعناها بلغة هذه القبيلة «تستهزئون» والملاحظ انها لم ترد الا مرة واحدة في القرآن الكريم . وهي من الفند بالتحريك وهو ضعف الراي من هرم ؛ ولا يقال في اللغة العربية الا للرجل العجوز ، اما المراة العجوز فلا يجوز ان يقال انها مفندة لانه لم يكن لها راي حصيف ذات يوم فيقع تفنيده في هرمها . وهذا شيء ناتج عن عدم اعتبار رأي المراة في الجاهلية .

---

1) اليعقوبي الجزء الاول صفحة 212 ـ التاج جزء 4 صفحة 227 ـ نهاية الارب صفحة 327 ـ معجم قبائل العرب صفحة 972 ـ الاعلام الجزء 6 صفحة 59

2) دعوة الحق العدد الثاني شعبان 1385 صفحة 64 بالنسبة لقبيلة هذيل والعدد الخامس من نفس المجلة لشهر ذي القعدة 1385 صفحة 27 بالنسبة لقبيلة كنانة

3) الصحاح الجزء السادس صفحة 2224 .

4) الصحاح نفس الصفحة السابقة

6) لفظة «**صياصيهم**» في قوله تعالى : « وانـزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون وتاسرون فريقـا » الآية 26 من سورة الاحزاب ومعناها بلغة هذه القبيلة «حصونهم» . ولم تـرد هذه الكلمة الا مرة واحدة فى القرآن الكريم ولا بد ان هذا يدل على غرابتها .

ولم يذكر الجوهري في صحاحـه مفـرد هذه اللفظة ، بل اكتفى بالقول : « والصياصي : الحصون »

ومعلوم ان لهذه اللفظـة فى الافراد صيغتـان: صيصة وصيصية ، بكسر الصاد فيهما معا .

اما الاب Belot فقـد اشار اليها فى قاموسه المعنون بـ « الفرائـد الدريـة فى اللغتيـن العربيـة والفرنـسيـة (5) » بعلامة تدل على ان هذه المفردة دخيلة على اللغة العربية الفصيحة ، وانها لاتنتسب الى ايـة لهجة من لهجات قبـائل العـرب .

ونحن مضطرون أن نؤيده فى رايه هذا ، رغم ان المهتمين من علمائنا القدماء ، رحمة الله عليهم ، ذكروها من بين الفاظ لهجة قيس عيلان (6) .

ذلك ان الحجة القاطعة قامت الآن على ان هـذه اللفظة آراميـة الاصل ؛ وينطـق بهـا Seso بتفخيم السينين حتى يتولد منها صـاد . وتكتـب فى لغتها الاصليـة وتعني فى الآراميـة الشوكة فى مؤخر رجل الديك .

ويؤسفني جدا ان اقول ان الجوهري اخطا حين فتح الصاد الاولى من هذه اللفظة ، وحقهـا الكسر، للسبب البـسيـط ، وهي انها مكسورة فى الاصل الآرامي، سيما وان الكسر اخف هنا بكثير من الفتح تليه يـاء سـاكنـة (7) .

ويؤسفني كذلك أن أرد على بعض علماء اللغـة، ومن بينهم ابن بري الذين يرون ان تذكر هذه اللفظة فى المعتل ، ظنا منهم ان لامها ياء لا صادا . ولـو كانت من المعتل باللام لكتبت وقرئت فى الآراميـة بالواو . وعلـى هـذا الشكل ولكنـها لـم تكتـب ابـدا . واذا كنـت اثبتـهـا مـن بين الفـاظ لهجة قيس عيلان فلانني اعتقد ، مـع علمائنا القدماء انها دخلت اول ما دخلت لقبيلة قيس عيلان ، التـي اذاعتها فى القبائل الاخرى . والله اعلم .

7) كلمـة « **اواب** » ومعناها بلغة قيس عيـلان المطيع ، وجدير بالملاحظة ان تنبه ان هذه المفردة ذكرت بنفس الصيغة اربع مرات فى سورة واحدة هي «ص» فى الآيات 17 ، 19 ، 30 ، 44 .

ولقد وردت مرة اخرى فى كتاب الله على هـذه الصيغة « للاوابين» فى الآية « ان تكونوا صالحين فانـه كان للاوابيـن غفورا » . الآية 25 من سورة الاسراء ولقد سبـق أن ذكرت أن هذه المفردة مشتركة بين ثلاث قبائل هي هذيل (8) وكنانـة (9) .

8) كلمـة « **رحيم** » فى الآية 36 من سـورة آل عمـران ومعناها بلغـة قيس عيـلان « ملعون » وقد كررها الحق سبحانه وتعالى فى آيات كثيـرة وبصيـغ مختلفـة .

9) مفـردة « **يلتكم** » فى قوله تعالـى « قالـت الاعراب آمنا قل لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وانتطيعواالله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم » الآية 14 مـن سورة الحجرات ، ومعناهـا بلغـة قيس عيـلان « ينقصكـم » .

ولقد نسب الزمخشري هذه اللفظة الى اهلهـا فقال : « وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجـاز لاته ليتا » اما غطفان واسـد فيرى ان لغتهما « التـه السـلطان اشد الألـت » واما اهل الحجاز فيرى انهم

---

5) Belot تحت مـادة ـ صيص ـ

6) يوجد من بين هؤلاء العلماء ، العلامة ابو القاسم بن سلام الذي جعلته المرجـع الاساسي فى بحثـي المتواضع هـذا ، والامام جلال الدين السيوطي فى كتابه الاتقان فى علوم القرآن صفحة 136 الجـزء الاول طبعة القاهرة سنة 1368 هـ

7) الصحاح الجزء الثالث صفحة 1044

8) دعوة الحق العدد الرابع السـنة التاسعـة صفحـة 17

9) نفس المصدر العدد الخامس السنـة التاسعـة صفحـة 29 .

10) الكشاف الجزء الرابع صفحة 17

يقولون لات ليتا ، اما صاحب الصحاح (11) فيرى ان « الاته مثل التـه » نقلا عن الفراء الذي استشهد ببيت لعدي بن زيد :

وباكلن ما اعنى الولي فلم يلت
كأن بحافات النهاء المزارعا

ويحكي لنا الاصمعي انه سمع ام هشام السلولية تقول : « الحمد لله الذي لايفات ، ولا يلات ، ولا تصمه الاصوات » ولقد قراها ابي بن كعب ، المتوفى سنة 29 هجرية « بالتكم (12) .

10) مفردة « **الخراصون** » في الآية 10 من سورة الذاريات ، ومعناها بلغة قيس عيلان « الكذابون » وهي مذكورة خمس مرات في القرآن الكريم ؛ في الانعام الآيات 116 و 148 ، في يونس : الآية 66 ، في الزخرف الآية 20 ؛ وهنا في الذاريات ويقول بعض علماء اللغة انها كنائية ايضا .

11) مفردة « **المهيمن** » في الآية 23 من سورة الحشر . وفي الآية 48 من سورة المائدة ويزعم علماؤنا الاقدمون ان هذه المفردة من قيس عيلان ، ولهذا ادمجتها هنا ، وان كانت الحجة قد توفرت الآن لدي، على انها من اللغة الآرامية ، لا من لهجة قبيلة قيس عيلان ، وهم ينطقون بها في اللغة الآرامية على هذا الشكل : or Haymun وتكتب وتقرا [illegible] ومعناها : « صار رقيبا على الشيء ومؤتمنا عليه » .

ولمفسري وشراح هذه اللفظة مذاهب كثيرة؛ فجلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (13) ، يجعلانها من مادة هيمن يهيمن ، فتكون اذن رباعية ، وجميع حروفها اصلية .

اما الزمخشري (14) فيزنها على مفيعل ؛ فتكون الحروف الاصلية في هذه المادة هي الهاء ، والميم، والنون ، ويخبرنا ان هذه الهاء منقلبة عن همزة . فتكون ، والحالة هذه ، المادة الاصلية هي امن . ويوافق الزمخشري في هذا التفسير الجوهري حيث يجعلها تحت مادة همن ويشرح إبدالها شرحا مفصلا حيث يقول (15) : « المهيمن » الشاهد وهو من آمن غيره من الخوف ، واصله امن فهو مؤامن، بهمزتين قلبت الهمزة الثانية ياء كراهة لاجتماعهما، فصار مايمن ، ثم صيرت الاولى هاء ، كما قالوا : اراق الماء وهراقه » .

12) لفظة « **الغلب** » في قوله تعالى: « وحدائق غلبا » الآية 30 من سورة عبس ومعناها بلغة قيس عيلان الملتفة ، ولو افردنا لقلنا حديقة غلباء ، والمقصود بهذا كما قال المفسرون ، هو انها حدائق كثرت اشجارها وتكاثفت ، وعظمت .

13) مفردة « **خاسرون** » في الآية 14 من سورة يوسف ومعناها « مضيعون » وهي مكررة في عدة آيات من القرآن الكريم .

اكادير — الراجي التهامي الهاشمي

---

11) الصحاح . الجزء الاول صفحة 265
12) Materials for the history of the text of the Quran, par A. Jeffery صفحة 166 من طبعة Leiden 1937
13) تفسير القرآن العظيم ص 235 من الجزء الثاني طبعة القاهرة بدون تاريخ
14) الكشاف ص 85 من الجزء الرابع .
15) الصحاح الجزء السادس صفحة 2217



للدكتور تقي الدين الهلالي

(15)

اعتـراض وجوابـه :

جاءني احد الاخوان فاخبرني ان معلما في المدارس الابتدائية في وجدة قال له : ان الدكتور الهلالي ياتي بالمتناقضات ، فبينما نراه يثبت كرامات الاولياء في الخوارق التي سردها في مجلة «دعوة الحق» في استحضار الارواح ، نراه في دروسه يقول : لا ينفع الا الله ولا يضر الا الله ، ولا يتصرف في العالم الا الله ، وهذا انكار لتصرف الاولياء وكراماتهم ، فقال له الاخ المذكور : اتقرا القرءان ، قال نعم ، واحفظه عن ظهر قلب ، قال : فهل قرات قوله تعالى في سورة الاعراف ، (188 قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسني السوء ، ان انا الا نذير ، وبشير لقوم يومنون) .

قال : اعرف هذه الاية ، ومع ذلك اعتقد ان النبي (ص) ينفع ويضر ، وان الاولياء يتصرفون في العالم والرد على ذلك من وجوه :

الاول : ان هذا المعترض يجهل توحيد الربوبية الذي كان يعترف به المشركون الذين قاتلهم رسول الله (ص) ، قال تعالى في سورة العنكبوت 61 ـ 63 : (ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ، وسخر الشمس والقمر ، ليقولن الله ، فانى يوفكون . الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، ان الله بكل شيء عليم . ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله ، قل الحمد لله ، بل اكثرهم لا يعقلون) .

قال الامام ابن كثير في تفسيره : يقول تعالى مقررا انه لا اله الا هو ، لان المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بانه المستقل بخلق السموات والارض ، والشمس والقمر ، وتسخير الليل والنهار ، وانه الخالق الرازق لعباده ومقدر اجالهم واختلافها واختلاف ارزاقهم ، ففاوت بينهم . فمنهم الغني والفقير ، وهو العليم بما يصلح كلا منهم ، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر ، فذكر انه المستقل بخلق الاشياء المتفرد بتدبيرها ، فاذا كان الامر كذلك ، فلم يعبد غيره ، ولم يتوكل على غيره ، فكما انه الواحد في ملكه ، فليكن الواحد في عبادته . وكثيرا ما يقرر تعالى مقام الالهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية . وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم : (لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك)

قال القاسمي في تفسير اية الاعراف : (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا) اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ، ولا على دفع ضر ما (الا ما شاء الله) اي تمليكه لي من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه . وهذا كقوله تعالى في سورة يونس (48 ـ 49 ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين . قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ، لكل امة اجل) . (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير) ، اي النفع بترتيب اسبابه ، فكنت مثلا اعد للسنة المجدبة من المخصبة ، ولوقت الغلاء من الرخص (وما مسني السوء) اي الضر للتوقي عن اسبابه (ان انا الا نذير وبشير) اي عبد ارسلت نذيرا وبشيرا ، وما من شاني ان اعلم الغيب . اه

وقال تعالى في سورة يونس 31 ـ 32 : (قل من يرزقكم من السماء والارض ، امن يملك السمع والابصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الامر ، فسيقولون الله ، فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق ، فما ذا بعد الحق الا الضلال ، فانى تصرفون)

قال القاسمي في تفسيره : (قل من يرزقكم من السماء والارض) بالامطار والانبات ، وهل يمكن الا ممن له التصرف العام فيها (امن يملك السمع والابصار) اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة كقوله تعالى في سورة الملك 23 ، (قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار)

ومن يخرج الحي من الميت ، يعني النسمة من النطفة ، او الطير من البيضة ، او السنبلة من الحبة ، (ومن يدبر الامر) اي ومن يلي تدبير امر العالم كله ، بيده ملكوت كل شيء ، تعميم بعد تخصيص ، (فسيقولون الله) اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه (فقل افلا تتقون) اي افلا تخافون بعد اعترافكم من غضبه لعبادة غيره اتباعا للهوى اه

وقال تعالى في سورة الانعام 50 : (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ، ولا اعلم الغيب ، ولا اقول لكم اني ملك ، ان اتبع الا ما يوحى الي ، قل هل يستوي الاعمى والبصير ، افلا تتفكرون)

قال ابن كثير : يقول تعالى لرسوله (ص) ، قل لا اقول لكم عندي خزائن الله) اي لست املكها ولا التصرف فيها (ولا اعلم الغيب) اي ولا اقول اني اعلم الغيب ، اي ما غاب من علم الله ، انما ذاك من علم الله عز وجل ، لا اطلع منه الا على ما اطلعني عليه ، (ولا اقول لكم اني ملك) اي ولا ادعي اني ملك ، انما انا بشر من البشر (ان اتبع الا ما يوحى الي) من الله عز وجل شرفني بذلك وانعم علي به ، ولهذا قال : (ان اتبع الا ما يوحى الي) اي لست اخرج عنه قيد شبر ، ولا ادنى منه . اه

والايات في هذا المعنى اكثر من ان تحصى فالعجب ممن يحفظ القران ولا يعرف معنى لا اله الا لله ، ولو قرأ ترجمة هذه الايات انكليزي او فرنسي لعرف معناها كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمـــــون

الوجه الثاني، ما معنى الاولياء وما معنى كراماتهم؟ قد ذكر الله سبحانه وتعالى في الكتاب العزيز ولايته واولياءه في مواضع ، منها قوله تعالى في سورة البقرة 257 : (الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، اولئك اصحاب النار هم فيها خالـــــدون)

وقال تعالى في سورة المائدة 55 ـ 56 : (انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ، فان حزب الله هم الغالبون) وقال تعالى في سورة الاعراف 196 : (ان ولي الله الذي نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين) .

وقال تعالى في سورة يونس 62 ـ 64 : (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم»

وقد نظرنا في هذه الايات وغيرها فعلمنا ان اولياء الله هم الذين يتصفون بالايمان والتقوى ، فكل من تولى الله بان امن به وبرسوله (ص) وبما جاء به واتقى الله بفعل ما امر به واجتناب ما نهى عنه فهو ولي الله ، ومن لم يكن ولي الله فهو عدو الله، ولا يشترط في ولي الله ان يكون معصوما من الذنوب ، الا انه لا يصر عليها اذا حدثت منه ، بل يتوب الى الله منها

وقد قرأت في كتب الصوفية ان الجنيد رحمه الله سئل ، ايزني الولي ؟ فاطرق برأسه ثم رفع راسه وقال : وكان امر الله قدرا مقدورا وصدق رحمه الله ، فان ما عزا الصحابي الذي جاء الى النبي (ص) واعترف بالزنى وسال النبي (ص) ان يقيم عليه الحد ، فاقامه عليه ، بان رجم حتى مات من اولياء الله الصالحين رضي الله عنه .

والمرأة الغامدية التي جاءت الى النبي (ص) فاعترفت بالزنى مرارا فامر النبي (ص) برجمها فرجمت ، وصلى عليها فقال له بعض اصحابه كيف

تصلي عليها وقد زنت ؟ فقال النبي (ص) : انها تابت توبة ، لو قسمت على سبعين منكم لغفر الله لهم ، او كما قال ، فهي من اولياء الله .

ولا يشترط في الولي ان تجري على يديه خوارق العادات ، فان اكثر اصحاب رسول الله (ص) واكثر التابعين والائمة المجتهدين لم تنقل عنهم خوارق ، وهم افضل اولياء الله . وقد قال النبي (ص) في فضل السابقين من اصحابه على المتاخرين منهم : لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه . يعني ان السابقين من اصحاب رسول الله (ص) لهم فضل عظيم على المتأخرين من الصحابة ، حتى ان الواحد من المتأخرين لو انفق مثل احد ذهبا ، وهو جبل عظيم بقرب المدينة لا يساوي اجر انفاقه نصف حفنة مما انفقه السابقون . هذا في فضل السابقين من الصحابة على اللاحقين فكيف بفضل الصحابة على التابعين ؟ فكيف بفضل التابعين على من بعدهم . وقد قال النبي (ص) خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم ياتي قوم تسبق شهادة احدهم يمينه، ويمينه شهادته ، يشهدون ولا يستشهدون ، ويعدون ولا يوفون ، او كما قال . والقرن عند المحققين اربعون سنة . فقرن النبي (ص) ينتهي على راس سبع وعشرين من الهجرة في خلافة علي بن ابي طالب . والقرن الثاني ينتهي بنهاية سنة سبع وستين من الهجرة . والقرن الثالث ينتهي سنة مائة وسبع من الهجرة ، في زمان هشام ابن عبد الملك .

الوجه الثالث : ان خوارق العادات تجري على يد الكفار والفساق والصالحين ، ولا تعتبر كرامات الا اذا جرت على ايدي الصالحين المحقق صلاحهم كمريم ام عيسى ، وابي بكر الصديق ، واسيد بن حضير ، وغيرهما من الصحابة .

اما مريم ، فمن كرامات الله لها ان الله كان يرزقها حين كانت في المحراب بدون سبب ولا اكتساب كما قال تعالى في سورة ال عمران 37 : (كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا ، قال : يا مريم انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

قال المفسرون كان زكريا عليه السلام كلما دخل على مريم في محرابها ، اي المقصورة التي تتعبد فيها وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، قال يا مريم ، من اين لك هذا ؟ قالت هو من الله رزقنيه بلا سعي ولا سبب .

ومن كرامات الله لها انه رزقها ابنا سريا مباركا نبيا رسولا من اولي العزم دون ان يمسها بشر ، فجعل ولادته بلا فحل من اياته الدالة على عظمته وكمال قدرته .

ومن كراماته لها انه اوجد لها رطبا يسقط عليها عند هزها لجذع النخلة ، ومن ذلك نطق عيسى ببراءتها وهو في المهد .

ومن كرامات الله لابي بكر ما اخرجه البخاري في صحيحه عن ابي عثمان عن عبد الرحمن بن ابي بكر ان اصحاب الصفة كانوا اناسا فقراء ، وان النبي (ص) قال : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، وان اربع فخامس او سادس ، وان ابا بكر جاء بثلاثة ، فانطلق النبي (ص) بعشرة ، قال : فهو انا وابي وامي – فلا ادري ، قال : وامراتي – وخادم بيننا وبين بيت ابي بكر ، وان ابا بكر تعشى عند النبي (ص) ، ثم لبث حيث صليت العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي(ص) فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله . قالت له امرأته: وما حبسك عن اضيافك ، او قالت ضيفك ؟ قال : او ما عشيتهم ، قالت : ابوا حتى تجيء ، قد عرضوا فابوا،قال: فذهبت انا فاختبأت فقال : يا غنثر ، فجدع وسب وقال : كلوا لا هنيئا ، فقال : والله لا اطعمه ابدا ، وايم الله ما كنا ناخذ من لقمة الا ربا من اسفلها اكثر منها ، قال : يعني حتى شبعوا ، وصارت اكثر مما كانت قبل ذلك ، فنظر اليها ابو بكر ، فاذا هي كما هي او اكثر منها فقال لامرأته : يا اخت بني فراس ، ما هذا ؟ قالت : لا ، وقرة عيني ، لهي الان اكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فاكل منها ابو بكر وقال : انما كان ذلك من الشيطان ، يعني يمينه ، ثم اكل منها لقمة ، ثم حملها الى النبي (ص) فاصبحت عنده ، وكان بيننا وبين القوم عقد ، فمضى الاجل ، ففرقنا اثنا عشر رجلا ، مع كل رجل منهم اناس ، الله اعلم كم مع كل رجل ، فاكلوا منها اجمعون او كما قال .

حاصله ان عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما اخبر ان اهل الصفة كانوا يسكنون في المسجد النبوي في مكان خاص بهم مسقف ، يسمى الصفة ، وكانوا فقراء مهاجرين غرباء ليس لهم اهل ولا بيوت ولا مال ، متى جاء الجهاد جاهدوا مع رسول الله (ص) واذا لم يكن جهاد غرقوا من بحر علم النبي (ص) وكان الناس يطعمونهم ، فقال النبي (ص) لاصحابه من اهل المدينة : من كان عنده طعام اثنين فليأخذ واحدا من اهل الصفة يتعشى معه ، ومن كان عنده طعام ثلاثة فليجعل رابعهم واحدا من اهل الصفة ، ومن كان عنده طعام اربعة فليأخذ معه خامسا ، وان شاء فليأخذ اثنين

وقد جاء في موضع اخر من صحيح البخاري عن النبي (ص) ، طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة ـ الحديث . ولكن النبي (ص) لم يشأ ان يشق عليهم فلم يقل : من كان عنده طعام واحد فليذهب باثنين ، ومن كان عنده طعام اثنين فليذهب باربعة ، ومن كان عنده طعام اربعة فليذهب بثمانية ، لكن ابا بكر الصديق رضي الله عنه اخذ ثلاثة من اهل الصفة ، وكان عنده طعام خمسة هو وزوجته ام رومان ، وابنه عبد الرحمن وزوجة ابنه اميمة ، وخادم كان يخدمهم

اما النبي (ص) فانه اخذ عشرة من اهل الصفة . قال اهل الحديث : وكان عند النبي (ص) في تلك الليلة طعام عشرة ، فخفف على اصحابه وشق على نفسه واهل بيته وذلك كان شانه صلى الله عليه وسلم ، يتحمل من الاعمال اكثر مما يامر الناس به ، فكان يواصل الصيام ، اي يصوم يومين او اكثر وينهى اصحابه عن ذلك فاذا قالوا له : انا نراك تواصل يقول : اني لست كهيئة احدكم ، اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني ، يعني طعاما روحيا وشرابا روحيا .

وترك ابو بكر الصديق الاضياف الثلاثة لابنه عبد الرحمن وزوجته ام رومان وذهب الى بيت النبي (ص) وتعشى عنده ، واقام الى ما بعد صلاة العشاء ، فلما رجع سال زوجته اعشيتهم ؟ يعني الاضياف ، فقالت : انهم امتنعوا من قبول العشاء حتى تجيء انت ، وخاف ابنه عبد الرحمن من غضبه فاختبأ ، فاخذ يناديه ، يا غنثر ، معناه يا لئيم فلم يجبه خوفا منه ، فسبه ثم قدم العشاء الى الاضياف ، وقال : كلوا لا هنيئا ، قال ذلك غضبا عليهم، لانهم اساءوا الادب ، اذ لم يقبلوا عشاءهم فاخذوا ياكلون والطعام يزيد حتى صار كما قالت ام رومان اكثر مما كان بثلاث مرات وحلف ابو بكر في وقت غضبه ان لا ياكل من ذلك الطعام ، فلما راى الكرامة ظهرت في زيادة الطعام اكل منه لينال من تلك البركة ، فاكل اهل البيت وضيوفهم وعددهم ثمانية ، ثم حملت تلك الجفنة مفعمة بالطعام الى النبي (ص) فرحا بما اكرمه الله به فباتت الجفنة كذلك الى الصباح فاكل منها اثنا عشر عريفا، كل عريف معه جماعة من الناس جاءوا للتفاوض مع النبي (ص)

واما كرامة اسيد بن حضير ، فاخرج البخاري في صحيحه من كتاب المناقب بسنده الى انس ان رجلين خرجا من عند النبي (ص) في ليلة مظلمة واذا نور بين ايديهما حتى تفرقا ، فتفرق النور معهما . والرجلان هما اسيد بن حضير وعباد بن بشر

والكرامة التي اكرم الله بها عباده الصالحين كثيرة لا ياتي عليها الحصر ، وقد اجمع اهل السنة على قبولها، وما جاء في القران منها يومن به جميع المسلمين، ولكن ليس كل من جرت على يديه خوارق العادات هو من الصالحين ، فان الخوارق تقع للكافر والمسلم ، فاذا وقعت للمومن المتقي فهي كرامة ، ولكن لا يجوز ان يامن من مكر الله بعد حصولها ، لان الخاتمة مجهولة . فقد اخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ، قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : فوالله الذي لا اله غيره ، ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها ، وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها

اذن فلا يثبت انه من اولياء الله الصالحين بجريان الخوارق على يديه حتى تثبت له الاستقامة ، والاستقامة لا يعلمها الا الله . وعقيدة اهل السنة والجماعة كما قرر الامام الصابوني في عقيدته وغيره انهم لا ينزلون احدا جنة ولا نارا الا من شهد له المعصوم صلى الله عليه وسلم كالعشرة المبشرين بالجنة ، وخديجة وعكاشة ابن محصن ، وكل من صح الحديث بانه من الجنة . اما

غيرهم فمن رأيناه يطيع الله ويتبع رسوله نرجو لـــه الخير ولا نجزم بانه من اهل الجنة ، ومن رايناه من المسلمين الموحدين المصلحين منهمكا في المعاصي نخاف عليه ان يكون من اهل النـــار ولا نجـزم ، لان الخاتمة مجهولة

وفي الصحيحين عن ام العلاء قالت : مات عثمـــان ابن مظعون ، قلت : شهادتي عليك ابا السائب ، لقــد اكرمك الله . فقال لها رسول الله (ص) : وما يدريك ان الله اكرمه ؟ والله وانا رســول الله مـــا ادري مــا يفعل بـــي .

وروى الحافظ بن عبد البر في الاستيعاب عن ابن عباس ، قال : لما مات عثمان بن مظعون ، قالت امراته : هنيئا لك الجنة يا عثمان بن مظعون ، فنظر اليها رسول الله (ص) نظر غضب ، وقال : وما يدريك ؟ قالـت : يا رسول الله ، فارسك وصاحبك ، فقال رسول الله (ص): اني رسول الله ، وما ادري ما يفعل بي .

وروى الترمذي بسنده عن عائشة ، قالت : قبـــل النبي (ص) عثمان بن مظعون وهو ميت ، وهو يبكـي وعيناه تذرفان ، ولما توفي ابراهيـم بن النبـــي (ص) قال : الحق بسلفنا الصالح عثمـــان بن مظعـــون . ومن اخبار عثمان بن مظعون انه كان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، وقال : لا اشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك بي من هو ادنى مني ، ويحملني على ان انكح كريمتي ، فلما حرمت الخمر اتى وهو بالعوالي فقيل له : يا عثمان قد حرمت الخمر ، فقال : تبا لها ، قد كان بصري فيها ثاقبا

وقال سعد بن ابي وقاص : رد رسول الله (ص) التبتل على عثمان بن مظعون ، ولو اذن له لاختصينـــا ، وكان عابدا مجتهدا من فضلاء الصحابة ، وقد كان هو وعلي بن ابي طالب وابو ذر هموا ان يختصوا ويتبتلوا، فنهاهم رسول الله (ص) عن ذلك . اه

فانظر يا رعاك الله هذا الصحابي الجليل وما له من المناقب ، حرم الخمر على نفسه قبل ان تحرم ، بل قبل الاسلام ، وكان من السابقين الى الاسلام ، وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة ، فهو من اهل الهجرتين ، وكان النبي (ص) يحبه حبا كثيرا ، حتى انه قبله بعد موته وبكى عليه ، ومع ذلك لما قالت امرأته : هنيئـا لك الجنة ، غضب عليها النبي (ص) ، وقال لها : اني رسول الله ، وما ادري ما يفعل به ، وسماه النبي (ص) سلفا صالحا

ولما قالت ام العلاء : شهادتي عليك ابا السائب ، لقد اكرمك الله ، ونهاها عن ذلك ، فمن شهد على ميت كيفما كانت درجته من الصلاح انه من اهل الجنة ، او انه من المكرمين عند الله ، فقد عصى الله ورسوله وقفا ما ليس له به علم . وقد بلغ الجهل باكثر الناس في هذا الزمان الى ان صاروا يقيسون درجات الاموات عند الله بالقباب التي تبنى على قبورهم . فعلى قدر جمال القبة وزخرفتها وكثرة تحفها وزوارها ، والذبائح التي تذبح عندها ، والمواسم التي تقام لها ، تكون منزلة صاحبهـا عند الله بزعمهم . اللهم علمنا ما جهلنا وارزقنا العمل بما علمناه ، ولا تجعله حجة علينا يا رب العالمين

الوجه الرابع : ان ما نقلته من الخوارق التـــي وقعت لمستحضري الارواح في سلسلة المقالات التي نشرتها مجلة « دعوة الحق » بالعنوان المذكور اعلاه وقعت تلك الخوارق لاناس لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ، ولا باحد من الانبياء ، فلم تكن من كرامات الاولياء ، كما زعم ذلك المتوهـم ، وتبنـي من اجل ذلـك الى التناقض . ومن ذلك تعلم ان الخوارق في حد ذاتها ، وان بلغت في الغرابة كل مبلغ لا علاقة لها بالايمان ولا بالصلاح ، فانها تقـع للمومـن والكافر ، والصالـــح والطـــالـــح

والميزان الصحيـح لاولياء الله الصالحيـن هـو الاستقامة . قال تعالى في سورة فصلت 30ـ32 : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ، الا تخافوا ولا تحزنوا ، وابشـروا بالجنـة التـي كنتـم توعدون . نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة، ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ، ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم)

فقوله تعالى : قالوا ربنا الله ، معناه وحدوا الله فلم يشركوا به شيئا ، لا في ربوبيته ولا في عبادته . ومعنى استقاموا امنوا بالرسول (ص) واتبعوه في كل ما جاء به وقال الجنيد رحمـه الله : لو رأيتم رجـلا يطيـر في

السماء او يمشي على الماء ، فلا تلتفتوا اليه ، فان الاستقامة افضل من الف كرامة

وقال ايضا رحمه الله : امرنا هذا مبني على اربعة امور ، اولها اتباع السنة ، وثانيها اكل الحلال ، وثالثها كف الاذى . ورابعها حمل الاذى . اه

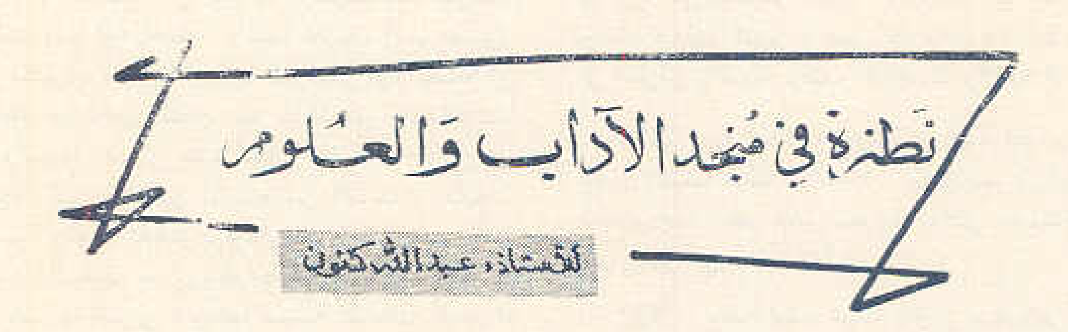
وهذه الامور الاربعة التي بنى عليها الجنيد رحمه الله طريقة اهل الزهد موافقة لكتاب الله وسنة رسوله ولولا خوف الاطالة لسردت براهينها .

وقول سعد بن ابي وقاص : رد النبي (ص) على عثمان التبتل ، ولو اذن له لاختصينا . المراد بالتبتل هنا، الترهب والانقطاع عن متاع الحياة الدنيا ، والاشتغال بالعبادة . وقد استأذن جماعة من الصحابة ، منهم المذكورون هنا ، ومنهم ابو هرة في الاختصاء ، وهو ازالة القدرة على مباشرة النساء بعمل جراحي معلوم ، وانما ارادوا ذلك حتى يأمنوا اشتهاء قرب النساء ، فلا يشغلهم شاغل عن عبادة الله ، ومن خلال ذلك يرى كل منصف عاقل ان اصحاب محمد (ص) كانوا افضل من اصحاب الرسل السابقين واتباعهم . فلم نر في اتباع الرسل السابقين من هم بالاختصاء ، وان فيهم من اعتزل النساء وحرم قربهن على نفسه ، ولكن النبي الحكيم الذي جاء بدين قويم منعهم من الاختصاء لما فيه وفي الترهيب من المفاسد . فالشجاع هو الذي يثبت في مواجهة العدو ويستعين بالله ويحمي نفسه من هجماته والاختصاء والترهب فرار من وجه العدو وهزيمته وحرمان للنفس من بركة التعاون مع الزوجة على طاعة الله ، وعلى انجاب الابناء الصالحين والبنات الصالحات وحسن تربيتهن والسعي عليهم في اكتساب رزقهم

فالمختصي والترهب عضوان ميتان في جسم الامة وقد قال النبي (ص) لما علم ان ثلاثة من اصحابه هموا ان ينقطعوا للعبادة ، فقال احدهم : اما انا فاصلي الليل ابدا . وقال الآخر : انا اصوم النهار ابدا ولا افطر . وقال الآخر : انا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا ، فجاء النبي (ص) اليهم فقال : انتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له ، لكني اصوم وافطر ، واصلي ، وارقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني . رواه البخاري ومسلم .

مكناس — تقي الدين الهلالي

أبحاث ودراسات



(12)

حــرف الصــاد :

308) فى ص 301 ، ع ني ترجمة للصاحب بن عباد الوزير الاديب المشهور بعنوان : « الصاحب الطالقاني » بكسر اللام وهو بفتحها نسبة الى طالقان بفتح اللام بلدة من عمل قزوين ، ومع أن الصاحب ينسب الى هـــذه البلدة حتى قال صاحب الشمقمقية :

لا تنس من دنياك حظا والـــى
كالطالقاني والخصيب انطلـــق

فلم يعينه الا بهذه النسبة ، الا أن شهرتـــــه بالصاحب بن عباد أكثر ، ولا يعرف تاريخيا الا بذلـــك فكان الاولى ان يذكره بما اشتهر به ، ويزيد ان شـــاء النسبة البلدانية بعد .

309) وفى العمود نفسه ذكر سورة صاد مـــن القرآن الكريم فقال فيها : « الصاد » بالالف والـــلام والصواب حذفهما ، وكتب سورة بالصاد ، وهو خطـــأ مطبعي .

وحذف الالف واللام وزيادتهما عند صاحب المنجد لايتبعان اية قاعدة كما اشرنا الى ذلك مرارا ، فهو هنا يقول فى سورة صاد : الصاد ، وفى نفس العمود يذكر ابن الهبارية فيقول فيه ابن هبارية بدون ال ويقول فى ابن ابى صادق الطبيب : سموه البقراط الثاني هكذا بادخال ال على اسم بقراط ، وحيث اننا نبهنا على خطاه هذا غير ما مرة ، لم نشأ ان نميزه برقم خاص .

310) ومن خطأ التعبير فى هذا العمود ايضا قوله فى طائفة الصارلية : « ولهم عادات أشبه منها بعادات اليزيدية » يريد شبيهة بعادات اليزيدية .. ولما كان المنجد يعد من معاجم اللغة العربية لم يحسن منا السكوت على مثل هذه العبارات المغلوطة التي تقع فيه بكثرة .

311) فى ص 302 ، ع ل تعريف بالنبي صالح عليه السلام جاء فيه أنه دعا قومه ثمود «لكنهم لم يزعنوا لكلامه فانزل فيهم القصاص» وظاهر ان قوله لم يزعنوا بالزاي، هو من خطأ النطق وصوابه يذعنوا بالذال ، اما قولـــه فانزل فيهم القصاص ، فانه يريد به العذاب ولكنه يوهم بظاهره انه انزل فيهم حكم القصاص الذي هو ان يعاقب الشخص بمثل ما فعل . وهذا مما يتجنب ارتكابـــه فى المعاجم .

312) فى ص 303 ، ع ل ترجمة لصالح بن مرداس اسد الدولة ، ضبط فيها اسم مرداس بفتح الميم وهـــو بكسرها وقال انه قتل فى وقعة الحوانة على الاردن، وهي وقعة الاقحوانة كما يعرف بمراجعة ابن خلكان ، وهذا الخطا وقع ايضا فى دائرة المعارف الاسلامية بسبـــب الترجمة من غير مراجعة الاصول .

313) وفيها ع ني تعريف بمدينة سبيطة المشهورة والمذكورة فى فتح افريقية كتبها بالصاد ولذلك ذكرها فى حرفه ، وضبطها بضم الصاد وفتح الطاء ، والصـــواب كتابتها بالسين على ما درج عليه الكتاب والمؤرخون ، وفى العدد الاخير من مجلة الفكر التونسية قصيدة لاحـــد

أدباء تونس فى تحيتها وما كتبها الا بالسين ، وامــا ضبطها فعلى صيغة المصغر ، وبذلك تكون الطاء فيها مكسورة لا مفتوحة .

314) فى ص 304 ، ع ل تعريف بالصحراء الافريقية عام ، ثم تعريف خاص بما سماه الصحراء الاسبانية ، ومع ما فى هذه التسمية من المؤاخذة السياسية ، فان هذا التعريف قد وقع فيه اخطاء ، منها تعريف اسم جـزر كناريس بكناري حسب النطق الفرنسي ولا يصح ان يعرب اللفظ بصيغتين اثنتين بعد ما اشتهر باحداهمــا اشتهارا واسعا . ثم ان هذه الجزر لها اسم عربي هو الجزر الخالدات فكان من المستحسن الاقتصار عليه ، ومنها تسمية وادي الذهب بريودي اورو ، حسب اللفظ الاسباني ، والمعجم عربي فالواجب فيه تسمية الاشياء والاماكن باسمها العربي ، ومنها تسمية الساقية الحمراء بالساخية الحمراء أي بالخاء المعجمة بدل القاف وهو خطأ متسبب من جهل الاسم العربي والاعتماد فيه علـــى الترجمة فقط .

315) وفى المكان نفسه كلمة عن صحراء عيــذاب ضبط فيها اسم عيذاب بكسر العين وهو بفتحها .

316) فى ص 305 ، ع ل ترجمة لصردر الشاعر المعروف ضبط فيها اسمه هذا بفتح الصاد والــراء المشددة والدال والراء المشددة أيضا ، جعله كالاسم المركب ، والصواب ضم الدال وتشديد الراء من غير فتح ، لانه اما نائب فاعل بصر اذا ضبطناه بضم الصاد على بنية الفعل المجهول ، واما ان يكون مفعولا بصــر اذا ضبطناه بفتح الصاد وهو الاكثر ، ولكنه وقع وقفــا بحذف الالف على لغة ربيعة او لكثرة الاستعمال ، واصل هذا الاسم أو اللقب على الصحيح ان ابا الشاعر كان يقال له صربعر لشحه اي بخله لا (لشحنه) كما جــاء فى المنجد ، فلما نبغ ولده بالشعر قيل له صردر مدحا له ، والدر اللؤلؤ .

317) وفيها فى ع تي أبيات من مقصورة صريــع الدلاء ، سقط منها الواو فى أول البيت الثاني واليــاء فى آخر البيت الرابع من كلمة يشا فجاء شا ، والبيتان لا يتزنان بدون ذلك .

318) وفى العمود نفسه تعريف بمدينة صعــــدة اليمنية كتبها صعدى بالالف المقصورة وهي بالتاء .

319) وفيه أيضا تعريف بالصفرية وهم طائفـــة معروفة من الخوارج ، جعلهم المنجد الصغرية بالغين وليس هذا من خطا الطبع لانهم مدركون فى سيـــاق الكلمات التي تاتي فيها الغين بعد الصاد ، كما انه ليس من خطا الترجمة لان الفاء لا خلاف فيها بيننا وبين اللغات الاجنبية .

320) فى ص 306 ، ع ل تعريف بالصفا التي هي والمروة من مشاعر الحج . وقد ذكر فيه المروة طبعــا ولكنه جعلها المرو ، بدون تاء وكررها كذلك ، ولم ترد فى القرآن والسنة وكتب المناسك واللغة الا بالتاء .

321) وفى هذا العمود ذكر كلمة الصفر بفتحتــين وذكر عقبتها لفظة TIBRE وقال نهر فى ايطاليا الــخ واسم هذا النهر التبر معروف ولكن تسميته بالصفر لا ندري من أين جاء بها ؟ ..

322) وفيه أيضا تحت عنوان صفروي بضم الصاد وسكون الفاء وفتح الراء على صيغة المنسوب تعريف بمدينة صفرو المغربية ، وتقدم له ذكرها فى حرف السين ونبهنا هناك على انها بالصاد ، لكن ذكرها بهذا الاسم هو من العجائب ، وقد وردت كذلك فى دائرة المعـــارف الاسلامية ولكن بغير هذا الضبط ، ونسبت الدائــرة كتابتها بهذا الشكل الى ليون الافريقي (الحسن الوزان)

323) وفى هذه الصفحة ع . ني تعريف بصفية بنت حيي أم المومنين ، قال فيه انها من سبايا خيبر وان النبي (ص) اعتقها وتزوجها فى مرضه الاخير ، وهذه الزيادة مردودة ، فان غزوة خيبر كانت سنة سبع للهجرة وفيها تزوج النبي (ص) بصفية ، فكيف يقال ان ذلك كــان فى مرضه الاخير ..

324) فى 307 ، ع . ل تعريف بجزيرة صقلية ، جاء فيه « استعمرها الفينيقيون واليونان فاسسوا فيهــا المدن التجارية الزاهرة (واجتاحها) العرب فغزاهــا زيادة الله الاغلبي » ، وهكذا كان الفينيقيون واليونان فى نظر مؤلف المنجد معمرين لصقلية الى حد الازدهار ، والعرب مجتاحين غزاة فقط ، مع ان تاريخ المدينـــة الحديثة يعترف بما لصقلية العربية من يد على نهضـــة العلوم فى أوربا وان افضل عهودها هو العهــد العربي .

325) فى ص 310 ع . ني تعريف بمدينة ســـور الغزلان من الجزائر كتبها صور بالصاد وهي بالســين وحقها ان تذكر فى حرفه .

326) فى ص 311 ع . ني وقع ذكر مدينة سعيدة من الجزائر تحت اسم صيدا وهو خطا فى الترجمة ، فهي سعيدة وحقها ان تذكر أيضا فى حرف السين .

حـــرف الضـــــاد :

327) فى ص 313 ع ل ترجمة لضابىء بن الحرث البرجمي الشاعر ، قال عنه انه من عرب الجاهليــة ، وليس كذلك فانه شاعر اسلامي اشتهر بهجوه قوما من الانصار كان استعار منهم كلب صيد وتقاعد عليــه فانتزعوه منه واستعدوا عليه عثمان بن عفان (ض) ثم انه ضبط الحرث بفتح الراء وهو بكسرها .

328) وفى المكان نفســه بعنوان بنوضبة بكســر الضاد عرف بالضباب ، بطن من عامر .. فخلط بينه وبين ضبة بن أد المذكورة عنده بعده يليه ؛ على أن كســر ضاد ضبعة ليس بصحيح ، فهو بالفتح .

329) وفيه ايضا ترجمة للافوه الاودي الشاعــر الجاهلي المعروف ، سماه فيها ضبة بن أود ولا ندري من اين اتى بهذه التسمية ، والمعروف فى اسمه انــه صلاءة بن عمرو ، فحقه ان يذكر فى حرف الصاد .

330) وفى هذه الصفحة ع ني من خطا أشكــل ضبط الفهري بفتح الفاء وهو بكسرها وضبط ضرغــام بفتح الضرغام وهو ايضا بكسرها .

331) فى ص 314 ع ل ترجمة لضمرة بن ضمرة شاعر محارب من أهل الجاهلية، ضبط اسمه فيها واسم أبيه بضم الضاد وهو بالفتح فيها .

332) وفيها ع ني ذكر كتاب الضياء اللامع فى شرح جمع الجوامع للشيخ أحمد حلولو المعروف ، جعلــه المنجد هولولو بالهاء وهو من خطا الاعتماد علــى الترجمة فقط .

طنجة : **عبد الله كنون**



الرقيق في الامبراطورية الرومانية

للأستاذ عبد المجيد بن جلون

تفصل بيننا اليوم وبين الامبراطورية الرومانية نفس الفترة التي استغرقتها هذه الامبراطورية العظيمة، عقب تأسيس الملك (رومولوس) لمدينة روما منذ الفين وسبعمائة سنة خلت، الى ان بلغت اوج عظمتها في اوربا وفي شمال افريقيا وغرب آسيا في اواخر القرن الثاني قبل الميلاد، الى ان اخذت تتصدع وتنهار في القرن السادس بعد الميلاد. ومع ذلك - او من اجل ذلك لا ندري - لا يزال الناس، وخصوصا المثقفين منهم، يذكرون احداثها واباطرتها وقادتها وجيوشها ومهندسيها وخطباءها وشعراءها وما يزالون يشاهدون آثارها الرائعة في هذه الرقعة المترامية من العالم: مسارحها وحماماتها واسوارها ومعابدها وفسيفساءها وتماثيلها واقواس نصرها وطرقها وصهاريجها واحواضها وقنواتها وحناياها ومختلف ما بقي - وما اكثره - من آثار العهد الروماني العتيد، لا يزال الناس يذكرون هذا كله، واكثر من هذا كله كما لو كان تاريخا حديثا، بل ان من التاريخ الروماني ما هو اشهر من احدث التواريخ.

ولقد لعب العبيد في اقامة هذه الحضارة دورا مرموقا - وخصوصا من الناحية الفكرية كما سنرى - ولكن لا يكاد احد من هؤلاء المثقفين يذكر الدور التي قاموا به، لأن من المستبعد ان يتصور المرء ان يقوم العبد مسلوب الحقوق قانونيا باي دور من هذا القبيل.

والحقيقة ان العبيد في العهد الروماني كانوا ينوؤون تحت حمل ثقيل من الواجبات دون ان تكون لهم اية حقوق، بل لم يكن للعبد اي وجود قانوني كانسان، فهو ملك لسيده ولم يكن يسمح القانون له بحق الاكتساب او حق الملكية، ولا يجوز له ان يدلي بشهادة في المحاكم الا عن طريق التعذيب، لانه كان يعتبره الطريقة الوحيدة الكفيلة باستخراج الصدق من صدره، ولم يكن يسمح له القانون حتى بحق الزواج، وكان من حق السيد ان يعاقب عبده على كسله او هفوة من لسانه بالجلد والسير مسافات طويلة محملا بالاثقال، وكانت تكتب بحديدة ملتهبة فوق جبينه اذا حاول الفرار حروف كلمة «فار» ليدمغ بذلك، وقد يصلب الفار وقد يحرق حيا، بل وقد يلقى به الى الوحوش الضارية لتفتك به، متعة للنظارة في ساعات اللهو والتسلية.

على انه كان هناك نوعان من العبيد في العهد الروماني، اولهما يتمثل فيمن كانوا ينعتون «بذوي الجلود الناعمة» وهم الذين كان يستولي عليهم الرومان في مناطق شمال وغرب اوربا، وكان الرومان ينظرون الى المرء منهم على انه «حيوان اعجم» لا يحسن غير العمل في المزارع، وكانوا يكلفون بالقيام باحط انواع العمل، واكثرها مساسا بالكرامة الانسانية، وكانوا يجلدون خلال ممارستهم لهذه الاعمال المشينة، وكان

من حسن حظ الذي يعمل منهم في المناجم ان يلقى حتفه في سن الشباب .

وثاني النوعين العبيد الذين كان الرومان يأسرونهم من المناطق الشرقية ، وخصوصا من السوريين والاغريق، وكانوا يعتبرون ذوي اهمية بالغة في كثير من الاحيان، لما كانوا يتمتعون به من ثقافة وحنكة ودراية في كثير من الميادين الفكرية ، وسنعود الى التحدث عنهم بعد قليـــــل .

ولاجل ان نتصور الدور الذي قام به العبيد لا بد من الاشارة الى ان عددهم كان كبيرا جدا ، فقد كانوا يوجدون في كل مكان ، في المزارع الصغيرة والممتلكات الكبيرة وفي الاكــواخ والقرى وفي الدور الفاخــرة ومكاتب الحكومة ، وكان العبد في هذه الاماكن كلهــا يبذل اقصى جهده لتحقيق الراحة والرفاهية لسيــده ، ولذلك يمكن القول انه لــم توجد امبراطوريــة تدين بالفضل للرقيق ــ بالرغم من امتهانها لهــم ــ بمثــل ما تدين لهم به الامبراطورية الرومانية .

ويسجل التاريخ في القرن الاول بعد الميلاد ان ثلث سكان روما كانوا من العبيد ، وقد اخذ سكان المدينة يغرمون بامتلاك العبيد منذ اتساع رقعة مدينتهــم ، ففي خلال القرنين الاولين قبل الميلاد اسر الرومان خلال الحروب المحلية مئات الالاف من العبيد ، وكان تجار الرقيق يسيرون في اثر الجيوش الغازية لشراء الاسرى فور القبض عليهم في ميدان القتال ، وكانوا يشترون في بعض الاحيان جميع سكان المدن التي خربتها الحرب ، وقد استرق الرومان خمسة وثلاثين الفا من جنود جيش هانيبال سنة 201 ق م ، وبعــد سنوات اســرت رومــا من الاغريق اربعين الفا من الرقيق ، ثم من سردينيا مائــة وخمسين الفا .

وكان المرء يشاهــد في اســواق النخاسة بالمدن الكبرى عبيــدا من الجنسين ويسمــع مختلف اللغــات المعروفة ، ولما ضعفت موارد الرقيق حل محلها الرق بالولادة فبات سليل العبد عبدا .

وقد دفعت هذه المعاملة القاسية العبيد الى التمرد والثورة في كثير من الاحيــان ، واشهر هــذه الثورات الثورة التي قادها الزعيم « سبارتاكوس » وقــد الحــق بالجيش الروماني هزائم متوالية قبل ان ينهزم ويلقى حتفه في الميدان ، ولما اسر الرومــان ستــة الاف من جنوده قادوهم الى روما حيــث صلبوهــم في شوارعها ، وظلت اجسامهم معلقة نهبا للتعفن .

واذا كان العبيد قد لاقوا على يــد روما وحكامها وسادتها هذه المعاملة القاسية ، وهذا العنف المروع ، واذا كانت الكنيسة لم تبذل اي مجهود كبير او صغير في سبيل الدفاع عنهم او انقاذهم او حتى التخفيف عنهم ، فان الامبراطورية الرومانية مع ذلك مدينة لهم بالفضل الكبيـــــر .

وليست مدينة لهم فحسب بالاعمال المادية التــي كانوا يباشرون القيام للمحافظة على ازدهار الامبراطورية في الحقــول والمناجــم والمــدن والقرى والقصــور والاكواخ ولكنها مدينة لهم ايضــا لما ساهموا بــه من تزويد هذه الحضارة بحضارات بلادهم وثقافتهم وفنونهم وكل ما كانوا يحسنونه مما لا يحسنه الرومان .

فكان العبيد المتحضــرون المنتمــون الى سوريــا وبلاد الاغريق يشرفــون على منازل اسيادهم ويتولــون تنظيم مآدبهم ، ويعنون بزينة زوجاتهم ولباسهن، ويربون اولادهم ، ويقومون بتطبيبهــم وابداء المشورة لهــم ، ويكتبون رسائلهم، ويعنون ــ بصفة عامة ــ بكل شؤونهم، وقد اصبح كثيرون منهم ينتمون الى طبقات روما الراقية كاطباء ومدرسين ، ورجال فن وموسيقى واداب .

كان كثيــرون من هــؤلاء الاســرى ينتمــون الى الطبقات الممتازة في بلادهم قبل ان تنهزم جيوشهــم في ميدان القتال ، ولذلك كان الرومان يحرصون على ان يتعرفوا على عاداتهم واداتهم واساليب النبالة في بلادهم فقد اشترى روماني مثلا احد عشر عبــدا ليقوموا بســرد اشعارهم في الحفلات التي كان يقيمها ، واشترى اخر عبدا افريقيا مثقفا بمبلغ كبير من المال يساوي 125 الف درهم مما نعد اليوم ، ليقوم بمهمــة التدريس ، وكان كثيرون ممن يتقدمون للاضطلاع بمهــام الدولــة في مسابقات او مباريات او انتخابات يصحبون معهم عبــدا مستشارا ليذكرهم بما قد يغيب عن اذهانهم من اسماء او تواريخ او احداث .

وكان منهم من يقوم بسائر اعمال سيده ويكفل له الانصراف الى حياة التسلية والفراغ والجدة ، بل كان من العبيد من يملكون بدورهم عبيدا . ولأجل ان نتصور اهمية هؤلاء العبيد الاسياد يكفي ان نشير الى ان احدهم اشترى ستة عشر عبدا دفعة واحدة ، من بينهم طاهيان وثلاثة من الكتاب وطبيب ، وذلك ليصحبوه في رحلة هامة عقد العزم على القيام بها .

ومع مرور الزمن نسي اصل كثيرين منهم واصبحوا اعضاء عاملين في المجتمع يتمتعون بحقوقه ويقومون بواجباتهم ، ومن بين هؤلاء العبيد اثنان من انبغ ادباء روما ، احدهما الكاتب الروائي تورنس الذي كان عبدا لاحد الشيوخ ، وثانيهما الشاعر هوراس الشهير .

واذا كانت الكنيسة لم تدافع عنهم ، كما رأينا ، واذا كان التاريخ يكاد ينسى الدور الكبير الذي قاموا به على مدى القرون في تشييد صرح الحضارة الرومانية وتطعيمها والمحافظة عليها ، واذا كان الرومان قد ظلوا يعاملونهم بقسوتهم التقليدية دون ان يعترف لهم التاريخ بفضل كبير ، فان فيلسوفا وثنيا هو سينيكا كان الوحيد الذي اهاب بالرومان :

« تذكر ان ذلك الذي تدعوه عبدك ، ينتمي الى نفس المعدن الذي تنتمي اليه ، وتبتسم فوقه نفس السماوات وهو ايضا مثلك يتنفس ، ويحيا ، ويموت » .

ومرة اخرى : لا توجد امبراطورية تدين بالفضل للرقيق – بالرغم من امتهانها لهم – بمثل ما تدين لهم به الامبراطورية الرومانية .

الرباط – عبد المجيد بن جلون

— حظ الادباء —

قال رجل لبرنادشو : « ان لي سبعة اولاد . منهم ستة يريدون ان يكونوا ادباء ، والسابع يريد ان يكون صانعا

فقال برنادشو : « ولكن هل من العدل ان يصبح واحد من اولادك مكلفا باعالة اخوته الستة »

مطارحات مع الأدباء المعاصرين

عميد أدب القرن العشرين

الدكتور طه حسين

للدكتور زكي المحاسني

كنت يومئذ مدرسا للغة العربية وآدابها في التجهيزية الاولى ـ وكانت فريدة ـ بدمشق وانا غرانق في ميعة الصبا . كنت اكتب لطه حسين الشعلة الجديدة التي ارتفعت في سمائي ، ولا اتلقى منه جوابا ، فعجبت لصلف ادبائنا العظام ، وذكرت له في رسالة ضافية كيف ان « هنري روبير » نقيب المحامين في باريس لعهده ، قد تلقى يوما رسالة عجلى من فتى معجب به وبآثاره ، واذا الفتى يتلقى جوابا اعجل ، يدعوه فيه سيد المحامين الى السمر عنده في موعد مضروب ، فيقبل الفتى ، ويدخله الخدم الى بهو فسيح تعلقت الثريات في سقفه ، حتى لج الزائر الشاب على مضيفه قاعدة مجلسه ، في ردهة حافلة بجلة اهل الفكر والسياسة ودهاقين الادب .

وينهض « هنري روبير » فيمشي خطوات لتلقي زائره العزيز ، فيصافح يده بحرارة ـ كما تقول بلغة عصرنا ـ ويهزها هزا ثم يقدم اليه :

ـ الماريشال ليوتي ، مورو جياقيري النائب العام الاعظم ثم المحامي الاكبر ، نقولا سيفور صديق اناطول فرانس وكاتبه ، ثم طائفة من اهل القصة ورعاة الاقلام وافذاذ الصحافة الذين كانوا بحضرته يسمرون

حتى اذا انتهى السيد روبير من تقديم ضيفانه لزائره ، قال لهم بلهجة الجاد الفرح :

ـ صديقي السيد مارتان الذي كتب الي رسالة يبثني فيها اعجابه بي .

ولولا ثبات قلب ذلك الفتى في تلك الغمرة الغامرة ، والبهرة الحافلة ، لاغمي عليه من الخجل والدهش ، ان كان الخجل والدهشة يسببان الاغماء مثل الفزع والخوف .. كتبت كل هذا ، ولم اتلق جوابا من طه حسين وكنت اقيد رسالاتي اليه بالبريد المسجل المضمون ..

وانشأت في ذلك الحين مجلة الحديث الحلبية مسابقة كبرى موضوعها :

« من هو اديب العصر الافضل في دنيا العرب المحدثين » ؟

بل : « من هو اكبر اديب عربي معاصر » ؟ .

فوجدتها سانحة وصرخت بيني وبين نفسي صرخة الاغريقي العالم ، ارخميدس :

ـ وجدتها ، « اوريكا » .

فادليت دلوي بين الدلاء ـ كما كان يقول العرب في استعارات الجدود ـ وحبرت اوراقا كثرا بعد جهد ليال متتابعات ، في تفضيل الدكتور طه حسين على ادباء العصر جميعا ، وبت انتظر حتى اعلنت لجنة التفضيل ان موضوعي هو الذي نال الجائزة ونشرت تلك المجلة دراستي لحياة طه حسين وآثاره التي كانت قد ظهرت يومذاك ، وكان ثاني الفائزين كاتب فضل المقاد . وكانت الجائزة ثمينة تجيء في خمس ليرات ذهبية ، فلم تصل الي .

وضرب الدهر بيني وبين الجائزة حتى لقيني صاحبها الذي رصدها وهو الاقتصادي المشهور « سعيد الزعيم » رحمه الله ، فجعل يبارك فوزي ويسبغ التهنئة علي بجائزته وقد اعلمني مقدارها ، فدهشت وادهشته حين قلت له :

ـ لم اتسلم اية جائزة ..

ومن ذهابي بنفسي ، لم ارسل للدكتور طه

حسين خبر هذا الفوز به . وما راعني وانا فى غرفة التدريس الا المدير يبعث الي للقاء بعد الدرس، فخففت اليه واذا هو يسلمني رسالة من الدكتور طه حسين ، دفعها اليه الاستاذ عبد العزيز السيد وهو منطلق مع ركبه فى السيارة الى العراق ليكون مدرسا فى كلية الاداب ببغداد من قبل البعثة المصرية .

ففتحت الرسالة واذا هي بخط كاتبه فيها ثناء كبير على مقالي الفائز بتفضيله ، وكان مع الرسالة اول كتاب اهداه الي طه حسين وهو « الايام » وكان فى جزئه الاول ، لم تخرج بعد الى الوجود اجزاؤه التالية .

ومنذ ذلك اليوم جعلت كتبه تفد الي تجوما بين السنين ، حتى بعثت لتحصيل الدكتوراة فى الادب من الجامعة المصرية فسعيت اليه ، وجعل يأنس بي ويضفي علي التشجيع ، ومضى زمن ردني الى مصر ملحقا ثقافيا فى سفارتنا السورية بالقاهرة ، فكنا نقيم المآدب فيها بمناسبة مواسمنا الوطنية والتزم زورة طه حسين واداري زوجته ، واسعى الى تكريمه واذا هي ذات مرة تقبل متهاوية لتختطف من يده كاسا من عصير الليمون جئته بها وتقول بعنف :

— كلا انه يتبع حمية ... فجعل يقهقه ويعتذر .

وفى زورات متتالية كنت القاه فى منزله وافرح بلقائه فى سفارتنا بين حقولها الوارفة فى حي الزمالك .

وقال لي قائده التابع وامين سره على العمر الصديق الاستاذ فريد شحاته :

— تعال معنا حين ذهاب الدكتور ، فانه اهدى اليك مجموعة كتبه كلها ، وهو حدث لم يصنعه الا لقليل من خلصائه ..

فخففت ساعة توديعه ، وتلقيت رزما مغلقة، فلحق بي اديب ليشركني فى توديعه ، وقال لي ما هذا؟ فقلت له فى حذر :

— انها مخطوطات استعيرها من مكتبة العميد ..

وجعل من يزورني فى منزلي ينظر فيها ، وفى اهداءاتها المبصومة بخاتم الدكتور اذ كنت عرضتها فى خزانة ضاحية بحجرة الضيوف ، ومر زمن وهي فى رف متوسط خاص بها وليس عليها من رتاج ، واذا بي اطلب يوما بعضها فلا اجده ، ويصير بي التحقيق الى ان الفتيان ربما زارونا من عشاق الادب ، فجعلت ايديهم تمتد الى كتب الدكتور وحدها وتذهب بها ، حال غيابنا فى تحضير القهوة لهم ، او الخروج فجاة لسبب مطلوب ، وقد حدثت بهذا الدكتور ، فجعل يضحك ، وقال :

— جزاؤك الا تهدى من كتبي بعد اليوم .

وجئته منذ سنوات وانا على اهبة الطبعة الاولى لكتابي « المتنبي » (*) فسالني فى جمع من الزائرين من الديار الشامية جئت بهم اليه :

— ماذا تصنع الآن ... ؟

— الفت كتابا فى « المتنبي » وسيصدر فى طبعات دار المعارف بمصر وذكرتك فيه كثيرا ..

وهاهنا تحرك الدكتور العميد فى مجلسه وكان فيه ساكنا لايريم عن قعود ، وقال مخاطبا :

— انني لألوم صاحبك ابا الطيب ..

— وفيما يا سيدي الدكتور المعلم ..؟

— لانه تنكر اواخر عمره للعرب .

— وكيف يكون منه ذلك وهو امام الداعين الى العروبة ومجد العرب وجمع كلامهم وعهودهم ؟

— بامتداحه الفرس .

فهششت ، وجعلتني ابعث فى نفسه الحماسة لهذا الموضوع واذا هو يعاجل فى قوله لي :

— اخرج كتابك ، وسانقده .

فزادت هشاشتي وفرحت ، وقلت له :

— بابي انت وامي ، هذه بغيتي التي احب ان اراها بعد اعجابك بكتابي الاول « النواسي شاعر من عبقر ، سنة 1939 » .

فقال وهو يبتسم ثم يضحك ضحكة عريضة كضحكاته المعهودة :

— تفتأ ، يامحاسني ، تقول على لغة العرب الاقدمين : « بابي انت وامي » .

فجعلت اكررها له بنفس بهجة وقلب ممتليء بحبه ولسان يدعو له بالعمر المديد .

دمشق — الدكتور زكي المحاسني

(*) تقوم الآن دار المعارف بالقاهرة بطبع كتاب « المتنبي » للدكتور زكي المحاسني الطبعة الثالثة فى خمسة آلاف نسخة « دعوة الحق » .



(4)

العدو رقم واحد :

ونعني به هذا البذخ المصطنع الذي تتفيأ ظلاله طبقة الاقلية في بعض البلاد الافريقية ان لم نقل في اكثرها ، هذا البذخ الذي يبرز تناقضا غريبا في حياة بلاد فتية ما تزال حديثة عهد بالاستقلال ، وتبرز في واجهتها العريضة ما يمكن ان يسمى بعدم الجدية ـ ان لم نقل الاستهتار ـ في كل تخطيط يرمي الى تحقيق برامج النمو الاقتصادي الذي يكثر الحديث عنه في تلك البلاد ، وفي هذا الموضوع يعرض المسيو ديمونه لوحة في كتابه المشار اليه سابقا تبعث جوانبها على الكثير من الدهشة والاستغراب

ويقول المسيو ديمونه وهو يتحدث عن البلاد الافريقية التي كانت لها علاقة بفرنسا فيقول : « اننا نجد بها الآن 15 حكومة وما يزيد على ـ 15 وزيرا ومئات من اعضاء الدواوين والالاف من البرلمانيين ، فالكابون مثلا الذي لا يتجاوز عدد سكانه 450 الف نسمة يتوفر على 65 عضوا في البرلمان اي بمعدل نائب لكل ستة الاف شخص مقابل نائب لكل 100 الف شخص بفرنسا ، كما ان كل عضو في الديوان يستعمل سيارة رسمية ولا يتنقل الا في موكب رسمي محفوفا برجال الدراجات النارية ، وكثير منهم يحلم بحياة قصر الايليزي في حين ان الحفلات التي تنظم على شرف روساء الدول تكلف مبالغ باهظة ، لا تتناسب مطلقا مع الوضعية الاجتماعية لهذه البلاد ، فهنالك رئيس مثلا يتمنى ان ينزل في قصره الصغير الذي يعد فرساي في نظره ، فلم يكن له بد من ان يطلب السلف من الابناك السويسرية ، بل ان هناك من انفق اربعة مليارات قصد توسيع حديقة نزهته الامر الذي دعاه الى ان يستورد مئات الاطنان من الفسيفساء نقلت على متن الطائرة .

ان عضو البرلمان في بعض البلاد الافريقية يعمل ثلاثة شهور في السنة ويتقاضى كل شهر ما بين مائة وعشرين ومائة وخمسة وستين من الدولارات ،وهي نسبة تمثل ما يتقاضى البرلماني في شهر ونصف اكثر مما يحصل عليه الفلاح المتوسط خلال ثلاثين عاما من الكد والجد والمثابرة والمتاعب

ان بعض الوزراء والروساء يقومون بحفظ اموالهم لايام الشيخوخة في الابناك السويسرية ، اما زوجاتهم فيقمن بشراء المنازل الفخمة العصرية على شاطىء بحيرة ليمان للراحة والاستجمام »

هذا جانب من اللوحة التي عرضه المسيو ديمونه في كتابه « الانطلاقة الخاطئة لافريقيا » وهذا الجانب يصور امثلته الشاذة لما تعانيه الدول الافريقية من داء البذخ المصطنع الذي يبرز في خلاياه من المتناقضات التي تعيشها بعض الاقطار الافريقية وتعاني منها المجتمعات الصعوبات الجمة التي من شانها ان تزيل طابع الجدية في معركة التخلف .

فاي تخطيط للنمو لاقتصادي لا يمكن ان يتوفر على حظوظ النجاح الا اذا كانت الاستقامة والجدية تنحدران في ثناياه من القاعدة الى القمة ، ولئن كانت الاساليب التقنية ذات الطابع المادي الصرف تتحكم بدقتها الى حد بعيد في برامج التنمية،فان روح الاستقامة

والجدية تعد هي الاخرى الجو المناسب لتلك البرامج، ومتى اخل بشرط من هذين الشرطين ـ فبالاحرى كليهما ـ فان برامج التنمية لا يعدو ان تكون مجرد مسكن ينطوي مفعوله على الكثير من الغش والتضليل وذلك تكون عاقبته الفشل والخسران المبين ، وكثير من الامثلة التي يمكن ان تقدم كنماذج بمثل هذه الحالة الا اننا نوثر التنويه على التصريح .

الوحدة الافريقية :

ان كلمة الوحدة الافريقية تعتبر خفيفة على اللسان بيد انها ثقيلة في الميزان ذلك لان الوحدة لم تعد في عصرنا الحاضر مجرد شعارات ، ولا يكفي ان تكون مجرد شعارات ، واذا كان الشعر الموزون وغير الموزون يقيم بنيانها في قصائد خصبة الخيال رتيبة النغم رنينة الموسيقى فان بنيانها بالمواد العلمية والتقنية يختلف عن ذلك بكثير ويبتعد عن ذلك بكثير ايضا .

فمفاهيم العصر والعلم اصبحت تحتم ان يطرق امر الوحدة من ابوابه وليعتبر باب الاقتصاد هو الباب الموصل الى ابهاء وحدة افريقية حقيقية لان وحدة المشاعر هي وان كانت توخذ بعين الاعتبار فانها في حاجة الى تعزيز مادي ملموس يبرزها ويبلورها في الاطار الواقعي .

فافريقيا ما تزال قارة مستوردة فهي في ميدان النسيج تستورد كل سنة ما يعادل 900 مليون من الدولارات وفي ميدان القمح تستورد ما يعادل 160 مليون من الدولارات ، وفي ميدان اللحوم تستورد ما يتراوح ما بين 50، 60 مليون ، كما انها تستورد ما يساوي عشرين مليون من الحيتان ، و 13 مليون من الفواكه ، و 30 مليون من الخضروات .

ولن تكون افريقيا قوية الا اذا اصبحت منتجة او على الاقل يتوازن ما تستورده مع ما تصدره ، وفي اطار الوحدة يمكن تحقيق هذه الغاية .

ثم ان النمو الاقتصادي قبل ذلك وبعد ذلك ، ينبغي ان يصدر عن فكر ناضج في تفاعله ، واع كل الوعي في مسوؤلياته ، وتكون الجدية من اولى مميزاته ، ومن ابرز صفاته وخصائصه ان كل مطحية في التفكير الذي تضع تصاميم التخطيط ، وكل « عنترية » في التنفيذ ، انما يكونان حالة من حالات التجارب الفاشلة التي يعالج فيها الفشل احيانا بما هو افشل منه .

انه قد يكون من الصعب على قارة واسعة كافريقيا تضم 230 مليون نسمة يتكلمون لغات متعددة ويدينون بديانات مختلفة وينخفض مستوى دخل الفرد منهم في المتوسط عن 80 دولار في السنة ، قد يكون من الصعب ان تقوم مع هذه الحالة وحدة افريقية شاملة ولكن هذه العقبة لن تكون حائلا فيما بين الافارقة وارادة في تحقيق هذه الوحدة ، بيد ان الذي يسهل الصعوبات هو الاتفاق على اسس هذه الوحدة واساليبها ، وعلى ضوء التجارب الماضية والحاضرة يمكن تلخيص اسس الوحدة في النقط التالية :

1 ـ تصفية الاستعمار والتخلص من اثاره والقضاء على التمييز العنصري .

2 ـ التضامن على اساس التكافوء وعدم التدخل في الشوؤن الداخلية .

3 ـ تحقيق التقدم في المجالات المختلفة على اساس التكامل بين المشروعات والتعاون في التخطيط .

4 ـ اتخاذ موقف يحمي المصالح الافريقية والمنتوجات الافريقية بمزيد من القدرة على المساومة وادخال تعديل على شروط الاعانات الاجنبية .

5 ـ صيانة السلام والابتعاد بالقارة عن النزاع بين الكتل المتضاربة .

هذه هي الاسس ، اما الاساليب فيمكن تلخيصها في النقط الاتية :

1 ـ ان تعيد بعض الدول الافريقية المرتبطة بالسيادة الاجنبية النظر في الاستقلال عن مناطق النفوذ الاجنبي وان تراعي في علاقاتها الاقتصادية عدم الاضرار بمصالح شقيقاتها الافريقية .

2 ـ بذل المحاولات لدمج المنظمات الاقتصادية وتقويتها حتى تصبح قادرة على التخلص من سيطرة الاقتصاد الاجنبي .

3 ـ ان تفتح ابواب البلدان الافريقية للاستثمار المتبادل والاستثمار المشترك في المشروعات الضخمة التي لا تستطيع دولة وحدها ان تقوم بها

4 ـ ان تفتح الاسواق الافريقية للبضائع الافريقية مع التوسع في عقد الاتفاقات التجارية والملاحية والسياحيــــه .

5 ـ ان تبدأ اجهزة الاعلام الافريقية حملات منظمة تستهدف التوعية باهمية الوحدة الافريقية وذلك باساليب خالية من كل ديماغوجية ومركزة على قواعد علمية متينة .

تلك هي الاسس والوسائل التي يمكن ان تقوم على قواعدها وحدة افريقية تتحدث بلغة العصر وتكيف باساليبه وتتسلح باسلحته في معركة تنازع البقاء .

لقد وقع العديد من المحاولات لتحقيق الوحدة الافريقية سواء على مستوى الوقائع الاقليميــة او على مستوى القارة ، كما ان هذه المحاولات قد اتخذت اشكالا مختلفة بعضها اقتصادي صرف وبعضها سياسي صرف بينما البعض الاخر منها اتخذ الشعارين معا ، الا ان ما وقع من محاولات لحد الان لم يكتب له النجاح الكلي ولا حتى الجزئي في بعض الحالات ، بل ان بعض العراقيل التي تعرضت لها تلك المحاولات لتبعث على الحسرة والمرارة ، فلا المؤسسات الاقتصادية على اختلاف اسمائها ولا منظمة الوحدة الافريقية لمختلف فروعها استطاعت ان تقتحم الطريق في اتجاه الوحدة الافريقية او تبعث على الامل القوي في الوصول الى بلورتها ، وما تزال عبارات اللوم والعتاب في تبادل مستمر فيما بين الدول الافريقية بخصوص هذه القضية .

والواقع ان انعدام الواقعية والانسياق والعاطفة الجامعة والارتجال في اتخاذ المواقف وفقدان الجدية المستمرة كلها ، تعد اسبابا فيما تعرضت وتتعرض له منظمة الوحدة الافريقية من تضارب وخلل وارتجال ، وان كل محاولة ترمي الى اخفاء هذه الحقائق فانما هي محاولة لا تعدو ان تكون تسترا بالغربال تفاديا لحرارة الشمس ، وكانت النتيجة الحتمية لنقط الضعف هذه هي ما يتوالى امامنا من مشاهد مؤسفة في بعض الاجزاء من القارة الافريقية التي يتعرض البعض منها الى انقلابات متوالية يشد بعضها بتلابيب البعض .

ان لغة هذا العصر هي اللغة الاقتصادية ، فلقد اصبحت قوة العملة الوطنية تفوق قوة الجيش والمعدات العسكرية ، وقوة العملة لا تاتي الا بعنصر واحد لا شريك له ، ونعني به الانتاج وتعدده وتنوعه وجودته وبساطته ، وان تجربة اليابان ليمكن ان تكون قدوة حسنة للدول الافريقية ، كما ان جدية اليابان يصح لها ان تكون مثالا يحتذى في اكتساب لغة العصر واتقانها .

واذا كانت جوانب الاوضاع الاجتماعية في البلدان الافريقية غير متقاربة في بعض الاجزاء فان النجاح في رفع مستوى البعض من تلك الاوضاع سيكون عنصرا من اقوى العوامل التي تساعد على تقريب شقة ذلك التباعد ثم القضاء عليه فيما بعد ذلك .

« التنــازع في العمــل »

منذ ان استقلت البلاد الافريقيــة وهي تتعرض لعمليات التنازع في العمل من جراء الحرب الباردة القائمة فيما بين مختلف المعسكرات المتنازعة .

فكل معسكر يريد ان يكسب لنفســه تاثيــرا على بعض بلدان القارة ، فما يسمى بالبلاد الافرانكوفيلية ، يتبع البعض منها سبيلا يسعى الى الابقاء على « تقاليده » القديمة مع شيء من التكييف الذي يلائم عهد الاستقلال بينما البلاد الانجلوفيلية تسعى هي الاخرى الى سلوك طريق تبدو خطوطه العريضة في حظيرة الكومنويلث ، في حين ان دول المغرب العربي تقف معظمها موقفا يغاير الطرفين .

وتبدو مشاهد التنازع في العمـل الذي تقوم به الدول الكبرى على اختلاف ايديولوجيتها في تفاعل وصراع مستمرين .

واذا كانت الفاقة والاحتياج الناتج عن الضعف الذي ما يزال يعاني منه الانتاج في الدول الناميـة ما يعانيه ، يفرضان اللجوء احيانا الى هذا الفريق او ذاك من الاطراف المتنازعة ، فان خطة التحري الدقيق سواء في الاخذ او العطاء هي الســواء السبيل لسلوك سبيل سليم العواقب ، وذلك بالرغم عما قد يحيط بذلك من صعوبات فالتبعية العمياء هي التي من شانها ان تزج بالدول النامية في مازق يبدو مغلق المنافذ عليها في بعض الاحيان .

والبلاد الافريقية اذا كانت تسعى لكي لا تضــع نفسها في عزلة تامة ، فلا ينبغي ان تكون الى جانـــب ذلك مادة اولية في مظاهر الحرب الباردة .

ان عواقب الحرب الباردة شكلت وتشكل عواقب في سبيل اقرار السلام في جو يتميز بالصفاء في سبيل توفر الطمانينة والاستقرار لدى الدول النامية التي ما تزال تبحث عن نفسها وسط خضم هائل من التيارات المتعارضة والنظريات المتضاربة .

وازاء هذا الوضع الذي اصبح شرا لا بـد منه فان هنالك وسيلة واحدة لتلافي شراراته ، وهي تتلخص في سلوك سياسة مستقلة تفرض نفسها عن طريق تضامن محكم متين . فيما بين مختلف الدول النامية تبنى اولا وقبل كل شيء على الحفاظ على المصالح ، لا على الانسياق مع الايديولوجيات المتعارضة التي اصبح تعارضها يشكل نوعا من الكماليات وهواية من الهوايات .

وقد تبدو عوامل هذا التضامن في مظهر صعـب ، بيد ان تكاثر الدول المتضامنة يمكن ان يخفف من تلك الصعوبة ليفرض نفسه فرضا فيما بعد ذلك .

ولقد عودتنا مختلف المشاهد والمواقـف التـي تشخص ادوار «التنازع في العمل» ان «طعم» الاعانات على اختلاف اشكالها واصنافها هو الذي يضعه الصيادون لقنص ما يمكن قنصه ، وتجد بعض الدول النامية نفسها وبحكم اوضاعها في حالة اضطرار لا تجد معها محيدا من الاقتراب الى ذلك « الطعم » فيقع اصطيادها .

انها حالة واقعية لا يمكن اغفالها او التغافل عنها ، بيد ان مواقف متضامنة تظهر بها الدول النامية في شكل لا يعتريه بتر ولا انقطاع تستطيع ان تغيـر من عقليـة الصيادين فتحول حالة الاصطياد الى حالـة من التعاون الذي يلائم فيما بين المنفعة من جهة ، وشيء ولو قليل من احترام مواقف الغير .

ولكي تستطيع الدول النامية ان تتفادى هذا التنازع في العمل الذي تعاني من امره الامرين فانه يحسن ان تقدم كل الاعانات من طرف الدول الصناعية الى الدول النامية عن طريق الامم المتحدة ، حتى لا تكون هـذه الاعانات وهي تتخذ شكل الرشوة في البعض من صورها ، او بعبارة اكثر مرونة حتى لا تظل الشروط التي تتخذ شكلا من اشكال التبعية والتاثير تتحكم في مبدا تقديـم تلك المـساعدات ، وليس معنى هذا ان الدول النامـيـة ينبغي ان تحيط نفسها بظروف انعزالية ، وانما الذي نعنيه ونكرره هو ان تكون حرة في الاختيار والا تفرض عليها المواقف في مقابل الاعانات .

والخلاصة ان البلاد النامية والافريقية منها توجد كما قلنا في مطلع هذه السلسلة بين طريقين : احدهما يؤدي الى الاستقرار ، والثاني يفضي بها الى ما يعانيه البعض منها من قلاقل ناتجـة ، اما عن ارتجال او سوء تصرف او انحراف ، وكل من الارتجال وسوء التصرف يؤديان الى الاسباب والعواقـب التـي اشرنا الى مـا استطعنا ان نشير اليه منها « حتى لا تنقلب نعمة الاستقلال الى جحود وعقوق .

الربـاط ــ احمد زيـاد



تراثنا القصصي

للأستاذ محمد الأمري

هناك حقيقة لامراء فيها ، وهي وجود تراث قصصي عربي ، يرجع بعضه الى ما قبل الاسلام ، بينما يرجع البعض الاخر الى مختلف العصور الاسلامية ، فهناك قصص البطولات الممثلة في ايام العرب ، وسيرة عنترة ، وسيف ابن ذي يزن ، وابي زيد الهلالي وغيرها ، وهناك القصص الديني الممثل في قصص الانبياء ، والغزوات الى غير ذلك ، وهناك القصص الغرامي العذري الذي تندرج تحته سيرة عنترة وقصة حبه لعبلة . وقيس وليلى وقيس ولبنى . بينما يشمل النوع الاباحي ، اخبار امريء القيس ، والنابغة الذبياني ، وعمر بن ابي ربيعة ، وثمت ايضا القصص الاخباري او الاجتماعي الذي تحفل به « الف ليلة وليلة » و « الاغاني » للاصفهاني و « البخلاء » و « الحيوان » للجاحظ .

على ان الذي يثير الانتباه عدم انتساب قسط وافر من هذه القصص الى مؤلف بعينه ، على عكس ما هو معروف بالنسبة لفنون الادب الاخرى ، وصحيح اننا نعلم اسماء بعض الرواة او المترجمين او الجامعين من مثل عبد الله ابن المقفع ، ناقل « كليلة ودمنة » من الفارسية الى العربية ، ومثل ابن عربشاه الذي اعتمد في كتابه « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » على كتاب « مرزبان نامه » وسيرة عنترة التي يعزى تدوينها الى الاصمعي ، ثم يوسف بن اسماعيل المصري فيما بعد بايعاز من الخليفة الفاطمي العزيز بالله . اما المؤلفون الحقيقيون لتلك القصص والحكايات فنحن نجهلهم تمام الجهل ، ولا نعرف عنهم اي شيء ، ويبدو انها قصص شعبية تناقلتها الرواة ، وحكوها في ليالي السمر ، في الخيام او الشوارع والساحات العامة ، وخارج اسوار المدن في العشايا والليالي المقمرة ، وفي المساجد كذلك بالنسبة للقصص الديني . وغالبا ما كانت تدخلها تحويرات وتضاف اليها اضافات على مر الازمان الى ان تم تدوينها على عهد العباسين والفاطميين .

على ان الامر يختلف بالنسبة للقصص اللغوي مثلما يختلف بالنسبة للقصص الفلسفي ، حيث لا نعدم اسماء ترتبط بكل النوعين من القصص . وبديهي ان تتبادر الى اذهاننا فيما يتصل بالنوع الاول اسماء كبديع الزمان الهمذاني . والحريري بينما نعرف اسماء ترتبط بالنوع الثاني ، كابي العلاء المعري في « رسالة الغفران » وابن شهيد الاندلسي في « التوابع والزوابع » وابن الهبارية في « الصادح والباغم » وابن الطفيل في « حي ابن يقظان »

وعلى الرغم مما قيل عن المقامات فانها فن عربي ذو صبغة قصصية ، له اصوله وقواعده الخاصة به . فالراوي مثلا واحد في جميع المقامات ، وهو عيسى بن هشام عند الهمذاني ، والحارث بن همام عند الحريري ، وكذلك الامر بالنسبة للبطل . وهو ابو الفتح الاسكندري عند الاول ، وابو زيد السروجي عند الثاني ، والامر كذلك على الرغم من تعدد مواضيع المقامات التي قد تكون مغامرة ، او نادرة ، او لغزا لغويا ، او برهانا نحويا ، او ملحة ادبية ، وظاهر انها تمتاز بعناية فائقة بالاسلوب لدرجة خيل لكثيرين معها انه الغاية الاولى من هذا النوع من الادب الذي يستنكفون عن ادراجه في

عداد القصة ، وواضح ايضا ان عنصري التشرد والاحتيال اساسيان فيها كذلك

على اننا لسنا ندري سببا وجيها لعدم ادماج المقامة في الفن القصصي ، وليس من المنطق مطلقا اخضاع نتاجات ادبية قديمة لمقاييس ومفاهيم نقدية جديدة ، وقد سبق ان وقفنا (1) على مختلف التطورات التي قطعتها الرواية والقصة الاوربية التي لم تعرف الجمود والتقيد بمختلف المقاييس مما يسمى احيانا اسس الرواية او القصة ، وقد راينا كيف كانت تقوض هذه وتلك . ولسنا نرى هذا الذي يذهب هذا المذهب الا كالذي يمكن ان يزعم عدم وجود شعر عربي بحجة ان هذا الذي عند العرب لا يخضع لاسس بناء الشعر الاوربي او لا يجري على نسقه او كما ان الشعر العربي موجود وله اصالة ، ويتفق والروح العربي والكيان العربي كذلك ، فان مثل ذلك يقال عن القصة العربية وضمنها المقامة ، ذلك ان القصة لازمة للانسان ايسما وجد الانسان ، لزوم الشعر والغناء له ايتما كان ، يمني بها نفسه ، ويخفف بها من وطأة الحياة والطبيعة عليه ، فكان يأتنس بها ، ويقطع بها وحشة الليالي الداجية ، واوقات فراغه العريضة ، انها كانت له بمثابة المسارح والمقاهي ودور العرض والملاهي . والعرب كغيرهم من الامم انشأوها انشاءا ، وترجموها او اقتبسوها ، ثم صبغوها بصبغتهم الخاصة ، وكانت لهم التقاءات مع غيرهم من الشعوب . ومنها الاوربية في كثير من الجوانب ، وكانت لهم اختلافات مع هؤلاء واولئك في البعض الاخر ، مثلما هو حاصل تماما في الاختلاف الموجود في مضمار الشعر والفن المعماري ، وكل ذلك لا ينفي عنها سمة القصة ، والا لصح ان يقال : ليس للعرب فن لانهم كانوا لا يعتمدون على الصور والرسوم وابداع التماثيل . يعيبون على التراث القصصي عند العرب انه تعوزه الحبكة الفنية ويعتمد على السرد الساذج البسيط ، كما يعتمد في غالبه على الرواية اي (العنعنة) في اصطلاح علماء الحديث ، وهذا يحملنا على التساؤل : هل توفرت القصة عند الشعوب الاخرى على الحبكة الفنية منذ نشأتها ؟ وهل كانت تتوفر منذ البداية على سبر الاغوار الانسانية دون الاعتماد على الخوارق والمغيبات كما يعاب على القصة العربية ؟ وهل احتفظت بسمات خاصة لأمد طويل ؟ ذلك ما لا يذهب اليه احد ، وصحيح ان السرد الواضح البسيط او المستقيم ان صح التعبير من سمات القصة العربية ، ولعل ذلك يرجع الى عوامل عدة : منها تحرر العربي من المركبات والعقد ، والتزام الصراحة ، وعدم اللجوء الى الغموض والاجترار . وصحيح كذلك ان القصة العربية تعتمد في معظمها على الرواية اي (العنعنة) ، ذلك انها ظاهرة لازمت العربي منذ اقدم العصور ، رواية الشعر ، ورواية الخطبة ، ورواية الخبر والمثل ، حفاظا على نسبة كل منها الى مصدره عن طريق رواة معروفين ، اضيف الى ذلك فيما بعد ، ما اتسم به علماء الحديث من تشديد في الرواية ، صونا للحديث الشريف وحفاظا عليه من التزوير والاختلاق والوضع ، فكان من الطبيعي اذن ان تعتمد القصة هي الاخرى على الرواية ، بالنظر الى ما كان لها من اهمية كما ذكر سابقا الا ان اعتمادها هنا واضح ، انه من الناحية الشكلية في الغالب

ويعيبون على المقامة انها تعنى بالاسلوب ، وما العيب في ذلك ؟ بل اننا نرى ان الامر كان طبيعيا ، فمقابل القصص الشعبي الذي يمتاز بالبساطة وسهولة الاسلوب ، كان لا بد ان ينشأ نوع من القصص يعنى غاية العناية بالاسلوب ، يرضي الخاصة ، ويستجيب لمقتضيات التطور الذي قطعه النثر الفني ، ومن يدري انها كانت تهدف في نفس الوقت الى رفع مستوى العامة ، فقد كانت تلقى بالمساجد ، ولم تكن المساجد وقفا على الخاصة دون العامة ، الا ترى ان القصص الفلسفي نفسه كان يهدف الى تقريب بعض الاراء والتأملات الفلسفية من اذهان العامة (2) ، فالمقامات اذن قصص بصرف النظر عن غاياتها واهدافها ، وبالرغم من ان اصحابها لم يسموها بذلك ، ومثل ذلك سنقوله في مقال تال عن القصص الفلسفي عند العرب

---

1) مقال « في ميدان القصة » (دعوة الحق) السنة الثامنة ، العدد الثامن .

2) سنعرض الى ذلك في مقال خاص عن « القصة والفلسفة الاسلامية » .

كان للعرب شعر ، ولكن على طريقتهم الخاصة . وكان لهم فن معماري على طريقتهم الخاصة . وكان لهم كذلك قصص ولكن على طريقتهم الخاصة ايضا . ويوم ان احتكت الامم بالامم ، وطويت المسافات وحصل بينها احتكاك ، بصرف النظر عن اهداف هذا الاحتكاك ودواعيه ، كان من الطبيعي ان تستفيد الامم المتأخرة من بعض الكشوف العلمية على اختلافها مما ربطت به الامم المتحضرة حلقات التسلسل الحضاري الذي ساهمت في بنائه دول مختلفة ، وكان من الطبيعي كذلك ان تتأثر او تحاول التأثر بها في ميدان الادب والفن كذلك ، وقدر لنا نحن العرب ان نكون من هؤلاء المتأثرين او الذين يحاولون التأثر ، فشعرنا بحاجتنا الى رواية مسرحية ، واوجدناها ، وحلا لبعض شعرائنا ان يتركوا العمود القديم ، واصبح لنا قصاصون يجيدون كتابة القصة ، طويلة كانت او قصيرة ، واصبحنا نستفيد من النظريات النقدية ومختلف المفاهيم في مختلف انتاجاتنا الادبية ، وما من ضير في ذلك ، بل انه نتيجة حتمية للاحتكاك والتطور والتمثل .

الرباط ــ محمد الامري

ــ من الجنة او من النار ؟ ــ

قرا شخص في احدى الصحف نبأ وفاته ، فامسك بالتليفون ، واتصل بصديق له قائلا : هل اطلعت على الخبر المنشور اليوم عني ... ؟

فاجابه الصديق : نعم ، من اي مكان تكلمني ، ؟ من الجنة ام النار ؟ » .

شكسبير والانفعالات النفسية

بقلم فرانسوا كارير

تقديم وتلخيص الأستاذ حسن المنيعي

عندما سئل الاستاذ اندريه موروا عن شكسبير أجاب قائلا : « ان شكسبير لن يشيخ او ينطفىء نوره ، لانه تمكن من معرفة خبايا النفوس ، وصور كل العواطف الانسانية ، ويستطيع كل فرد أن يجد نفسه منعكسة او متألقة في ثنايا أبطاله .. وفي هذه اللحظة بالذات يوجد في كل عاصمة طالب هامليتي يحيا ويكابد انواع الالم ، بل في كل يوم يقتل عطيل «ديدمونة» وتقطر اعمدة الجرائد بذكر جريمة قام بها عاشق ولهان .. وانا شخصيا كم تعرفت على الملك « لير » وبناته المسوخات في اكثر من عائلة بورجوازية . »

كذلك كان جواب الاديب الفرنسي ، وهو يعطي دليلا قاطعا على ان « وليم شكسبير » لا زال يقيم بيننا ، يخوض النقاد والمفكرون في ثنايا مسرحه ، دون الوصول الى تأويل موحد . فمنهم من يراه قصير الابعاد ، وسجلا تاريخيا لاتتعدى حدوده نطاق العصر الاليزابيتي ؛ ومنهم من يلمس في عالمه كل التمزق الوجودي ويجعله علما من اعلام العصر الحديث ، له قرابة بسارتر وكامو ، وكافكا ، ويونسكو ، وبرخته وتنيسر عقدته الروائية دراسة آثار كل هؤلاء . في حين نجد كذلك من يستقد ان مسرحه يتسم بايديولوجيات عديدة كالاشتراكية مثلا التي قيل ان البعض وجد لها ارهاصات في مسرحيته «سورتوماس مور» وان كانت المسرحية هذه مثار نقاش عنيف ومجرد مشروع ساهم في كتابته العملاق الدرامي شكسبير الى جانب جماعة من معاصريه .

ومهما كان الامر فالظاهر ان الرجل أصبح محط الدراسات المتينة اذ في كل يوم تطلع علينا ترجمات حديثة لمسرحه تقتحم جماهير عديدة ، واقتباسات فنية تعيد لكل اثر قيمته الادبية الحقيقية . وحسبي ان أقدم في هذا المجال ملخصا لاحدى الدراسات التي التي قام بها الاستاذ فرنسوا كارير (F. Carrère) وعمل على نشرها بالتتابع في حوليات كلية الآداب لمدينة (Aix-en-Provence) ساعيا من وراء ذلك الى الغوص في أعماق المسرح الشكسبيري المليء بالخصوبة والتشعب والوقوف على جانب الصراع النفسي عند الابطال والمولد لانفعالاتهم . يقول الاستاذ :

« ... ان مسألة طرح الانفعالات في المسرح الشكسبيري ترغمنا في البداية على مواجهة مشكل شائك ينحصر في التطلع الى خصائص مسرح شكسبير ومدى حقيقته ، فاذا اخذنا بعين الاعتبار ما فاه به مشاهير النقاد منذ القرن الثامن عشر ، اثبتنا ان ابطال شكسبير يشبهون سائر المخلوقات في واقعيتهم ومعترك حياتهم . وقد نحس بهم كما يقول « بوب » « Pope » اذا نحن اعتبرناهم نسخة من الواقع ، لانهم الطبيعة ذاتها . على انه مهما تعددت الاقوال، فاننا نتسرع الى تقرير شيء صريح وهو أن نوبات الانفعال التي تستولي على اشخاص مسرحيات شكسبير لا تشبه في شيء ما ندركه في واقع الحياة من احوال نفسية شبيهة بما يضطرم في أعماق هؤلاء الاشخاص ، لان التاريخ الدرامي وان كان يرتكز عند شكسبير على قاعدة منتزعة من الواقع ، فانه عندما يمسرح يصبح خاليا من كل اثر له صلة بالواقع . وحتى شكسبير نفسه لاينسى ان أساس الانفعال هو بالنسبة للمتفرجين محدود في سلسلة من الصراخ الصامت ، أو التنهدات ، والمنلوجات الداخلية الخالية من القوة المقنعة ؛ وهو يعرف ايضا كما نرى ذلك من

خلال نصائح « هملت » للممثلين ، ان الفواجع لاتفهم في عقدتها وعمقها الا على خشبة المسرح ، وهذا التصوير الدرامي لانستطيع ادراكه دون مراعاة المقاييس المسرحية التي تيسر البحث امامنا . لذا فما علينا الا ان نشير الى انه اذا كان المسرح الشكسبيري خاضعا لمقاييس خاصة به ، فان المسرح الاغريقي له كذلك مقاييسه ، وكذا مسرح النهضة الايطالية، ومسرحيات القرن الثامن عشر وما كتب في ايامنا هذه ، اذ لايطالب بهذه المقاييس الا المؤلف الهزيل لانها لاتخص جانب المسرح فقط بل تشمل جميع الفنون .

ان شكسبير قد جرب فن الاداء المسرحي ، وهذا ما حفزه الى الابتعاد عن كل محاولة تجعله ينقل في صورة تاريخية حية جميع الانفعالات التي كان يحشد بها مشاهده ؛ لذا يئس عشاق التاريخ في بحثهم عن فوائد المجتمعات والازمنة التي تتحدث عنها مسرحياته ، وتيقنوا ان عمله كان يقتصر على طرح مجرى نوبة الانفعال باتباع منهج سطحي لاغير ، بمكنه من ترتيب الاحداث والمشاهد وتصنيف الكلمات باعتبارها مقاييس نظرية . فبهذه الطريقة التي يتوخاها شكسبير تفرض في الوقت نفسه ان تتدفق الحقيقة الدرامية للانفعالات ، طبقا لقوانين مخالفة للواقع يصعب الوقوف عليها او دراستها في حركات الابطال؛ لانه مهما كان هؤلاء يتنقلون فوق الخشبة او يعبرون عن احساسات وأفكار لها اتصال بعلم النفس ؛ فانهم ليسوا سوى مخلوقات مبتدعة تتلون بمحض الدراما المسرحية لا بمحض الحياة التي تنطق بمسالم وجودهم . وعليه فان شكسبير كان عوض أن ينغمس في جزئيات علم النفس ، يسلط ريشته كفنان على ابطاله في جل ما يصدر منهم ، مما جعل سيكلوجيته في منتهى البساطة حيث الاشخاص ينقسمون الى اخيار واشرار، منهم من يجري وراء الخير او الشر بدافع الفضيلة ، ومنهم من يقترف الجرائم وان كان يراها تخالف القيم الخلقية ؛ وربما اضطر بعضهم الى الفتك بقريبه وفي قرارة نفسه انه قام بعمل فاضل . لذا فالطباع الشكسبيرية اذا لم تنفصم بحكم الحادث الذي يقودها ، فانها ترتبط دائما فيما بينها ، وتجعل من المستحيل دراستها متجزئة . ومن هناك فان دراستنا السيكلوجية للابطال لابد وان تعرض كل واحد منهم في مرحلة معينة ؛ لان البطل المسرحي لاشيء سوى ما يقوم به او ما يتلقاه، «فهملت» مثلا لم يقم بادنى حركة وانما كان منشغلا بحقائق مطلقة وبمشاكل ميتافزيقية؛ والشخص المنفعل يتمظهر اما بحركاته « كبرتوس » عندما اودى بحياة « يوليوس قيصر » ؛ أو بتعلقه بشخص ثاني « كانطوان » عندما داهمه حب « كيلوبترا » ، و « عطيل » الذي انقاد لكلام « ياجو » . فحالة هذا الشخص المنفعل في شقائه او سعادته لا تجلو فيما هو عليه بل فيما يقوم به . ولذا فان هذه الحالات تغدو ، كما نرى ، غريبة عن حياتنا المشتركة حيث مفهوم السعادة عند البعض يتلخص في عدم القيام بشيء ، والحياة عند الكثير شيء زري لا يدعو الى القيام بادنى مبادرة ...

والآن وبعد ان قدمنا تعريفا للشخص المنفعل يلزمنا ان نتعرف عليه في كليته ، ونتطلع الى الظروف والاسباب التي تجعله فريسة الانفعالات . وهنا نسرع الى القول ان شكسبير كانت لديه نظرة خاصة بالانفعال ، لان ابطال مسرحياته الذين يرتكبون الفظائع هم في حقيقة الخيال المسرحي نماذج بشرية لها أصل نبيل وحكمة سامية وبصيرة ثاقبة وشجاعة فائقة . فبرتوس يقوم بجريمته باسم الحكمة ، وكورنيان ، وان كان يتشبث بالفضائل ، يحمل في نفسه كل الحقد والكراهية لاشباهه من الناس . اما انطوان الجندي الباسل فان حبه الشديد لكليوباترة انساه واجباته وقوض عزيمته الصلبة . والامثلة في ذلك كثيرة ، على اننا لو تمادينا في التحليل ادركنا أن هذا البطل المنفعل كان يملك السعادة الشاملة في المرحلة الاولى لما يقوم به من اعمال شريفة ، لكن سعادته تصبح مرتعا للشقاء . فهذا عطيل يكسب ثقة حكومة البندقية لبلائه في الحروب ويستحوذ على قلب ديدمونة بميزاته وبما وصلها من اخباره الحربية . بيد ان هذا الحب اللامتوقع يكون سببا في مصيبته لانه سوف ينسيه ماضيه المجيد ، ويلقي به في قبضة الحساد . كذلك « مكبث » القائد المنتصر والمخلص لواجبه ، يدفعه طموحه الى تسلق الدرجات العليا، ويضمن له تاج الملوك ثم يجعله غائصا في جرائم شتى.

اذن ، من خلال تولد الانفعالات نلاحظ أن الكارثة في كل مسرحية اساسها زلات لا تصدر بمحض ارادة اصحابها ، وان كانوا يرتكبونها مبدئيا في سبيل هدف خيري . ففي الملهاة مثلا نرى ان شرذمة الارستقراطيين في مسرحية « آلام الحب الضائع » يتوقون الى التحصيل العلمي معتزلين عن الحياة حتى لاتغريهم مفاتن المراة التي يرون فيها حاجزا لبلوغ المعارف . الا ان طموحهم المنفعل يكون مآله الفشل؛ وبما ان الموضوع هزلي فانهم لم يضيعوا شيئا لانه

مهما خسروا فى دراستهم فقد استطاعوا التقرب من الفتيات الجميلات ؛ فى حين نرى أن تولد هذه الانفعالات فى الدراما شبيه بما هو عليه فى الملهاة لو لم ينتج عنه ما كان يتمناه ارسطو من خشية وشفقة ، فاذا كان عطيل قد التزم طريق الشك القاتل الذي اغرقه فيه باجو ، فانه كان ينوي من وراء ذلك التيقن من فضيلة ديدمونة التي هي جوهر وجوده . واذا كان مكبث يلتزم مهنة الاجرام فما ذلك الا خضوعا لزوجته التي زينت له اهداف تلك المهنة وصلاحيتها كطريق للخلاص . وهكذا فالجمهور المتفرج لاينزع تقديره عن هؤلاء الاشخاص ولو كانت اعمالهم شنيعة لانهم يقومون بها دائما فى خدمة مبادىء صالحة .

ومن جهة اخرى يخيل الينا ، وكان تولد الانفعالات عند شكسبير يفرض ضغط وحدة الزمن التي كان معمولا بها عند كتاب المدرسة الاتباعية الفرنسية ، اذ أن عملية الضغط هذه كانت عند ادبينا حصيلة طغيان الانفعال الذي يتكفل حدود الزمن بتطويره . ففي مسرحية عطيل يبدو أن ساعات قليلة كانت تفصل بين بروز الشك فى نفس عطيل وبين الجريمة التي قام بها . وفى مكبث نشاهد ، بعد مرور يوم على الجريمة ، بوابا طاشت الخمر بلبه فامسى يقذف كلاما مبتذلا ويطرق احدى الابواب . اذ من خلال مداعباته البذيئة نستطيع رؤية التدفق الدرامي للزمن : كان ذلك فى لحظة قصيرة ، وكان فى مقدور مكبث ان يعدل فى ذلك المساء عن تسخير خنجره القاتل ولكنه لم يقو على صد نفسه ، ولذا فالبواب اليوم لا تتمكن دقاته الرهيبة من ايقاظ الموتى .

ان الانفعالات تنمو مع الزمن وسرعة جريانه وسط عاصفة هدامة يستحيل تهدئتها ؛ وعليه فما هو سر القوة الخارقة التي تلقي بهؤلاء الافاضل فى خضم دوامة الانفعال وتدفعهم الى الهلاك ؟ يرى شكسبير ومعاصروه من المفكرين ان ما يميز الانسان ويجعله ساميا على غيره هو امكانية فعله وطاقته . وفى نظره ايضا ان العمل المباشر فى نطاق الحرية يحقق سعادة الوجود ، بينما تسلم العاطفة البشرية النفس الى سائر الامراض خصوصا منها فقدان الحركة الواعية التي احس هملت بوطأتها فصاح فى وجه « هوراتيو » الذي لايعرف معنى الانفعال ، قائلا : « دلني على رجل لا يعرف قيود الانفعال لاجعل له مكانا فى قلبي كما فعلت بالنسبة اليك ... » وان وضع حل لمشكلة الانفعالات وصيانة الانسان من سطوتها القاسية يتطلب منا دراية صحيحة بالاعمال الفاضلة وهداية الافراد الى سبيلها باعدام تدخل كل عاطفة مقدرة . ولا حاجة الى التنبيه هنا أنه اذا كانت المذاهب الخلقية الشكسبيرية تنفي فكرة الاله ، فانها تفعل ذلك بالنسبة للاثم ؛ وعليه تبقى الفضيلة عند شكسبير اسمى فكرة لانها هي الكفيلة وحدها بتأكيد نقاء الفرد الذي يعمل فى حرية باتفاق مع القوانين المتأصلة فى جذوره . ويظهر ان شكسبير هو فريد عصره الذي تنبه الى قيمة العمل ، فكل فعل مهما كان اختياريا لا يمكننا التلفظ بصلاحيته او قيمته ، لذا فالقاريء لمسرحية « ترايلوس وكرسيدا » التي تقدم مطارحة فى نظرية القيمة يستنتج من قراءته ان صفات الانسان مهما كانت تبقى عقيمة لا فائدة منها اذا لم يكن هذا الانسان يسعى الى تمكين الغير من عمل خيري صالح . وهذه الفكرة تتردد كثيرا فى آثار شكسبير ، ولا جدال فى مضمونها الذي يرتكز على شيء واحد: وهو ان كل ما نملكه من خيرات لا نفع فيه ، مادمنا نحرم اشباهنا منه . ثم انها ميزة خاصة بشكسبير ، ويظهر ان مفكرنا استطاع بواسطتها ان يحقق التقاء مع ما يمليه الانجيل وما كانت تدعو اليه نهضة الحركة الانسانية فى عصره؛ وهو ان سيرة الناس لابد أن ترتكز على الروح الحازمة على شرط ان تعودها حب الغير .

هذه الملاحظات التي ابديناها قد تكون ذات فعالية فى ايضاح طبيعة اليأس الهاملتي الذي بقي غامضا الى الآن . فمن البديهي ان امير الدانمارك كان يتمزق لعدم قدرته على القيام بشيء ، ويأسه هذا كان سبب العقم الذي استبد بفكره واملى عليه عدالة ضيقة ، فى الوقت الذي كان فيه الشباب الدانماركي متحمسا ينتظر منه اعمالا بناءة . وهكذا فان مشكلة اليأس والقلق تبرز ضمنيا فى جميع الملاهي الشكسبيرية . ولما كان اليائسون يرون خلو الحياة من كل معنى الهمهم شكسبير الى محو هذه النظرة عن طريق العمل الفاضل كما فعلت ذلك « فيولا » فى مسرحية « ليلة الملوك » .

وثمة شيء آخر وهو ان شكسبير يحاول دائما ان يعرض ابطاله وقد وصلوا الى اقصى ما يصل اليه الانسان بما لديهم من استعدادات ومواهب . على ان هذا السمو فى مسرحياته وكذا فى التراجيديا الاغريقية ينتهي دوما بمصرع اليم لان الانسان لا يتأتى له ان ينتعش دائما بمصير خارق ، وهذا المصرع وسط حياة منفعلة يحدو بالبطل الى استعراض سعادته الاولى

ثم يركن به الى سلبية ممقوتة تجرده من خصاله النبيلة التي تعـوزه ، وتخونه آنذاك ، كما تتاخر في مساعدته اثنـاء الشـدة .

هذا الفعل الدرامي اذن لا وجود له في حياتنـا اليومية لانه مهما كان هدفه نبيلا نحو الغير ، فانـه لايعرف غير الدمار الذي تمليه الفضيلة التـي كـانت سبب حدوثه ، وهو يتجلي في جل آثـار شكسبيـر وكانه حصيلة دوامة الانفعالات او كما يقـول هملت: « انه يفقد اسم فعل » ، ومتى انعدمت طاقة الفعـل عند المنفعل الشكسبيري اصبح هذا الاخير مزعـزع الكيان مضطرب الجسد والعقل تتطلب حالته عيـادة طبية لا علاجـا يرتكز على مقاييس المسرح ، الشيء الذي حذا بشكسبير الى اقادتنا في مسرحه ان طاقـة التفكير عند ابطاله كانت تشكـو التهابا مريـرا ممـا جعلنا نشاهد عند هؤلاء نقصا تصاعديا في التفكيـر بحدته الغضب والطمـوح والغيرة والحب العنيف: فبرتوس كان يتألم للتغييرات التي طرات على تفكيـره وسولت له القتك بيوليـوس قيصر . وهملت رغـم نبوغه ورصانة تخميناته فقد كل توازن عقلـي واحس بتناقضات وعتاهات عابرة . وهكذا لمسنا من جـراء ذلك ان المنفعل أمسى وكانه عاجز عن التفكير وكبـح جماح نفسـه ، ينطق فيه كل شيء بمظهره الخارجـي وحالته النفسية ، فتراه يستبد به الخوف وتتوتـر اعصابه ، ويشمله تصدع في جسده ، يزرع فيه كـل انـواع الانحراف العقلي ، ويتركـه فريسة اوهـام وهواجس ، لايقدر عن النوم بسـببها كما حدث لمكبث، او طريد اخيلة رهيبة كهملت الذي يهدده طيف والده ويتراءى له في كل شيء ، او « ليـر » الذي لم يشعر بقساوة البرد والعواطف عندما كان يحاكم بناتـه في جلسة خـارقـة .

في جميع هذه الاحوال يصبح العالم الحقيقـي بالنسبة لهؤلاء ميدانا لخيال فاتك ينسجه احد الاعضاء المصابـة . على أن الابطـال الشكسبيريين رغم مـا يلحقهم من خلل في عقولهم يعتقدون في امكانية الحصول على علاج وان استحال الامر ، ولذا يصيح «هملت» من اعماقه : « الى العمل يا دماغي » ويتيه عطيل عـوض أن يجعل حدا للشك المستبد به ، في منلوجات الانسان النائم اليقظ . هذه الظاهرة الاليمة التي تدفع العقـل الى البحث عن منفذ بدون جدوى تعبر عنها حلكـات الليل ، التي هي اطار المنفعل البعيد عن عالم الواقـع، والعواطف الداخلية الدفينة التي اوعـزت الى هاملت

تعذيب اوزفيليا وامـه ، ولير الى طرد ابنته العزيـزة لديـه ، وبرتوس الى قتل والده ، وعطيل الى خنـق محبوبته ديد مونة . وهذا المشهد المفجع الذي يعرضه امامنا شكسبير ، كمصور للعواطف الانسانية ، تحلـق الموت في ارجائه متوعدة مهددة ، بعد ان تاخذ مكانهـا في العقول المعتوهة ، وفي ثنايا أفراد يائسين ضعفـاء ، لا يقدر اي منهم على ملك اعصابه . . انه مشهد تقف فواصله كجهاز مخبر نموذجي يمكننـا من دراسـة الانفعالات في نطاق خاص ، ودون تدخل من الواقـع ، لانه في الحياة العادية تكون الحوادث سبب الحركات. اما عند شكسبير ، فالحركات وليدة الكلمات . وهذا ما يجعل الظواهر النفسية الانفعالية منعزلة عن العالم المعهود تتطلب دراسة طبية وتثيـر انتباه الشهـود لانفراد طريقة تاديتها على خشبة المسرح ، حيث انـه من الناحية الفنية المسرحية نفهم ان شكسبير نفسه قد ادلى بالكيفية التعبيرية الدرامية للانفعالات وذلك على لسان هاملت اذ يقول : « استعملوا كل شيء فـي زهد وعظة ، لانه يجب في دوامة العاطفة ، بل في زوبعة العواطف الاحتفاظ بالقناعة التي هي اساس الجمالية الفنيـة » . فهذا الكلام يعني أن الممثل ليس من حقه ان يقلد الواقع كما هو ، بل عليـه ان يراقب حركاته واصواته ويتجرد من الانفعالات التي يتقمصها ليسيطر عليها عن طريق الالقاء ، لان الحوار التراجيدي يوضح عبارته جوهر العواطف في عدم اتصال الابطال وانعدام التداخل فيما بينهم وغربة كل واحد عن الآخـر .

هذا واذا كانت مهمة المؤلف التراجيدي هـي محو الاتصال بين ابطال مسرحياته وتحريكهم في جـو قاتـم ليجذبهم الى الكوارث ، فان من واجبه كذلك ان ينير السبيل امام الشهود ويرافقهم في اجتياز دهليـز الافراد المنفعلين مما يحتم على قراء شكسبير التعـود على ادراك عبارته الشعرية المستعملة ، حتى اذا نطق هاملت بهذه العبارة « اكون او لا اكون » كان ذلك دليلا على ان لغة المنفعل تقوى شاعريتها كلما وصل المنفعل الى مرحلة من الخشونة او الافراط في اليأس . في حين نرى ان لحظات كهذه يعبر عنها في واقع الحياة بأنـات وزفرات متتالية وعليه نستنتج ان العبارة الشكسبيرية ليست مجرد لفظ لغوي فحسب ، بل هي نظرة فنية للحياة وتاويل صريح لافكار انسانية محضة تدعـو القارىء أو المتفرج الى اكتشاف الالغاز الشعرية الكامنة في المنلوجات والاقتناع بفحواها البعيد . »

ونخلص مما قدمه الاستاذ في بحثه أن المشهـد الشكسبيري كيفما كان نوعه ليس مجرد « ترطيبـة »

ادبية يجب تذوقها لا اقل واكثر ، وانما هو مرآة لعواطفنا منسقة فى عبارات شعرية متينة تفرض وجودها كقاعدة ثالثة تكمل القاعدتين اللتين طالب بهما ارسطو فى ميدان التراجيديا وهما : الخشية والشفقة . وهذا المشهد يعد ثروة ثمينة بالنسبة لكل باحث حسب اختصاصه ، ففيه المعلومات التاريخية والسياسية ، والطبية ، والادبية التي كان لها اكبر الاثر فى أخيلة شعرائنا ونذكر منهم على الخصوص الشاعر « شوقي » الذي الف مسرحياته بعد ان تشبع بالفن الروائي عند شكسبير ، ثم اعجب به كانسان خالد وانشد فى ذكره قائلا :

ما انجبت مثل شكسبير حاضرة
ولا نمت من كريم الطير غناء
نالت به وحده انكلترا شرفا
ما لم تنل بالنجوم الكثر جوزاء
لم تكشف الشعر لولاه ولا بليت
لها سرائر لا تحصى واهواء
شعر من النسق الاعلى يؤيده
من جانب الله الهام وايحاء
من كل بيت كآي الله تسكنه
حقيقة من خيال الشعر غراء
وكل معنى كعيسى فى محاسنه
جاءت به من بنات الشعر عذراء
او قصة ككتاب الدهر جامعة
كلاهما فيه اضحاك وابكاء
مهما تمثل ترى الدنيا ممثلة
أو تتل فهي من الانجيل أجزاء

واخيرا يمكن القول ان شكسبير لن يشيخ ابدا، وسيبقى محط عناية الجميع الى ان ينجلى سره ويأتي عهد جديد يدعو الى نشر ابعاده الايديولوجية ويرسخ مفاهيمها بين عامة الناس .

مكناس — حسن المنيعي



صاحب الطاحونة :

صفحة من حياة الفونس دوديه

للدكتور جمال الدين الرمادي

بين احضان المروج الخضر حيث الخضرة النضرة تمتد امتداد البصر وتنحني قامات الزرع وهامات اشجار الخزامى في يد النسيم الحنون ... وحيث الشمس الدافئة الجميلة ... وحيث ينتشر الغبار ... فيملأ الاجواء .. في بعض الاحيان ... خرج الفونس دوديه الكاتب الفرنسي الى الوجود ..

وقد اخرجت الكاتبة المعاصرة مسز فيرادويه كتابا عن هذا الكاتب العبقري درست فيه طفولته ونشأته وزواجه واتجاهه الادبي منذ ايام معدودات فحق لهذا الكتاب ان يكون كتاب الموسم ...

نشأ الفونس في احضان الريف وخرج الى الوجود عام 1840 وكان قد مضى على زواج ابيه صانع الحرير الصغير عشر سنوات . ويزعم بعض الرواة ان الفونس خرج الى الحياة وابواه في ضنك شديد ولكن الفونس يقول عن نفسه في كتابه «الكائن الصغير» ان ابويه لم يكونا في ضيق وعسر في هاتيك الايام . وكان الفونس يحب امه حبا جما وكانت امه تحب الكتب والاطلاع الى ابعد حد فكان يجلس اليها الفونس بين الحين والحين يقص عليها روائع القصص واجمل الحكايات فبثت في الطفل الصغير حب الادب والقراءة وكان يصحبها الى الكنيسة فغرست في نفسه حب الدين والتقوى واحب اجراس الكنيسة وهي تقرع الاذان برنينها في الفضاء ...

وظل الفتى يتعلم في مدارس ليوم ثم تاقت نفسه الى الحياة في باريس واستهوته اضواؤها وبهره صيتها وحلم بالشهرة بين ارجائها ، وهتف باخوته (هيا فلنذهب الى باريس ...)

وذات يوم ازمع مع اخيه (ايرنست) الرحيل الى باريس . وفي الساعة الثالثة صباحا وصل الفونس الى المدينة الحالمة في حداثة الريفي الكبير وهيئته الرثة فلم يكن يملك الفونس في ذلك الوقت حذاء مدنيا رقيقا . وكان قد انفق ما معه من النقود اللهم الا مبلغا ضئيلا يحتفظ به في جيب سترته .

ودخل الفونس باريس وهو يتأبط ذراع اخيه ايرنست بينما كانت باريس تغط في نومها تحت سحب السماء الرمادية . وعبر الجسر الذي يؤدي الى الضفة اليسرى حيث كان باعة الصحف واللبن يسعون في الارض ، وعرج الفونس على الحي اللاتيني حيث قطن في حجرة صغيرة هناك ينهل من اداب فرنسا الخالدة وكان الفونس يختلف بين الحين والحين الى مسرح الاوديون حيث عرف الكاتب الفرنسي فلوبير ، ووطد صداقته مع كثير من الكتاب الفرنسيين .

وتعلم الكاتب لاول مرة ان يلبس السترة طويلة الذيل وان يلج صالونات الطبقة الراقية وان يكتب في الصحف السيارة مثل جريدة (سبكتاتور) ، وفي مساء 14 يناير عام 1858 انتشرت الاخبار في ارجاء المدينة كالنار في الهشيم بان هنالك مؤامرة قد دبرت لقتل الامبراطور والامبراطورة اذ القى اربعة من الايطاليين قنابل على العربة الامبراطورية اثناء ذهابها الى اوربا ، وقبض على احد المؤتمرين ولا يزال البحث جاريا على الاخرين الذين تاهوا في زحمة المتفرجين .

وقد خرجت جريدة (سبكتاتور) على الناس بمقال شديد اللهجة تتهكم فيه على الامبراطور وتقول ان مثل هذه الحوادث لا تحدث الا في عهد الحكومات

الظالمة . فاغلقت الجريدة وضاع مورد كبير من موارد الشهرة والمال للكاتب الفرنسي الفونس دوديه ... ولكنه اخذ يكتب في صحف اخرى ويحضر اجتماعات الطبقة الراقية فاسر الرجال والنساء بجماله الرقيق وصوته الممتلىء العميق ووجهه الاسمر الذي لفحته شمس الجنوب ...

وعاش الفونس في (بوهيميا) فترة طويلة من الزمن ولكن حياة (بوهيميا) الصاخبة اللاعبة وكؤوس الخمر واقداح النبيذ لم تؤثر فيه لطيبة نفسه على حد تعبير اخيه (ايرنست) واخذ الفونس يضرب في ميدان الصحافة والشعر حتى بزغ نجمه وعلا اسمه ثم عمل في قصر (البوربون) وعندما بلغ اعتاب قصر (البوربون) كتب اخوه ارنست يقول : ان الفونس ذو طبيعة حالمة وفراح رقيق اكثر مني . وهو شاعر ساحر ، والطبيعة تفعل فيه سحرها حتى اليوم الذي يستوفي فيه انفاسه . وهو وسيم جذاب وعبقري . فما ذا ينقصه ليكفل له النجاح ؟ ... غير ان روحه الحالمة تسيطر عليه . وهذه هي خصلة العباقرة ... ان العبقرية ... حمل ثقيل ... وهناك ازهار تحتاج الى مناخ خاص ... ان الفونس من هاته الازاهير ...

لم تكن والدة الفونس ولم يكن اخوه يحبذان هذا العمل له ويريان انه غير مخلوق لهذا النوع من الاعمال وصدقت نبوءتهما بعد ذلك اذ طلب الفونس بعد فترة وجيزة من الدوق (دي مورنيه) اجازة للراحة والسياحة فترك قلب باريس في نوفمبر عام 1861 في ليلة ممطرة وودع اصدقاءه قبل سفره واخذ يقول : — انني نبت قد تجمد نصفه غير ان الشمس الدافئة في الجنوب سوف تحييني ... وفي تلك البقاع كان نفر من اصدقائه وذوي قرباه ينتظرون الكاتب الساحر الا انه لم يمكث في القرية طويلا وازمع الرحيل الى بلاد المغرب وكورسيكا حيث متع بصره وغذى قريحته بمشاهداته وتأملاته في تلك البلاد

وفي مستهل عام 1864 رجع الفونس دوديه الى باريس حيث اخرج بعض قصصه ومسرحياته ، ومن اروع القصص التي دبجتها يراعته ، قصة (سافو) Sapho (والخالد) L'immortel (جاك) Jack (ونومارومستان) Numa Roumestan (والترى) Le Nabab (والملوك في المنفى) Les rois en Exil وغيرها في القصص والمسرحيات .

وفي هذه الفترة خفق قلب الفونس دوديه للحب ومس الهوى قلبه بعصاه السحرية ، واذا بهذا الكاتب الساحر يهيم شوقا ويفيض عشقا ، ففي اثناء عرض احدى مسرحياته على المسرح الفرنسي كان الفونس يتمنطق بحزام ذهبي فوق حلته الانيقة ، وكانت غادة حسناء تجلس في احدى المقاصير مع ابيها وامها وتدعى (جوليا الرت) . كانت جميلة كزهرة الربيع مشرقة كفلق الصبح ، ناضرة كزهر الربيع . تتدفق بالحياة والنشاط . وترنو الى المسرح بعينيها التي جمعت اشتات الفنون ، ففيها ضلال لعقل وهدى لجنون . وقد سالت الفتاة احد عمال المسرح عن ذلك الشخص الذي يشد وسطه بحزام ذهبي ، فاجابها بانه الفونس دوديه الكاتب الذائع الصيت — فخرجت جوليا عقب الحفل وفي قلبها صورة الفونس وفي عينيها الخيال من مسرحيته التي هزت افئدة الحاضرين — وبعد شهور قليلة ذهبت جوليا مع والديها الى بيت (دوديه) في قرية (اترى) . وكانت جوليا ترتدي ثوبا ابيض كنور الصبح وتتغنى بابيات عذبه من الشعر تلقيها امام الفونس في صوت حلو طروب — وما جن المساء حتى اختلى الفونس باخيه (ارنست) واخبره بانه صريع الهوى واسير الغرام وانه قد احب (مدموازيل) جوليا الرت ويطمع في ان يتخذها عروسه .

كانت جوليا فتاة صبية صغيرة تحب الشعر والكتب وتمتلىء بالتواضع والسحر والانوثة — وكان الفونس يكره النساء المتحذلقات ذوات المواهب ، ولكنه اليوم اصبح امام فتاة من طراز جديد وبنت في بيت من العلم وتقاليد القرن التاسع عشر ، وكانت الى جانب حبها للعلم تجيد الحياكة وتؤثر قضاء الاصائل في الشتاء في حدائق (التويلري)

وكانت جوليا من الشمال — وكان الفونس من الجنوب فجذب ذلك الاختلاف نفس الفونس ووجدها مكملة له . ووجد فيها الهدوء والاتزان — والفضيلة التي يمكن ان تسيطر على نفسه وان تطرد هزائمه وان

تـوقه من نصر الى نصر ـ فصمم على الزواج منهـا ـ ولعل اصدق ما كتبه عن الزواج ، ما كتبه في (زوجات الفنانين) ـ ان الزواج بالنسبة الي مرفا ذو مياه هادئة وليس بمرفا تربط فيه نفسك الى الابد ولكنك تستعد منه الى الاقلاع مرة ثانية ....

وفي مستهل عام 1867 زفت جوليا الرت الى الفونس دوديه ورحل الفونس مع عروسه الى اقليم البروفانس حيث رأيا طواحين الهواء وجلسا سويا بين المروج ثم عادا الى باريس .

ولكن الحب بين العروسين اصيب بصدمة قوية . اذ تغيرت اخلاق الفونس في هذه الفترة وانفق كثيرا من ماله في العبث واللهـو في المقاهـي والملاهـي والمنتديات ، وكان يرجع الى عروسه في الهزيع الاخير من الليل مخمورا ، فاقد الوعـي يتطوح يمنة ويسـرة ممزق الثياب اشعث الشعر دامي الوجه . وكانت زوجته تقف ازاء هذا كلـه قويـة الأعصاب ضابطـة النفس ، وتستقبل ذلك كله بصدر رحب حتى اقنعتـه بضرورة احترام حرمة البيت ، وسكبت في نفسه لحن الحـب ـ وكانت مائدتـه دائما معدودة ، وثوبه نظيفا ، وطعامـه جاهزا ، كمايقول في مذكراته .

كان الفونس دوديه يعيش في طاحونة من طواحين الهواء . وقد كتب رسائل من هناك استهلها بقوله ... (اجل يا سيدي . رسائلي من طاحونتي غير ان الذي يكتب هذه الرسائل ليس طحانا .. ولـو كان كذلـك لاثر بياض الدقيق على سـواد المداد ـ فلسـت طحانا وانما انا صحفي يسير صاحب طاحونه وقد تظن ان هذا شيء عظيم بالنسبة الى صحفي مثلي ولكن لتهدأ بالا فما هـي الا طاحونـة عتيقـة مهجورة مفقـودة في اقليـم البروفانس . وما اجمل المقام في طاحونتي وما حاجتي الى البشر وانا اكتفي بمنظر افول الشمس وراء اشجار الصنوبر واطياف النـور على الصخور وبصوت ريح الشمال الرخية وهي تداعب هامات الأفنان ...

وكان الفونـس دوديـه يجلس في حمـى هـذه الطاحونة مع اصحابه يستمتع باجمل القصص وانجى الاحاديث . وكان صاحبه فرانس العجوز يلعب على الارغن فيهز اوتار القلوب حتى اذا ما انتهى من تغريده قص عليه قصة السيد (كورني) ـ صاحب طاحونة الهواء الذي ظلمه القدر ودهمته الاحداث فجعلت اصحـاب طواحين الكهرباء يستبدون بالامر استبدادا . ويذهـب اليهم جميع الاهالي لطحن الدقيق افواجـا ـ ولكـن السيد كورني اثر الا تجعل الشائه تسـري في قلـوب الناس من اجلـه فاحضرافواجـا من الحمير وجعلهـا تدخل الطاحونة متعاقبة وهي تحمل اكياس القمـح وجوالات الدقيق حتى يخدع الناس ويوهمهم انهم لا يزالون يلجؤون الى طاحونة الهواء ـ ولم يلبث ان كشف امره وفشا سره فوضع راسه بين يديه وانكفأ يبكـي في لوعة تفتت الاكباد وتقطع نياط القلوب .

وهكذا عاش الفونس دوديه فترة طويلة من عمره في صحن هذه الطاحونة يكتب رسائله ومؤلفاته فلفتت مؤلفاته انظار فرنسا بوجه خاص وانظار اوربا بوجه عام ـ وقد صور الفونس في بعض قصصه الصراع القوي الجبار الذي نشأ بين اصحاب طواحين الهوء واصحاب طواحين الكهرباء ـ واصيب الشاعر في اواخر حياتـه بمرض الروماتزم الذي عاقه عن الحركة والسير ... واخذ يزحف الى عينيه ولم يلبث ان ادركه في قلله .. وهنا حم القضاء ورفرفت الموت فوق راسه باجنحتـه السوداء ...

وذات صباح . استيقظ الناس في فرنسا .. بنـبأ موته يملأ كل مكان .. والعبرات تلتمع في العيون .. والكآبة تلوح على الوجه .. والحسرة .. تتصاعد من الصـدور .

القاهرة : **الدكتور جمال الدين الرمادي**

التقنين في المغرب

للأستاذ عبد النبي ميكو

من المعروف ان التقنين هو تجميع القواعد القانونية التي تهم مؤسسة معينة من مؤسسات القانون . والتقنين يلعب دورا مهما في الحياة الحديثة حيث انه يسهل على القاضي التعرف على القاعدة القانونية التي يمكن ان تطبق على حالة معينة ، كما انه يؤدي الى توحيد القانون في جميع تراب الدولة والى ان تؤثر الدولة التي قننت على غيرها من الدول الاجنبية ، ولا يهمني ان اتحدث عن التقنين او التدوين باستفاضة وانما يهمني ان اتحدث عن التقنين في المغرب وعن الدور الذي لعبه توحيد القضاء في ميدان التقنين .

لم يكتب التاريخ للمغرب ان يعرف التقنين في ماضيه ، فالمغرب عرف الشريعة الاسلامية منذ دخول الفاتحين الاولين اليه ، وقد اصبح يتمذهب بمذهب الامام مالك .

وقد تبنى المغاربة هذا المذهب لان جل رحلاتهم كانت تنتهي الى الحجاز حيث موطن مالك ومبعث مذهبه ولان طبيعة المغاربة تتفق والبساطة والوضوح الذي يتسم به مذهب الامام مالك ، وكان مذهب هذا الامام الجليل هو المذهب النافذ في الحياة المدنية والتجارية والجنائية ، وكان هو الشريعة العامة التي تحكم حياة المغاربة المسلمين وغير المسلمين باستثناء شؤون الاسرة التي تركت ليحكمها دين الشخص وذلك لان الاحوال الشخصية الصق ما تكون بدين الشخص ، ولها اتصال وثيق بمعتقده ، وقام ذلك على اساس التسامح الديني وعرف في جميع البلاد الاسلامية هذا النظام وان كانت فئة المسيحيين لم يكن لها وجود بالمغرب ، ومذهب الامام مالك هو نفسه كان متعدد الاراء متشعب النظريات في المشكل الواحد اذ تعدد تلامذة الفقيه الكبير وانصاره فاذا كان الشرق قد عرف تعدد الاراء وتشعبها نظرا لتعدد المذاهب وتشعبها وتعدد فقهاء كل مذهب وتلامذته،منها السني والشيعي،والسنيون مذاهب والشيعيون كذلك ، وللاسف الشديد فان الفقهاء كانوا يتناولون الجزئيات والتفاصيل دون ان يتوصلوا الى استنباط مبادىء عامة ونظريات شاملة واصول قارة تدون ويسيرون عليها وتكون مرجعا للقاضي والفقيه وطالب العلم . وكل ما وصلوا اليه من اصول الفقه لا يتعلق بمبادىء القانون ونظرياته العامة ، وانما يتعلق بادوات ووسائل الاجتهاد ، والنتيجة هي انهم لم يعرفوا تدوين الاحكام العامة الخاصة بفرع معين من فروع القانون او مؤسسة من مؤسساته ، ثم ان المغرب هو نفسه عرف تعدد الاراء وتشعبها ، والمغرب هو نفسه لم يعرف التقنين او جمع الاحكام العامة التي تهم فرعا معينا من فروع القانون في مدونة خاصة . فالمحاولة التي حاولها ابو جعفر المنصور في الشرق العربي مع الامام مالك وحاولها بعده هارون الرشيد لم تنجح بحيث امتنع من ان ياذن بالسماح بان يصبح كتابه الموطأ عاما وشاملا بالنسبة لجميع انحاء العالم الاسلامي وان تصبح مدونة قانونية تضفي عليها الدولة الصبغة الرسمية تلزم القضاء وتنير سبيل الفقهاء يشرحونها ويحللونها ويعلقون عليها وقد امتنع بدعوى ان صحابة الرسول (ص) تفرقوا في الامصار وما يحمله هذا ، لا يحمله ذاك . وهذه الفكرة التي اراد ان يطبقها ابو جعفر المنصور اولا وهارون الرشيد بعده ، ذلك هي فكرة كانت وليدة مفكر اسلامي

كبير هو ابن المقفع ، فهو قد دعا الى الفكرة في كتابه رسالة الصحابة ، وهو قد دعا اليها في ظرف تاريخي لم تكن الاراء بعد قد تعددت وتشعبت بشكل يبعث على الدهشة وبشكل ادى في النهاية الى اغلاق باب الاجتهاد وكنا نود لو تتوج هذا العصر الذهبي الذي شهد ميلاد الحركات الفقهية الكبرى وتدوين الحديث وابتكار علم مصطلح الحديث وعلم الكلام وعرف حرية الفكر وولادة حركة فلسفية قوية ، وتكوين الحضارة العربية بتدوين القانون وتقنينه ، ولكن المحاولة لم تنجح ولو انها نجحت لا يتعدى المسلمون عن كثير من الخلافات المذهبية ولوجدوا انفسهم امام قانون موحد ، يشملهم جميعا ويوحدهم، ولما تفرقوا كثيرا ولما تباينت وجهات نظرهم ولما اغلق في الاخير باب الاجتهاد الذي كان من اسباب اغلاقه تعدد الاراء وتشعبها والاكثار من الفروض الخيالية واتخاذ الحلول لها ولما حارب المسلمون بعضهم باسم الخلاف الديني والخصام المذهبي ولاثر قانوننا على غيرنا اكثر من التاثير المعترف له به الان لانه يسهل نقله ولكنا سباقين في هذا المدونات الحديثة ذلك لانه لا ينكر مدى قوة التاثير الذي احدثته مدونة نابليون في القانون المدني فتاثيرها كان له مفعول السحر في فرنسا وخارج فرنسا ، وفي فرنسا ادت الى توحيد القانون السائد ولم يبق التراب الفرنسي مقسما من حيث القانون الذي يسوده في الشمال والجنوب وفي خارج فرنسا فانه كان لها مفعول قوي حيث رامت كثير من الدول ان تقلد فرنسا في عملها ، وقد دعا (تيبوا) في المانيا الى ان تقلد فرنسا وتفعل مثلما فعلت ، ورغم المعارضة الشديدة التي ابداها (سافيني) للتقنين فانه لم يستطع القضاء عليه ، وانما اخر الفكرة زمنا ما ، ولكن كثير هي الدول التي قلدت فرنسا في عملها وكثير هي الدول التي تاثرت كثيرا بالمدونة الفرنسية ، وقد سهل التاثير لانه سهل الرجوع ولا يجادل اليوم في قيمة التقنين فجميع الدول تقنن دون ان تجد من يعارض ، ولو اننا قننا لظلت الوحدة قائمة بين اجواء العالم الاسلامي ولظلت قائمة بعد زوال الوحدة السياسية ، وبعد تفرق المسلمين شذر مذر ولكن للاسف الشديد فان هذا الحكم لم يتحقق في الشرق العربي ولم يتحقق كذلك في بلادنا رغم المحاولات التي قام بها احد خلفاء دولة الموحدين عند ما قال لاحد الفقهاء لما اخذ هذا الاخير يبين له ما اشكل عليه من الاراء المتعددة في المشكل الواحد ، فاجابه الخليفة ليس الا هذا ، واشار الى الكتاب والسنة او هذا واشار الى السيف ولكن لم يكتب للمغرب ان يدون ولهذا فان الفقهاء كانت لهم سلطة تقديرية واسعة النطاق في بلادنا . وظل الامر كذلك حتى دخلت الحماية ارضنا ، فرنسية في الجنوب ، اسبانية في الشمال ، دولية في منطقة طنجة فاذا بالمنطقة الجنوبية من بلادنا تعرف مدونة العقود والالتزامات الصادرة في 12 غشت 1913 وهي مدونة مصطبغة بالروح العصرية ومتاثرة بمدونة نابليون ، والمدونة التونسية والشريعة الاسلامية ولكنها مع ذلك غير كافية ولا وافية فهي لا تشمل كل ما يتعلق بالقانون المدني اذ ظلت هناك مؤسسات قانونية مهمة لا تشملها هذه المدونة كما انه في نفس التاريخ صدرت مدونة المسطرة المدونة او قانون المسطرة المدنية ، وكان ذلك 12 غشت 1913 وكما صدر في نفس التاريخ ما يخص الشهر العقاري كما صدر في نفس التاريخ القانون التجاري ، وفي 2 جوان 1915 صدر القانون العقاري ، وفي سنة 1956 صدر القانون العسكري وفي سنة 1957 صدرت مدونة الاحوال الشخصية التي شمل نفوذها المسلمين سواء اكانوا مغاربة ام غير مغاربة، وفي سنة 1959 صدر ظهير المسطرة الجنائية ، وفي سنة 1963 صدر القانون الجنائي الذي الغى القانون الجنائي لـ 24 اكتوبر 1963

والجدير بالذكر انه ليست كل فروع القانون قد عرفت التدوين ، فالقانون الاداري لا يزال لم يعرف التقنين وهذا ليس عيبا اذ ان القانون الاداري يعد قانون القضاء الاداري وهو لم يستقر بعد وهذا يوجد عندنا وعند غيرنا

ثم انه لا ينبغي ان يفهم من التقنين ان كل الاحكام يجب تقنينها بل ينبغي الاقتصار على المبادىء العامة التي قلما ياتيها تغير ولا تبديل وذلك حتى لا يصاب القانون بالجمود وعدم المسايرة للتطور تاركا امر الجزئيات والتفاصيل للقاضي يتناولها عند ما يريد فض نزاعات الناس وخصوماتهم ، وكذلك الفقه ليعطي الشروح والتعديلات كما انه لا ينبغي الاتيان بتعاريف للمصطلحات التي يوردها التقنين .

ويلاحظ ان المدونات القانونية التي صدرت عند فرض الحماية على المغرب لم يستفد منها المغاربة اذ انه قصد بها تنظيم العلاقات ذات العنصر الاجنبي سواء من حيث الجوهر او من حيث الشكل فهي قد انشئت لتطبق في المحاكم الفرنسية في الجنوب وهي التي حلت محل المحاكم القنصلية في الجنوب ومثل هذا كان معروفا في المنطقة الشمالية ، فقد انشأت الحماية الاسبانية بها المحاكم الاسبانية ولكن ابقى على المحاكم القنصلية ومثل هذا حدث في المنطقة الدولية حيث انشئت المحاكم الدولية بالاضافة الى هذا فانه بجانب المحاكم الشرعية التي كانت محاكم ذات الولاية العامة تفصل في سائر القضايا سواء اكانت مدنية ام تجارية ام جنائية انشئت المحاكم المخزنية التي اصبح اختصاصها يتسع بقدر ما يضيق اختصاص المحاكم الشرعية ، واذا كانت المحاكم القنصلية قد زالت بعد الاستقلال والمحاكم الفرنسية في الجنوب اصبحت تسمى بالمحاكم العصرية ، وفي الشمال فان المحاكم الاسبانية اندمجت في العادية والمحاكم المخزنية في الجنوب اصبحت تسمى بالعادية والمهم انه بالنسبة للمحاكم العادية لم تكن تعرف تدوينا للقوانين التي تسير عليها سواء بالنسبة للجوهر او بالنسبة للشكل ، ويمكن ان نقول في كثير من الحسرة والالم على انها كانت محاكم دون قانون اذانها تطبق الشريعة الاسلامية والعرف ومباديء العدالة والقانون الطبيعي وليس معنى هذا اني انكر لهذه المصادر ولا اعتبرها مصادر بل معناه ان تعدد الاراء وتشعبها في المشكل الواحد كان يؤدي الى الفوضى والاضطراب وعدم استقرار المعاملات وثباتها فيما بين الناس ، وكان يؤدي الى تمكين القاضي من سلطة تقديرية واسعة النطاق يمكن ان يستغلها في بعض الظروف لصالح احد الخصوم وهذا الوضع موروث عن الحماية التي قصدت الاساءة الينا والنيل من قضائنا وتشريعنا وقصدت ازدراءنا واحتقارنا فلم تخضع ابناءها للقانون الذي يخضع له المغاربة وبعد تطويره وتدوينه . وظلت المدونات التي وضعت ايام الحماية غير سارية المفعول امام المحاكم العادية بل ظل استعمالها قاصرا على المحاكم العصرية اكثر من هذا فان المجلس الاعلى الذي انشيء بـ 27 شتنبر 1957 لم يحقق الوحدة ولم يلعب دورا مهما في تقنين احكام القضاء ، اذ انه ظل مقسما الى غرف اربع . غرفتان للقضاء العصري ، وغرفة ثالثة للقضاء الاداري ، وغرفة رابعة للقضاء العادي ، وهذه الغرفة لم تكن في اجتهادها ترغب في تبني المدونات العصرية ، ولهذا فان الاجتهاد القضائي الذي يكون نواة العمل للمشرع وللمقننين لم يكن موحدا ، وظل الامر كذلك حتى صدر ظهير 26 يناير 65 الذي قضى بالمغربة والتوحيد والتعريب والذي اعطى السيد معالي وزير العدل فترة انتقالية تنتهي بنهاية 1965 لتحقيق المبادىء الثلاث وهكذا في اول يناير 1966 تم التعريب والمغربة والتوحيد ، والمهم انه بعد هذا التاريخ اصبحت المدونات التي وضعت لتطبق امام المحاكم الفرنسية في الجنوب والتي اصبحت عصرية فيما بعد شمل نفوذها المغرب كله الشمال والجنوب ومنطقة طنجة واصبح يخضع لها المغاربة حتى في علاقاتهم فيما بينهم وبين بعضهم البعض وزالت المحاكم العصرية من الوجود فهكذا اصبحت هذه المدونة تسود ولم يبق الا تحويرها وتعديلها لتصبح منسجمة مع الواقع المغربي لانها وضعت لتطبق على غير المواطنين المغاربة وهذا التعديل ضرورة لازمة ، وعلى كل فقد قضينا على سيادة قوانين متعددة تخص المشكل الواحد تقسم ابناء الوطن وتقطع اوصاله وتعمل على عدم التدوين وهكذا نكون قد حققنا امنية عزيزة علينا واملا غاليا في الحياة وفكرة سامية كثيرا ما راودت المصلحين وداعبت نفوسهم وتاقوا الى تحقيقها ورأوا في بلوغها بلوغ اقصى امانيهم

الرباط : عبد النبي ميكو

من الأدب الشيعي

دراسة تحليلية لبائية الكميت كنموذج للشعر الشيعي الجدلي

للأستاذ : ابن دفعة محمد

— 1 —

تختلف مشارب الادب الشيعي ، وتتنوع مضامينه واساليبه ، تبعا لنقطة الانطلاق عبر التجربة ، شعرا كانت ام نثرا ، فالمبدع في هذا الميدان متأثر ، بالاضافة الى مشاربه وامكاناته الشخصية ، وبالاضافة الى « المجال » الذي يكتنفه ويصدر عنه بتجاربه ، بالمذهب الذي ينتمي اليه من بين المذاهب الشيعية المختلفة ، بل والمتناقضة احيانا

فمن الشعر الشيعي شكوى ، ودمع ، والم ، وبكاء قتلـــى

ومن الشعر الشيعي عطف ورثاء ومشاركة وجدانية

ومن الشعر الشيعي ترويج للكرامات ،والخرافات والاساطيــر

ومن الشعر الشيعي اخيرا ، وليس اخرا ، شعر عاقل ، جاد ، لا يغرق في الخيال ، ولا يومن بالاساطير والخرافات الميثولوجية ، التي تسربت الى كثير من المذاهب الشيعية التي وصفت وقتها بالتطرف واللاواقعية

ولعل (الكميــت) اول شاعــر يمكن ان يعطــى كنموذج للشاعر الذي نافح عن المذهب الشيعي بشعر عاقل معقول متشبث بالمنطق بالواقع

وقصيدته : (طربت وما شوقا الى البيض اطرب) من اجود القصائد في هذا الباب ، فهي من اقيم واقــوم الادب الشيعــي ، كما ان الشاعــر يعتبــر من احــرص الشعراء على اتخاذ المذهب الواقعي الجدلي ، طريقا ثابتا للمنافحة عن مذهبه ، بحكم انــه كان من اتبــاع الزيدية ، وهو اشد المذاهب الشيعية اعتدالا ، والتصاقا بالواقع ، فمن هو (الكميت) ؟ وما هي القيم الفنيـــة والوجدانية لقصيدته ، او لشعره ، كله في نمــوذج من خير نماذجه ؟

— 2 —

(الكميت) شاعر من فحول العصر الاموي ، كاد الرواة ونقاد الشعر يجمعون على انه كان واسع الثقافة عالما بغريب اللغة ، راوية للشعر القديـم ، مشهــورا بعلمه بايام العرب وانسابها ، حتى قال بعضهــم : (من صحح (الكميت) نسبه صح ، ومن طعن فيه وهــن) هذا بالاضافة الى قدرة نادرة على الجدل العقلي .

وليس كثيرا على (الكميت) ، الانسان المتوقد الذكــاء ، ان يكــون كما وصف الرواة سيما وقــد نشا بالكوفة ، وفي عصر كانت فيه هذه المدينة احد مركزين للاشعاع الفكري في العالم الاسلامي (60 / 126 هـ)

الا ان نشــأة (الكميــت) بالكوفــة ، واشتغالــه بالتدريس بها لم تجعل منه عالما واسع الثقافة قادرا على الجدل فقط ، بل جعلت منه ايضا شيعيا صادق التشيع كرس اهم اعماله الشعرية للدفاع عن ال البيت معلنــا سخطه على الامويين الذين اعتبرهم مغتصبين للخلافة من غير حق ، منتهجا في ذلك سبيلا جدليا يعتمد على الحجة البينــة .

نشأة الشاعر بالكوفة اذا، وهي بالاضافة الى كونها مركزا ثقافيا هاما بالنسبــة للامــة الاسلامية في عصــر

الامويين ، عش امين للشيعة ، نشأة الشاعر بهذه المدينة اذا جعلت منه عالما كبيرا يكاد يستوعب كل مناحي النشاط الفكري المعروفة لأيامه ، كما جعلته يعتدل في تشيعه فيعتنق اسلم المذاهب من الشوائب الاسطورية الدخيلة ، كالرجعة والتناسخ وعصمة الامام او تاليهه

— 3 —

والقصيدة التي نحن بصددها تمثل الذروة في ادب (الكميت) الشيعي : ان كان في قولنا : انها ذروة الشعر الشيعي اطلاقا ، بعض المبالغة ، فهي اطول هاشمياته ، اذ تكتسح بشرحها جزءا هاما من صفحات الكتاب ، وابياتها تبلغ نيفا واربعين ومائة بيت ، وقد برزت فيها كل السمات التي تربون على شعر (الكميت) الشيعي ، فالجدل العقلي يلعب فيها الدور الرئيسي ، والاعتماد على التعبير المباشر الذي لا يتكيء على الضبابية الموحية ، التي يقصد اليها الشعراء الذين يؤمنون بجمالية الكلمة في بناء القصيدة ، (فالكميت) يعمد الى ان تكون معانيه واضحة محددة ، فقصيدته لذلك اشبه بخطبة سياسية في حملة انتخابية ، او باختصار ان قصيدته بناء منطقي ينطلق من مقدمات وينتهي الى نتائج لا يملك المرء معه الا ان يقبلها ، فهو يدلل على احقية ال البيت في الخلافة ، ويدلل على اغتصاب الامويين لها ، يدلل على كل ذلك باي القرءان تارة ، وبقرائن عقلية منطقية تارة اخرى

كما ظهرت على القصيدة سمة اخرى من السمات التي تميز شعر (الكميت) الشيعي ، وهي توليد المعنى وتمطيطه ، وتصفيته . وهي ظاهرة ستنمو فيما بعد عند شاعرين عباسيين ، احدهما شيعي ايضا هو مهيار الديلمي، وثانيهما هو ابن الرومي

وتجدر الاشارة ايضا الى ميل فطري اصيل كان يدعو (الكميت) الى استعمال الغريب ، وهي ميزة عامة لشعره ، ولكنها واضحة جدا في هذه القصيدة ، وانا اعتبر ان ميل (الكميت) الى الاكثار من استعمال الغريب من الكلام امر طبيعي لأسباب ، منها : (ان (الكميت) كان راوية كبيرا للشعر القديم ، وعالما قديرا بغريب اللغة) ، فلا جرم ان يؤثر ذلك في اسلوب الرجل ، بحيث معدى له من ان تسيطر ملكته اللغوية الخصبة على طريقته في التعبير

ومن هذه الاسباب ايضا ان (الكميت) عاش في فترة تعصب فيها العلماء والادباء والنحاة ، والرواة ايضا ، الى الادب القديم ، فكان الواحد منهم لا يحتج الا بالشعر الذي جارى الادب القديم في اسلوبه والفاظه وصيغه ، فلعل الشاعر كان : (يتعمل لادخال الغريب في شعره) لكي يحتج به ، او لكي يرضي علماء اللغة ، وهو منهم

ولعل هذا يجرنا الى ثورته على المقدمة في القصيدة القديمة ، هذه الثورة التي نلاحظ انها لم تكن ثورة فنية مفلسفة كما ستصبح عند ابي نواس ، بل هو يضرب عنها فقط لكي يتفرغ الى موضوعه بكل طاقاته وامكانياته هذا الموضوع الذي يرى انه من الاهمية بحيث لا يسعه ان يذكر شيئا بجانبه ، ودليلنا على ان ثورته على المقدمة الجاهلية في القصيدة لم تكن صادرة عن وجهة نظر فنية ، هي انه حتى في هاشمياته ، وفي هذه البائية بالذات ، ظل يترسم الخطوات الجاهلية في العبارة ، وفي التشبيه والاستعارة ، وفي الصورة الشعرية ، وفي استعمال اللفظ الغريب القوي الذي يملأ الفم والسمع عند الانشاد

— 4 —

وقبل ان نتصرف الى مناقشة قصيدة (الكميت) مستقرئين مضامينها النفسية والجمالية يجمل بنا ان نلم بالافكار الرئيسية التي تنضوي تحتها

يستهل (الكميت) قصيدته بالاعراض عن الملاذ والزهد في طيبات الارض ، بما في ذلك المرأة .. فهو لا يتوقه امل مخضب ، ولا يشعر باي ميل الى التغني بمفاتن انثى مهما بلغت درجة جمالها ، هذا بالرغم من ان التغني بالمراة كاد يكون تقليعة العصر الذي عاش فيه (الكميت) .

كما ان الشاعر لا يشعر بما كان العرب ينشغلون به من زجر الطير وعيافته ، طيرة او تفاؤلا ، بل كل همه كان ان يقصد الى بيت اهل الفضل والعلم والعقل والشرف وخير بني الانسان ، هؤلاء القوم البيض الوجوه ، من اثر النعمة والشرف الرفيع العريق الذين يتقرب بحبهم الى الله فيما نابه في الارض ، وما كتب عليه من اثام وذنوب ، هؤلاء القوم هم بنو هاشم ، آل

النبي ، الذين ان رضي في حياته فانما بهم يرضى ، وان غضب فانما لهم يغضب

ويصف الشاعر تطلعه اليهم في المقطع الثاني بانه ينبع من نوازعه ، ومن لبه ، من احشائه المضرمه بعواطفه الصادقة نحوهم ، وعقله المومن بقضيتهم . ولعل الشاعر يريد ان يشير من طرف خفي ، وبطريق غير مباشرة الى اتحاد القلب والعقل في حبهم ، اذ كان كثير من الشعراء يعطفون عليهم شفقة مما لاقوه في كربلاء ، اما ان يومنوا بقضيتهم مجردة عن العاطفة فامر نادر . اما (الكميت) فيرمي بذلك الى انه مومن بقضيتهم قلبا وفكرا

وبعد ان يوكد الشاعر لال البيت انه سوف يتجنب كل امر يكرهونه ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، يشير الى ما يلاقي في حبهم ، وفي الدفاع عن قضيتهم ، من مكروه، فبعض الناس يشيرون اليه بالايدي داعين عليه بالخيبة والفشل ، بينما المشيرون اشد خيبة وفشلا ، وبعض القوم يكفره ، وبعضهم يصفونه بانه مذنب مسيء ، غير ان كل هذا ليس بضائره ، فليس بضيره تكفير هولاء لانه عالم بحقيقته . واحقية ايمانه ، وليس يهمه من وصفه بالعيب من اولئك لانهم عنده اشد عيبا وافظع ، ثم ان هناك من يدعوه بالترابي في هواه ورايه ، في ميله النفسي واقتناعه العقلي ، وهو مقر لترابيته ، ليس ينفيها ؟ ويداريها فحبه لال البيت شيمة متاصلة في نفسه، لن يحيد عنها ولو اجتمع القوم كلهم عليه ، ولو توعدوه فهو يحتمل احقاد الاقارب ويتغاضى عنهم ، ولكن الاباعد متى عادوه عاداهم ، وكال لهم من جنس عملهم فهو لا يسكن لهم ، ولا يخفي عنهم ولاءه لبني هاشم لانه يعلم صوابه في هذا الولاء

بعد هذا ينتقل الشاعر الى لب الموضوع ، ينتقل من وصف نفسه وشانه مع اعدائه الى المنافحة عن المذهب والغريب في هذا الانتقال انه انتقال مزدوج ، فهو انتقال من اسلوب عاطفي ، عندما كان يعبر عن عاطفة شخصية ، الى اسلوب المحاجة (العقلية ـ النقلية) ان صح التعبير ، عندما اصبح يعبر عن وجهة النظر الشيعية

وقد استهل الشاعر هذا المقطع بفكرة قوية جدا ، لا شك في انها رفعت من معنوية الشيعة بمقدار ما اقضت مضاجع الامويين ، وذلك بانه جعل الامويين لا تجوز امورهم الا بخاتم النبي ، وخاتم النبي من حق الهاشميين ولكن بني امية اغتصبوه اغتصابا لم ير الشاعر مثله ، ولم « ير » في هذا المقام عبارة كثيفة تحتمل ان يكون معناها لم ير في حياته ، وتحتمل ان يراد بها ان الشاعر لم يعلم في اي زمان سالف

ثم يشير الشاعر في نفس المقطع الى قضية كان الشيعة قاطبة يومنون بها ، لا فرق في ذلك بين غلاتهم ومعتدليهم ، وهي مسالة الوصاية بالولاية لعلي ، بعد النبي طبعا ، ويستدل الشاعر باي من القران الكريم اشار اليها بذكر سورها ، مثل (وات ذا القربى حقه) و (قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى) فقريش متمثلة في الامويين ، لا تتصرف في الامر الا بحق ال البيت، ولا تجوز امورها في الامة الا بخاتمهم

ثم خلص الشاعر الى نقد الامويين واظهار ظلمهم، والتدليل على الاعيبهم وحيلهم السياسية ، فهم يتوارثون الامر غصبا وجورا . وهم ما ان ينجحوا في بيعة مزيفة ، الناس كارهون لها ، الا واستعدوا لبيعة اخرى ، وهم يتلاحقون على الامر ولا هم لهم الا ان يحتكروا خيرات الامة دون ان يفكروا في مطالبها ، انهم سادة ظالمون متعسفون اشبه بحيوانات ضارية تتربص الفرص لاغتيال فريستها ، انهم قادة ظالمون قساة ، جائرون ، مخاتلون يشبهون الضباع والذئاب في طباعهم

ثم يشير الشاعر الى ادعاء الامويين انهم ورثوا الخلافة عن ابائهم ، وليس ذلك بحق ، فاباوهم قد اغتصبوا الخلافة ظلما وغدرا ، وتوريثهم اياها لابنائهم لن يكون الا تماديا في الظلم والغدر والاغتصاب ، انهم سفهاء اذ يرون ان لهم في الامر فضلا وحقا ، وحق الهاشميين اوضح واوفى

ثم يدلل على ان الامويين يناقضون انفسهم حيث يقولون : انها لم تورث

وهنا يشتد عنصر الجدل العقلي الذي يمتاز به الشاعر حتى يبلغ مداه ، فهي اي الخلافة ، لو لم تورث لكان فيها نصيب لاحقر القبائل العربية واقلها عصبيه ومجدا ، وراح الشاعر يعدد كثيرا من صغريات القبائل العربية التي لم تكن لها سابقة في الجاهلية ولا في

الاسلام ، حتى ان ذكر هذه القبائل اكتسح خمسة ابيات من الشعر

ثم انها ، اي الخلافة لو لم تورث لكان الانصار اولى الناس بها ، فهم الذين اووا الرسول ونصروه ،وهم الذين عهدوا بدرا ، واعتز الاسلام بهم

— 5 —

ولعل اكبر ميزة تلازم اسلوب (الكميت) في شعره الشيعي هي انه يتوخى غزارة الحجة ، ويسبك في لفظ متين ، مع حذاقة في الاشارة التي تغمز في الامويين من طرف خفي ، بالاضافة الى استعمال مفرط احيانا للغريب من الكلم ، مع تمطيط وتمديد للمعنى الواحد ، في تدفق استطرادي قد يظهر لاول وهلة عبثا او غير ذي قيمة في الاثر ، ولكن يوجد له ما يبرره بعد امعان النظر فكثير من استطراداته مقصودة لغرض في نفس يعقوب ، وسنشير الى ذلك عند المناقشة العامة للاثر في الفقرة الاخيرة

كما ان ميزة التعبير المباشرة ، الذي قد يشبه في غالب الاحيان خطابية وتقرير الخطبة السياسية الهادفة ، قد ظهرت بارزة في هذه القصيدة العظيمة ، وكما ان طبيعة مذهب (الكميت) في تعبيره بالحجة والبرهان المشتقة من القرءان ومن علم الكلام ، ومن المنطق ، قد وجهت الشاعر الى ان يقولب افكاره ومعانيه في قوالب من التعبير توصل المعنى محددا واضحا ، بلا ضبابية وبلا ايحاء ، (فالكميت) يعبر مباشرة ويقصد عما يريد قوله ، بدقة وتحديد نادرين ، وهذا لا ينفي ان توحي بعض اجزاء القصيدة ببعض الافكار والمعاني الجانبية التي اراد الشاعر ان يعمي فيها ، الا ان ضبابية الشعر ، واعتماده على عنصر الايحاء ، قل اثرهما في ادب الكميت عامة ، وفي هذه القصيدة بالذات وهذه ظاهرة تفرضها طبيعة المذهب الذي اخذ الشاعر به نفسه ، وهو مذهب مهاجمة العدو بالحجة ، ونصرة ال البيت بالحجة ، ولا شيء غير الحجة ، الحجة التي منبعها العقل ، والعقل لا يومن بغير الوضوح ، وان (الكميت) كتب لنا خطبا قوية (ممنطقة) الا انها موزونة مقفاة

— 6 —

ورغم اختلاف كثير من رجال الادب حول مدى صدق (الكميت) في تشيعه ، الا ان اثاره الهاشمية ، وبائيته هذه بصفة اخص، يمتاز بالصدقين الفني والواقعي معا ، فبالرغم من ان (الكميت) مدح الامويين تقية فاجاد ، وهجا اليمنية متعصبا للمضرية فاجاد ايضا ، فليس في قصيدته ما يجعلنا نشك في صحة تشيعه ، فانت لا تكاد تبدا بتذوق قصيدته حتى تاخذك عاطفة متاججة الى عقل مترو في المنافحة عن الهاشمية وقضيتهم ، هذا بالاضافة الى ان الشاعر رد على ممدوحيه من الشيعين الهاشميين اموالهم التي اجازوه بها ، مكتفيا ببعض (البستهم التي تلي ابدانهم ، تبركا) فاكثر الكتب الادبية تنقل لنا انه رد مرة جائزة علي بن الحسين ، وكانت اربعمائة دينار ، ومرة رد جائزة جعفر الصادق وكانت الف دينار ، (فالكميت) لا يمدح ال البيت من اجل الدنيا (والا لقصد الى من هي بيديه) ولكنه (احبهم للاخرة)

فعاطفة الشاعر اذا صادقة اصيلة يقوم عليها اعتقاد بثوابها في الدار الدائمة :

الى النفر البيض الذين بحبهم
الى الله فيما نابني اتقرب
بني هاشم ، رهط النبي ، فانني
بهم ، ولهم ، ارضى مرارا واغضب

فاية عاطفة اصدق من ان يومن الشاعر بان حبهم انما هو اتمام لايمانه بالله ؟ وتقرب اليه ؟ واية عاطفة اصدق من ان يجعل غضبه لا يكون الا لهم ، ورضاه لا يكون الا بهم ، وما حياة الكائن البشري الا رضى وغضب ثم لاحظ هذه (فانني) التي يوكد بها غضبه ورضاه ، والتي اعتبر ان البيت لم يبتدىء الا بها

عاطفة (الكميت) اذا صادقة اصيلة نحو الهاشميين رغم ان كثيرا من المشتغلين بالادب قد اتهموه بانه ينتحلها محتجين في ذلك باجادته في مدح الامويين ، هذه الاجادة التي لم تكن كثيرة ولا عسيرة على رجل ذي شخصية قوية في مناحي شتى من مناحي النشاط الفكري (فهو خطيب بني سعد ، وفقيه الشيعة ، وحافظ للقران، وكاتب حسن الخط ، ونسابة ، وجدلي وهو اول من ناظر في التشيع مجاهرا بذلك)

كيف يكون الشاعر منتحلا لنزعة هو اول من نافح

عنها مجاهرا ؟ وعاقبة هذه المجاهرة عليه ليست هينة ؟ بل كيف ينتحل الشاعر التشيع وقد اجتمع ضده الاقارب والاباعد لائمين وعائبين ومكفرين ؟ وهو صامد يتغاضى عن اقاربه وينافح اعاديه ، وينصب لهم بقدر ما نصبوا

عاطفة (الكميت) اذا صادقة واقعيا ، وقد عبر عنها تعبيرا واضحا مبلغا في قصيدته فكانت صادقة فنيا ، ونحن لا نحتاج الى الشواهد في خارج هذه القصيدة لندلل على صدق هذه العاطفة ، وان فعلنا ، لان صدق العاطفة يعلن عن نفسه في غضون التجربة الشعرية نفسها ، ويزيد صدقه الفني فيتمثل في ظاهرة اخرى هي اخلاصه لمذهبه العقلي الجدلي المعتمد على المناظرة والمقارعة بالحجة والبرهان العميقين ، ايكون الرجل مدخول العقيدة ، ثم يحاول ان يعبر عن اصالتها بابعد الحجج وامتنها ؟ متكلفا في سبيل ذلك كل جهد ؟

— 7 —

يفاجئنا الشاعر في مطلع قصيدته بالاضراب صفحا عن الاستهلال التقليدي ، من نسيب ، وبكاء على اطلال الحبيبة ، ووصف للراحلة ، والاهوال التي لقيها في رحلته ، فهو يعمد راسا الى موضوعه الاساسي ، بعد ان يعلن عن اضرابه عن هذه المقدمة التي كانت لا تزال تتمتع باتم الاحترام ، من لدن المبدعين ، والمتذوقين ، على السواء . واعتقد ان ابا نواس قد تاثر في هذا ، رغم اننا نعرف اختلاف الدافع عند كل منهما ، فالدافع عند (الكميت) شعور باطني باولوية واهمية ، بل وقداسة موضوعه ، فلا داعي عنده الى تلك (الشكليات) التي ليس لها قيمة في دعم الموضوع ، بالاضافة الى انهـا ليست من طبيعته ، اما الدافع عند ابي نواس فيصبح ثورة فنية شعوبية في ان واحد، بحيث اجتمعت لديه فكرة عدم جدوى هذه المقدمة المكررة ، ولا قيمتها من الناحية الفنية ، وفكرة ان العرب بهذه المقدمة الدخيلة التي يقحمونها في كل محاولة شعرية ، يدللون على تفاهة ثقافتهم ، وتشويش تفكيرهم ، واختلال منطقهم ، وتحولت الثورة بذلك الى ظاهرة شعوبية اعتنقها ابو نواس وفلسفها في وقت كادت القصيدة العربية فيه (تتخذ شكلها النهائي)

ثم ان (الكميت) لا يتيمن ولا يتشاءم بزجر الطير وعيافتها ، لا يتطير ولا يتفاءل بسانح ولا بارح وهذه ظاهرة اخرى كانت شائعة في العرب الى زمن طويل جدا بعد عصر (الكميت) ، كان كثير من كبار المفكرين يؤمنون بالزجر والعيافة طيرة وتفاؤلا ، حتى ان الطيرة تحولت عند ابن الرومي مثلا، الى نوع من العصاب عز عليه التخلص منه .

انني اعتبر اعراض (الكميت) عن المقدمة التقليدية، واضرابه عن الزجر والعيافة ، اعتبر ذلك عنصرا جماليا بحتا ، فهو لا يعتقد بعدم جدوى هذه المقدمة كما لا يؤمن بخلو ظاهرة الزجر والعيافة من كل قيمة ، بل انه ما عمد الى الاضراب عنهما الا للتدليل بطريق غير مباشرة على ان موضوعه من الاهمية بحيث لا يقبل ان يدخل اليه بمقدمات مهما كانت نوعية هذه المقدمات .

ثم ان اثارة الشاعر الى ما كان يلقاه من غير الشيعة من عداوة ومكروه ، لم يكن في الحقيقة شكوى وجدانية ، او تعبيرا عن حالة شخصية فردية فقط ، بل كان على نحو ما ، تعبيرا عن ملابسات العصر ، فكاني به ينطلق من الجزئي المحدود الى الكلي العام ، رغم ان هذا مفهوم لم تشتد الدعوة اليه الا موءخرا، ان وصف (الكميت) لما يلاقيه يعبر في نفس الوقت عما يلاقيه هو بالذات ، ويعبر في غضون ذلك عن مقتضيات العصر وتطاحن الاحزاب السياسية فيه ، فهوءلاء يكفرونه ، وهو قد كف عن تكفيرهم لكي لا يكون مثلهم ، الخوارج ، وهوءلاء يعيبونه ويصفونه بالاساءة وارتكاب الذنب ، الاموية ، وفئة اخرى يدعونه بالترابي غمزا له ، المرجئة فهو بهذا يلخص حالة العصر وتطاحن احزابه السياسية من الناحية النظرية حول مشكلة الحكم، ويظهر طبعا ان وجهة النظر التي ينافح عنها هي اصح واسلم النظريات

وانا اعتقد شبه جازم ان الشاعر لا يقصد الى جمالية الكلمة في ابداع الشعر ، بقدر ما يقصد الى ان يجعلها تحمل وتبلغ المعنى المحدد الذي يريد تبليغه ، فليس في قصيدة (الكميت) تلاعب بلاغي مقصود لذاته فهو لا يعمد الى المحسنات اللغوية ، او الى التصنع الذي كان عصره يزرع بذوره في تضاعيف القصيدة العربية ، كما انك لا تحس ، وانت تتذوق القصيدة ، ان الشاعر يرزح تحت اللحظة الذاهلة المذهلة التي تخدر عقلية المبدع ، وتنقله الى اجواء ضبابية مبهمة ،

تكاثف فيها خوالج النفس وتصارع تياراتها ـ انت لا تجد شيئا من هذا ، بل تجدك امام انسان واع متعقل ينطق بكلام واضح مفكر ، وهو في تمام اليقظة والانتباه العقلـــي

الا ان شعر (الكميت) الهاشمي ، وان استطعنا ان ننفي عن اكثره بعض العناصر الجمالية البحتة ، كالضبابية الموحية ، ورشاقة الكلمة ، وحلاوة الجرس والغرف من معين المحسنات اللغوية ، ان استطعنا ان ننفي عنه بعض هذا الجمال ، فنحن لا نملك الا ان نقر له بجلاله ، فشعر (الكميت) اذا مز الادب الرفيع ، القصيدة عنده بناء فكري عاقل متعقل ، ينافح عن الحق ، والمنافحة عن الحق جمال وخير وجلال ، ان الكلمة في قصيدة (الكميت) رمز صريح جاد ، يقولب المعنى ويأسره ، ويبلغه بايسر جهد ، وعندي ان (الكميت) لا يختلف في تذوقه اثنان كبير اختلاف ، مهما تباينت حساسيتهما الادبية ، انظر اليه في هذا البيت :

بخاتمكم غصبا تجوز امورهـــم

فلـم ار غصبا مثلـــه يتغصـــب

كيف يختلف اثنان في فهمه ؟ اليس من الوضوح بمثابة الحديث اليومي ؟ اليس مضمونه يصل الى المتذوق بدون تلكوء ؟ منذ القراءة الاولى ، واضحا محدودا ، بين الغرض ؟

ثم انظر اليه في البيت الذي يليه :

وجدنا لكـم في آي حاميـم ايــه

تاولها منـــا تقـــي ومعـــرب

فصدر البيت اتمام للفكرة التي يحملها البيت السابق ، وتوضيح لها اما عجزه ففيـه اشارة خفيـة الى تفنيد اعداء الشيعة لقضية ورود النص بالعهد لعلـي ، ورد على هؤلاء الاعداء بان الذي تاول هـذه الاية الكريمة لم يكن الا من تقاة المومنين واكبرهم علما ، قد يخفى هذا من ليس له المام بقضية الوصاية والخلاف حولها ، ولكن سبب هذا ليس تقصيرا من (الكميت) الذي يملك قدرة جد عجيبة على اداء المعاني التـــي يريدها ، وبدون اخلال او تقصير

ثم البيتان اللذان يليانه :

وفـي غيرهـا ايـا وايـا كثيـــرة

لكم نصب فيها لذي الشك منصب

بحقكم امســت قريـــش تقودنـــا

وبالفذ منها والرديفيـن نركـــب

فهذ تمطيط للمعنى وزيادة في الايضاح والبرهنة، وهي ميزة (للكميت) سبقت الاشارة اليها

والبيتان بعد واضحان تمام الوضوح ، رغم التعبير في عجز البيت الثاني ، بصورة شعرية متمثلة ، هــذه الصورة البدوية التي انتزعت من الواقع المعاشي اليومي، فاصبحت تعبر عن مبايعة الامويين بولاية العهد لاثنين بعد ان نجحوا في البيعة بها لواحد من ولدهم ، فرمز الشاعر الى الامة براحلة وعليها الفذ ، ثم الرديفان ، كرمز لولاة العهد ، ويمكن العنصر الجمالي في حلولية وتقابل رموز الصورة الشعرية مع الشيء المرموز اليه ، بحيث تحولت الصورة البدوية التافهة ، المبتذلة ، الى عمل ادبي له نكهته الفنية وجماليته ، وهذا امر نادر في شعر (الكميت) وفي هذه القصيدة بالذات .. ثم انظر الى هذه الصورة الجميلة وكأن الشاعر احس بقيمتها فمضى يمططها في الابيات التي تلي :

اذا اتضعونـــا كارهيـن لبيعـــة

اناخوا لاخرى والا سنة تجـــذب

ردافى علينـــا ، لـم يسيموا رعيـة

وهمهـم ان يمتروهـا فيحلبـــوا

لينتجوهـا فتنـــة بعـــد فتنـــة

فيفتصلـوا افلاءهـا ثـم يربـــوا

ان الابيات الثلاثة تظاهر بعضها ، وتتكامل مـع الصورة الشعرية التي بداها الشاعر في عجز البيت الذي قبلها ، ثم مضى يمططها ويولدها ، ويستصفي معينها ،على عادته قاتضاع البعير ايضا ، واناخته ، وجذب زمامه كي يحمل او يركب ، كلها حوادث يومية مألوفة في حياة العرب ، فهي تقع تحت العين في كل ان ومكان ، فهي بذلك تافهة مبتذلة ، ولكنها عنـد ما انتزعـت من الحياة اليومية المبتذلة وحولت الى صورة شعرية ترمز الى احتيال الامويين لبيعتهم الى اكراه الامة على هذه البيعة بشتى الوسائل ، ترغيبا وترهيبا عند ما حولت الى هذا فقدت تفاهتها وابتذالها ، وامست لوحة فنية جميلة

وناهيك بكلمة (كارهين) في البيت ، فهي حشو من حيث الصيغة العربية ، ولكن البيت يكاد يخلو من كل قيمة بدونها ، فهي اهم عنصر في البيت ، ولا يستغنى عنها حتى ولو بمرادف لها .

ويتمادى الشاعر في استقصاء الصورة في البيت الثاني مضيفا اليها عنصرا جديدا هو حرص الامويين على مصلحتهم الخاصة دون الاهتمام بامر الامة وبمطالبها وحاجاتها ، فركوب الدابة من دون ان يسيموها ، واهتمامهم فقط بامتراثها وحلبها دون ان يبالوا بما يقيمها ويريحها فيه ما فيه من حلولية الرمز وتناسقه وجماليته .

وبعد ان يفند الشاعر ادعاء الامويين بانهم ورثوا الامر عن ابائهم ، وبعد دحض هذه الدعوى بالاشارة الى احقية الهاشمية في الامر ، ينتقل الى الاحتجاج لال البيت واظهار تناقض الامويين اذ ما ان افحمتهم الحجة بان الامر ان كان وراثة فالهاشميون احق به ، حتى عادوا ينادون : انها لم تورث ولو انها ورثت لاشتركت فيها جميع القبائل العربية ، ولكان فيها نصيب لاحقر هذه القبائل واصغرها .

ثم مضى يسرد هذه القبائل العديدة حتى ان احد الابيات الخمسة التي ذكر فيها القبائل لم ترد فيه اية كلمة ذات مدلول قائم بنفسه ، بل كان سردا صرفا لاسماء القبائل :

وعك ولخم والسكون وحمير
وكندة والحيان بكر وتغلب

فالبيت ، باستثناء كلمة « الحيان » وواو العطف ، تعداد لاسماء القبائل فقط .

وقد يظهر لاول وهلة ان هذا من (الكميت) عمل ليس تحته طائل ، اذ كان يكفي ان يمثل ببعض هذه القبائل ففي ذلك غناء عن الباقي في هذا المجال .

الا اننا اذا امعنا النظر ، نخلص الى ان (الكميت) يعرف ما يقول ، فهذه القبائل بالاضافة الى انها ليست بذات سابقة في الاسلام ولا في الجاهلية وليس لها شرف عريق وبيوتات ذات ثقل في الجزيرة ، وبالاضافة الى ان للكثير منها معنى لغويا خسيسا .

فالعك مثلا معناه اشتداد الحر مع انحباس الريح ولخمه « فعل ماض » معناه لطمة او قطعه .

ورجل لخمة « بضم اللام او فتحها » معناه ثقيل الروح لئيم .

وكند « بسكون النون » مصدر لفعل كند ، ومعناه الكفران بالنعمة . والكندة معناها القطعة من الجبل .

اقول بالاضافة الى كل هذا : ان اغلب القبائل التي ذكرها هي قبائل يمنية ، وقد كان الشاعر متعصبا على اليمنية ، فلعله اراد هجاءها من طرف خفي بالصيغة التي صاغها والتي يستشف منها ان الشاعر يستبعد ان يكون لمثل هذه القبائل الحقيرة شان في امر الخلافة ، لانه جعل لها نصيبا فيها ما لم يورث ، ونحن نعلم ان الشاعر مومن بان الامر موروث ، ولكن الارث مغتصب مهضوم، اذا فليس لهذه القبائل حظ فيه ، وهذا منتهى اللباقة في الهجاء .

ولعل مما يؤيد هذا الراي بالاضافة الى ما تقدم ،ان الشاعر اختار قبائل عربية كانت الدائرة عليها في كثير من ايام العرب الشهيرة .

فتغلب اندحرت في يوم (براخة) مع حلفائها من اياد ، وفي يوم (زرود الاخر) وفي يوم (ملزق) مع حليفتها بكر ، وقبائل اخرى .

وكندة انهزمت في يوم (شعب جبلة) مع حليفتيها اسد وذبيان ، وايضا في يوم (الشعبة) او (الكلاب الثاني) مع حلفائها من قبائل مذحج وهمدان .

ومن همدان قبيلتا بكيل وارحب .

وعبد القيس انهزمت في يوم (عينين) ... الخ .

ذكر (الكميت) اذا لكل هذه القبائل لم يكن اعتباطا ، بل كان لان هذه القبائل اما كانت لها مدلولات لغوية خسيسة ، واما لانها كانت غير ذات ثقل في الكيان العربي ، واما لانها اندحرت في ايام مشهورة من ايام العرب ، ولا تكف العرب تعيرها بهذا الاندحار ، واما لانها ، وهذا اهم قبائل يمنية ، وذكرها في هذا المقام هجاء لها ، ونحن نعلم ولع (الكميت) بهجائها لانها كانت مناصرة للحكم الاموي .

اما ذكر الانصار فتتحد وجهته مجرى اخر . لان الاشارة الى يد الانصار البيضاء في الاسلام ، وبلائهم في الدفاع عن النبي وعن الدين ضد كفار قريش . وذكر غزوة بدر بالذات . انما هو تعريض بالامويين انفسهم، فهم قادة الحرب ضد النبي والاسلام في هذه الغزوة

كما ان الاشارة الى وقعة حنين ايضا غمز في الامويين ، فهذه الغزوة وقعت لخمسة عشر يوما بعد فتح مكة ، واسرة الامويين لم تسلم الا بعد هذا الفتح الذي تم بدون قتال

فكاني (بالكميت) يرمي الى ان الامويين ، بعد ان ذهبت ريحهم ، وغلبوا على امرهم ، وتفرق عنهم الانصار والحلفاء ، ولم يستطيعوا رد النبي والمومنين عن مكة ، دانوا له على دخل ، وكفوا عن حربه حفظا لانفسهم ، واسلموا مضطرين ، فكيف يكون الامر لهم في الاسلام ؟وهم هم ؟

فاذا كانت لم تورث ، فهو'لاء الانصار المومنون اختيارا ، وبصدق احق بها من سواهم ، لانهم اووا النبي بعد ان طرده الكفار الامويون ، والمومنين معه ، وهم الذين نصروه ، ووطدوا له ، واعتز الدين بجهادهم ، فهم احق بالخلافة اذا كانت لم تورث ؟

ولكنها ورثت ، وورثها احياء يرزقون ، غير ان ارثهم ، اغتصب منهم ظلما ، اغتصبه هو'لاء الامويون الذين ليست لهم سابقة في نصرة الدين ، بل كانوا حربا عليه ، ولم يسلموا الا مكرهين ، وتحت حد السيف

والخلاصة ان (الكميت) نافح عن مذهب الشيعة ، ونشر مبادئهم في شعر واضح جليل قوي الحجة دامغها ، ذي العاطفة مخلصها ، واستغل في ذلك جميع مو'هلاته وامكاناته الفطرية منها والمكتسبة ، فانت في قصيدته تجد علمه بالانساب وبايام العرب ، وتجد فقهه وحفظه للقرءان ، وتجد تمكنه من اللغة تمكنا ضافيا ، وتجد براعته في البرهنة والاحتجاج ، كل ذلك وانت تحس ان الشاعر يتنفس بيسر واطمئنان ، هذا بالرغم من اتهام بعضهم اياه في هذه العقيدة الشيعية مدللين باجادته في الهجاء ، هجاء اليمنية ، او باجادته في مدح الامويين وانا اعتبر هجاءه لليمنية اتماما لتشيعه ، فاليمنية هي نصير الامويين على المعارضة من شيعة وغير شيعة ، اما مدحه لهم فلم يكن الا تقية وجنة يدرا بها شرهم الذي كاد يلحق به ، بل وقد لحق به رغم هذه التقية ، واجادته في هذا المدح ليس حجة في وجود دخل في تشيعه فهو في شعره الشيعي جاد مجادل لا يهتم بالشكل، وبمحسنات اللغة ، بل همه التبليغ القوي الواضح ، اما في قصائد المدح في الامويين ففيها كثير من حيل الشعراء على المعنى وعلى اللفظ ، وصدق (الفرزدق) اذ قال حين سئل عن شعر (الكميت) الشيعي : انه وجد اجرا وجبسا فبنى) اشارة منه الى ان الشاعر وجد الموضوع مهيئا فاتبع

ولست ادري اقصد (الفرزدق) الى التقليل او الى الاعلاء من شانه ، ولكن الامر الذي اومن به . هو ان (الكميت) وجد الموضوع مهيئا فعلا ، ولكنه اجاد في تحويل هذه المادة الخام الى بناء يكمن جماله في انه تسميك قوي شامخ

فــاس : ابن دفعـــة محمد

مصادر البحث :

1) هاشميات (الكميت) 2) الشعر والشعراء لابن قتيبة 3) طبقات الشعراء لابن المعتز 4) العمدة لابن رشيق 5) خزانة الادب للبغدادي 6) المو'تلف والمختلف للامدي 7) التطور والتجديد للدكتور شوقي ضيف 8) العصر الاسلامي للدكتور شوقي ضيف 9) ادب السياسة للحوفي 10) تاريخ الشعر السياسي احمد الشايب ... الخ

المناهج التعليمية عند ابن خلدون

للأستاذ محمد الأمين الدرقاوي

(3)

راينا في المقال الاول كيف تحدث ابن خلدون عن الغاية من التعليم، وكيف انه قسم هاته الغاية قسمين، غاية قريبة يسعى اليها المتعلم بادئ ذي بدء، وغاية بعيدة هي اسمى ما يطلبه الانسان، ورأينا كذلك ان وسائل التعليم تاخذ نوعين من الاتجاه في هذا اللون من الصناعات البشرية او منهجين يختلفان ما بين مرغوب فيه ومرغوب عنه، فالنوع الاول امور ينبغي ان يتجنبها المعلم كطرق موصلة للعلم، وعرضناها على النحو التالي: 1) كثرة التاليف. 2) كثرة الاختصار. 3) التحذير من البداية بالمسائل المقفلة. 4) عدم الاقتصار على كتاب واحد. 5) تطويل الجلسات. 6) صناعة المصنف. 7) الشدة على المتعلمين.

ورأينا في المقال الثاني المناهج والطرق التي ينصح ابن خلدون باتباعها في صناعة التعليم، وعرضناها على النحو التالي: 1) التدريج. 2) الاقتصار على علم واحد في التعليم. 3) استعمال الفكر الطبيعي. 4) التوسع او الاختصار حينما تلح حاجة المتعلم على واحد منهما، او على كليهما. 5) السيطرة وتربية روح النقد والملاحظة في المتعلم ومحاولة الشعور ببيئته. 6) الرحلة في طلب العلم. 7) الاستعداد الروحي من طرف المتعلم بالطهارة من جهة وبالتوجه الى الباري – جلت عظمته – بالدعاء في الفتح من جهة اخرى.

وفي هذا المقال نتابع عرض المناهج التعليمية عند ابن خلدون، ودابنا في هذا المقال وفيما سبقه تجنب الاطناب والتحليل الذي يذهب براي ابن خلدون ذهاب الغريق وسط امواج البحر ومستجيبين لبعض ملاحظات الاستاذ ادريس الكتاني التي لا تخلو في مجملها من سداد في الرأي، ومحللين او معلقين بعد ذلك على راي ابن خلدون نقدا، و موازنة او تعليقا.

طريقة المناظرة والمحاورة:

ومما يضاف الى المناهج التعليمية عند ابن خلدون طريقة المناظرة والمحاورة كما يقول: (وايسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فهو الذي يقرب شانها ويحصل مرامها) فانت ترى ان ابن خلدون الذي يرى ان اسمى ما يسعى اليه المتعلم هو حصول الملكة وهي عنده – كما نرى جسمانية – اشتقها هو او اشتقها من سبقه الى استعمالها من فعل ملك الشيء اذا حصل له وصار في ملكه، كما يبدو من جوانب الكلام في حديثه عنها، وهو لذلك يرى ان فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة يقرب شان هاته الملكة ويحصل ما يومي اليه الانسان منها بالمحاورة – وهي الاخذ والعطاء ومراجعة المخاطب للمتكلم، او بالمناظرة وهي عرض امور من طرف المخاطب بما يخالفها او يوافقها في كلام المتكلم.

فطريقة المناقشة كما يعرضها ابن خلدون من اجلى الوسائل عنده في التعليم، ولذلك ياخذ ابن خلدون على المغاربة – في فترة من الزمن – عدم اخذهم بمذهب المناقشة او المحاورة والمناظرة في التعليم لهذا يقول: (فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون، ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ اكثر من

الحجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم) اذن فالمناقشة عند ابن خلدون من اهم الطرق الموصلة للعلم في مناهج التعليم ، وقد عبر عنها بالمحاورة والمناظرة وبينا الفرق بين المحاورة والمناظرة وقد ابانت عوامل الزمن عن مدى فعالية هاته الوسيلة في ميدان التعلم بل انها من اهم الوسائل التي بها يتم التمييز بين التلاميذ ومعرفة قدرتهم على الادراك وعدمـــه

التعليم صناعة :

ان ابن خلدون الذي يفرق بين العلم كحقيقة جوهرية وبين المصطلحات كامور عرضية غايتها ان تهيء الانسان لادراك هذا العلم هو الامر الجوهري الذي يسعى المعلم لايصاله ، والمتعلم لبلوغه ـ يرى ان الوسيلة لهذا التبليغ والبلوغ انما هي مجرد صناعة لا اقل ولا اكثر ، وكون التعليم صناعة قد تختلف الطرق فيه كاختلاف الصناع في طرق صناعتهم ، فطرق التعليم اذن ليست من العلم في شيء وانما هي امور خارجة عن ذات العلم وحقيقته كما يتميز العرض عن الجوهر ، ولهذا جاز ان يكون لكل معلم طريقه الخاص به يختلف جودة او رداءة باختلاف المعلم مهارة وحذقا او بعدا عن هاته المهارة والحذق في مثل هاته الصناعة البشرية (ويدل ايضا على ان تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه ، فلكل امام من الائمة المشاهير ، اصطلاح في التعليم يختص به شان الصنائع كلها ، فدل على ان ذلك الاصطلاح ليس من العلم والا لكان واحدا عند جميعهم) فانت ترى ان ابن خلدون يرى ان طرق التعليم انما هي مجرد اصطلاحات يرتئيها اصحابها والا لو كانت علما لكانت واحدة عند جميع المعلمين لا تختلف بين معلم واخر كما لا يختلفون في ذات العلم، يختلف العلماء في طرق التعليم في عصر ما عن علماء العصر الذي سبقهم ، ويختلف العلماء من ابناء العصر الواحد في هاته المناهج ولذلك لا يفتا يمعن في توضيح مهمة المناهج التي هي مجرد اساليب (الا ترى الى علم الكلام كيف يخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتاخرين وكذا صول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة فدل على انها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفســـه)

حاجة الصناعة الى صانع ماهر :

واذا كان التعليم صناعة فلا بد لهاته الصناعة من صانع ماهر ، والصانع الماهر في ميدان التعليم هو المعلم الماهر في كل زمان ومكان ولهذا يقول : (وكان السند في التعليم في كل علم او صناعة الى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند كل افق او جيل) .

العلم ملكة او حفظ ، ان التعليم عند ابن خلدون يرمي دائما وابدا الى غاية واحدة هي حصول الملكة وليست مجرد استظهارها ، ولحصول هاته الملكة وسائل راينا منها المناقشة التي اطلق عليها ابن خلدون المحاورة والمناظرة ، واذا خلا التعليم من هاته الوسيلة الفعالة التي بها يستطيع المعلم ان يميز بين من استوفى من المتعلمين حاجته في العلم وبين من لم يصل الى المطلوب فوقف عند مجرد الحفظ ، ولذلك كان ضروريا ان يعطي ابن خلدون لذلك امثلة وان تكون هاته الامثلة طرق اهل المغرب على ذلك العهد من قصور في ادراك المراد من صناعة التعليم والوقوف عند الاستظهار ، لا يناقش منهم المتعلم قضية ولا يتكلم في مسالة من المسائل العلمية (فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون، ولا يفاوضون ، وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة ، فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم، ثم بعد تحصيل من يرى منهم انه قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه ان فاوض او ناظر او علم وما اتاهم القصور الا من قبل التعليم ، وانقطاع سنده والا فحفظهم ابلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم انه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك)

ماذا تعني كلمة علم ـ ؟ :

ان ابسط تفسير للعلم يقدمه لنا ابن خلدون هو ان يحصل الفكر على شيء لم يكن حاصلا عنده ، ولذلك كان الفكر عنده منشأ العلوم التي تقابل ما كان مجهولا لان هاته الامور التي تحصل للفكر هي غير طبيعية له ولا هي لازمة له او تولد معه ، وانما يحصل عليها شيئا فشيئا والفكر حركة حاصلة للانسان الا انها دائمة ، وتخالج الامور في اسرع ما يمكن ، والانسان بطبعه يستخدم دائما هاته الاداة في كل الامور ، فالفكر دائم الحركة يفكر في كل شيء يفكر في الحياة بصورة هامة ، ويفكر

في المعاد ، وكل هذه امور تستدعي عنه ان يحصل ما ليس بحاصل عنده (ثم لاجل هذا الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما عنده من الادراكات) فانت ترى ان ابن خلدون يريد بالفكر الحركة التي تنشأ عنها العلوم ، ويريد بها العقل ذاته او الفكر كمستودع للعلم ، اذن فادراك العلم مجهود يسعى اليه الفكر بوسائل خاصة تنتهي به الى ادراك ما لم يكن عنده حاصل :

غير ان هذا الادراك يسير في مراحل :

1) الادراك وهو دون المعرفة ودون العلم ، فالادراك مجرد وصول من قولك ادركت الامر اذا وصلته وادركت المرئيات اذا انتهى اليها بصرك ولهذا اذا كان ادرك الانسان بهذا المعنى امرا من الامور فلا يعني انه قد صار علما او معرفة ، لان المعرفة والعلم مراحل تلي مرتبة الادراك فانت عند ما تدرك امرا ما تكون قد شاهدته ببصرك فقط ، ولا يعني ذلك في قليل او كثير انك تعرفه او تعلمه ، فالادراك مجرد رؤيا بصرية لا تخالط ذهن الانسان حتى تصبح معرفة تمتزج به ، او علما حاصلا يتعرف فيه ويستخدمه

وبعد الادراك تاتي مرحلة ثانية هي فوق الادراك ودون العلم بمعناه الكامل وتلك هي المعرفة ، ان المعرفة كما قلنا مرحلة فوق الادراك ، ودون العلم فانت بهذا المعنى ترى الشيء فتدركه ثم تزداد عليه تعرفا فاذا انت عرفته واتقنت معرفته وعرفت اصوله ، وعرفت خفاياه من غير ان تحصل لك في تلك المعرفة دربة تمتزج بحواسك فانت قد عرفتها معرفة دون درجة العلم

اذن فالمعرفة علم بدون تحصيل او علم لم تمتلك فيه الحواس ما عرفت امتلاكا يجوز لها التصرف فيما علمت

فاذا تجاوز الانسان مرحلة مجرد الادراك الى المعرفة وبعد المعرفة استوفى على غاية ابعد من المعرفة بان عرف الاشياء وخبرها ثم حصلها كما يحصل الانسان امرا من الامور يمتلكه ويتصرف فيه تصرف الحاذق المستبطن لخفاياه والعارف باصوله وعلله والمتصرف فيه تصرف الانسان المالك الذي امتزجت عنده المعرفة بالحواس ، واصبحت جزءا من تركيبه الجسماني يدعوها فتجيب ، ويستخدمها فتطيع ، كما تستخدم الالات ، فقد اصبح له ذلك ادراكا ثم صار معرفة ثم صار علما .

اذن فالعلم بمعناه البسيط ادراك ما ليس بحاصل ، وبمعناه الكامل ادراك اولا ، ثم معرفة ثانيا ، ثم تحصيل وامتلاك لزمام الامور واستخدامه في طواعية ويسر ثالثا ، وهذا التمييز على نحو ما وصفنا هو الذي عناه ابن خلدون بقوله (فيرجع الى من سبقه بعلم او زاد عليه بمعرفة او ادراك) رأيت اذن ان العلم يبدأ اول ما يبدأ بالادراك ثم يتطور الى معرفة وتتطور المعرفة الى علم فاذا مر بهاته المراحل ، الادراك والمعرفة والعلم اصبح ملكة ، اذن فالعلم في تطوره ينتهي الى مرحلة رابعة بعد المراحل الثلاث عندها يصبح العلم ملكة .

فما هي الملكة اذن ؟

ان الاصل الاشتقاقي لهاته الكلمة يعطي انها من فعل ملك الشيء اذا صار في ملكه والمعروف انهم ارادوا بهذا المعنى ان يعبروا عن العلاقة بين الملكة في العلوم ، والملك في المحسوسات ، فكما ان مالك الشيء يتصرف فيه كيف يريد ، فكذلك صاحب الملكة يتصرف في العلم التي حصلت له فيها ملكة ، كما يتصرف صاحب الملك في ملكه ، الا ان الامتلاك الوارد في الملكة والمتصل بالعلم يعني ان المتعلم قد بلغ في التعلم درجة اصبح معها متمكنا من معرفة الفن معرفة الملم باصوله وفروعه وقواعده ، معرفة تجعل من المتيسر له ان يستخدم هاته المعارف استخداما لا يقل عن استخدام المالك لممتلكاته يعرف اصول الفن وقواعده ويعرف اسبابه وعلله حتى تبلغ به هاته المعرفة درجة يمكن ان يناقش ويميز كل العلوم او بعبارة اقرب الى المراد ان تحصل له في هذا الفن درجة المجتهد الذي يبلغ من التحصيل درجة ، ومن القدرة على الخلق او الابتكار او الاختراع درجة (وذلك ان الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في الاحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله) ، ان الانسان الذي لم تحصل له هاته الملكة على هذا النحو فهو عارف او مدرك ، وليس بعالم ، وقد حرص ابن خلدون على التنبيه على الفرق بين الملكة وغيرها فجعل يشيرها من حين لاخر ، حتى يكون المتعلم قد ميزها ، وعرف حقيقتها ولذلك رايناه يلح من جهة

اخرى على توسعة جوانب هذا التعريف حتى تكون الملكة ابين ويكون معناه اوضح عند المتعلم (وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي لانا نجد فهم المسالة الواحدة من الفن الواحد ووعيها مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتديء فيه وبين العامي الذي لم يحرف علما وبين العالم النحرير والملكة انما هي للعالم او الشادي في الفنون دون من سواهما فدل على ان هذه الملكة غير الفهم والوعي)

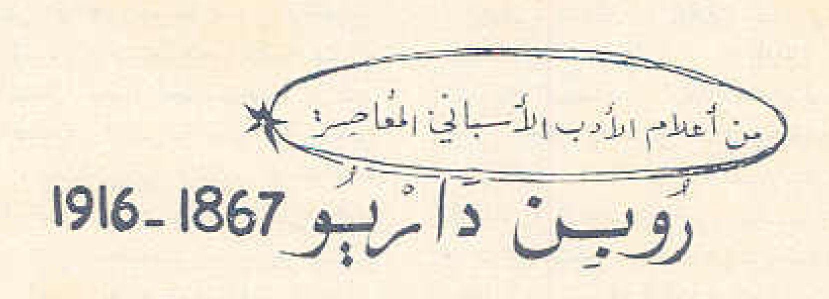
فالملكة بهذا المعنى خاصة يمتلكها المتعلمون تميزهم عن غيرهم من الذين لا يتوفرون على معرفة او علم ، لان الوعي امر قد يشترك فيه عامة الناس ، وكذلك الفهم ، وانما يتفاضل الناس المتعلم منهم ، وغير المتعلم بالملكة للمتعلمين منهم خاصة

وعلى هذا فالملكة قائمة على مجهود خاص ، وهذا المجهود الخاص هو الذي يجعل منها امرا جسمانيا ، لان التصرف والامتلاك بهذا المعنى من خواص الامور الجسمانية ، وهذا المعنى ايضا راينا ابن خلدون يؤكده ويثبت صحته ويفسر لما ذا كان كذلك (والملكات كلها جسمانية سواء في البدن او الدماغ من الفكر وغيره كالحساب) .

وملخص القول ان الملكة ادراك ومعرفة وعلم ثم دربة ومهارة في هذا الادراك ، وهذه المعرفة وهذا العلم وهاته المهارة او هاته الدرجة التي لخصنا معنى الملكة فيها تزداد بازدياد حسن الملكات وتنقص بنقصانها ، فالملكات كما راينا دربة ومهارة ، ولا تكون الدربة والمهارة الا عن علم ومعرفة وادراك حتى تكتسب النفس فضائل والعقل ذكاء ، والفكر اضاءة . وهاته الامور التي تحصل كلها للانسان سواء في عقله او فكره نتيجة لحصول الملكة لخصها ابن خلدون بقوله : (وحسن الملكات في التعليم والصنائع ، وسائر الاحوال العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله واضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس ، اذ قدمنا ان النفس انما تنشا بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات فيزدادون بذلك كيسا لما يرجع الى النفس من الاثار العلمية فيظنه العامي تفاوتا في الحقيقة الانسانية وليس كذلك) .

ان الملكة مهارة في معناها وتربية للنفس في فائدتها وكلما كثرت الملكات كلما ازداد الانسان مهارة وازدادت نفسه بذلك نشوء وارتقاء)

الرباط ـ محمد الامين الدرقاوي



للأستاذ: حسن الوراكلي

(4)

حاولنا ، فيما تقدم من حديث ، ان نرسم ملامح من حياة هذا الشاعر المجدد الفذ، متوخين في ذلك شيئا غير ضئيل من الايجاز ، ومتعمدين حظا غير يسير من الاختصار .

ونحن نود، بعد ذلك جميعه ، أن نعرف المكانة التي يتبواها هذا الشاعر في سجل الادب الاسباني الحديث، واين يمكن التماس محاولاته التجديدية ، هل كانت تعنى بالشكل دون المحتوى ام بهما معا ؛ ونود أيضا أن نلم – عابرين – بلمحات من اعماق الفن الروبني وابعاده ، لننتهي الى طرح هذا السؤال : الى اي حد يمكن اعتبار روبن اسبانيا علما بانه نيكاركوي المولد والنشأة ؟

لقد كان روبن داريو شاعرا عظيما ، وكاتبا عملاقا ، تمكن بفضاء موهبته وشفافية حساسيته ان يشيد للغنائية الاسبانية شواهق وقمما ، ظفرت، وستظل تظفر الى ما شاء الله ، باعجاب محبي الكلمة المعذوذبة وعشاق اللفظة المكوكبة .

واذا اردت ان تعرف المكانة التي تبواها هذا الرجل في سجل الادب الاسباني الحديث ، فعليك – قبلا – ان تعرف مكانة الشاعر الفحل كونكورة في هذا الادب ؛ ذلك لانهما يشتركان في اكثر من ميزة مما يجعل مكانتيهما متشابهة ان لم نقل واحدة ، فكلاهما جدد وابدع في هذا الادب ، وكلاهما سعى ، مجدا ومخلصا ، الى الارتفاع بشكل الشعر ومضمونه الى آفاق يعز التحليق في أبهائها ، ونحن واجدون شبه اتفاق بين النقاد في انه « ليس هناك اسم أبهى والمع بعد كونكورة من اسم داريو » (1) ، وان كنا لانعدم اليوم فئة من القراء لاتزال تعجب بآثار كونكورة وتلمس في اعماله الرائعة عمق الفن وجمال المضمون، فانه مما يجب ان نجزم به هو أن ازدهار الشعر بخاصة والنثر الفني بعامة في اسبانيا اليوم انما يرجع الفضل في ذلك لمجهودات روبن التجديدية ، وليس من سبيل الى انكار اثر المدرسة الروبينية في اعداد اعمال جون مغير خوان رامون خمينث من جهة واعمال جيل 1927 او جيل الاحفاد كما يسميه اونامنو (2) .

ولقد تهيأت لروبن جملة مؤثرات وحوافز، تضافرت كلها لتخلق منه رائدا ثائرا لحركة التجديد، ولعلنا نذكر ما المحنا اليه – فيما سلف من قول – من ان مخايل الذكاء وعلائم النبوغ وبوادر الموهبة الفنية المعطاء قد بدت عليه وهو لما يزال يخطر في أبراد طفولته المبكرة ؛ تعلم القراءة وهو ابن ثلاث سنوات ، وانه ليذكر جيدا كيف ان جده لابيه هو الذي دفع به لقراءة الكلاسيكيين الاسبان على صغر سنه ، يقول : « الجد الاسباني ذو اللحية البيضاء قدم لي مجموعة صور وقال لي : – هذا هو العظيم ضون مكيل ذي سرفانتس ، هذا هو لوبي دي فيكا ؛ هذا كارتيلاسو ؛ هذا كينطانا . انا سالته

1) انظر : E. Correo Calderon y Fernando Lazaro : Antologia literaria, T. II, p. 193.

2) انظر : G. Torrente Ballester : Panorama de la literatura espanola contemporanea, ediciones Guadarrama - Madrid

عن الشهير كارتيان ، عن طرسا ، عن لاسانطا ، عن الشجاع كونكورة ، وعن اقواهم جميعا ضون قرانثيكو دي كيدو وفيكاس» (1) .. وحينما بلغ الثالثة عشرة من عمره جعل يكتب اشعارا كثيرة للمناسبات : اعراس ومآتم ، واذ بدات الصحف تنشرها سماه الناس « الشاعر الطفل » ... يضاف الى ذلك ما اتاحته له وظيفه فى المكتبة من فرصة القراءة والاطلاع على الاثار الروائع للكلاسيكيين والرومنطيقيين من فرنسيين واسبان ، وما امدته به سياحته وتحركاته على الخريطة منذ مطلع الصبا من كبير فائدة وجليل جدوى ، فلقد اقام فى كل من مدريد وباريس ، يتصل بكبار ادبائهما ويصاحب أعاظم شعرائهما ، ويشارك فى الحياة الادبية والفكرية بهما ... كل ذلك يعكس بعضا من المؤثرات والحوافز التي دعت روبن الى الثورة والتجديد والابداع وخلق مدرسة أدبية جلبت اليها اتباعا واشياعا .

لقد اقدم روبن بجراة وحماس يجدد الشعر الاسباني من زاويتين : زاوية المعجم Léxico وزاوية العروض Métrico ؛ فاليه يرجع فضل تجديد المعجم الشعري بكثير من الاصوات التي استعملها وكانت مهجورة ، وبكثير من المفردات الجديدة ، وفى هذا الصدد يبدو عمله الشديد الشبه بعمل كونكورة ، اما فى زاوية العروض فان روبن أحيى اوزانا قديمة ، وادرج اوزانا اخرى جديدة ورفع عقيرته بان لا قيود ولا تحجر فى البنية الموسيقية للقصيدة ، معلنا بذلك عن مبدا الحرية اللافوضوية فى عروض الشعر ؛ ومن ثم نجد عنده ــ كما يقول جان كامب ــ « غنى فى الاساس والشكل وأوزانا مجهولة »

وروبن فى كل ذلك ، اي فى تجديده للمعجم والعروض الشعريين ، يبدو متاثرا بصورة قاطعة ليست تقبل جدالا او نقاشا ، بكونكورة ، كما يبدو مستجديا او مستنجدا بكتاب آخرين كثوفانتس ولوبى دي فيكاوكيبو وكارسيان ، وبالبارنسيين والرمزيين الفرنسيين من امثال فرلين ومالبارني .

وكل هذا التاثير طبع كتابات روبن بطابع خاص وفريد ، جعلها ــ فى رأي جان كاتسو ــ تفتح النوافذ ، وتسجل الانفصال عن النزعة الاكاديمية ، وتتيح للشعر الكاستيلي ان يستعيد وعيه بنفسه وبتقاليده ومستقبله ، وأن يفتح لنفسه طرقات جديدة » .

واذا كانت كلمة النقاد متفقة على ان اثري روبن: « ازرق Azul » 1888 ــ « ونثر غير مقدس Prosas profanas » 1896 ، يسجلان بدء الحركة التجديدية الحديثة ويعكسانها ، وان ديوانه اغاني الحياة والامل Cantos de vida y esperanza ــ 1905 ــ حقق الانتصار الرائع اللامنتهي للثورة الروبينية التي عاشت ، قوية ، نابضة ، فى شكل الشعر ، معجما وعروضا ، حتى بعد ان مضى شطر كبير من هذا القرن العشريني اللاهث المحموم ، ، اذا كانت كلمة النقاد متفقة على ذلك فان نظرتهم تختلف وتتباين فيما يتصل بتقويم عطاءات هذه الثورة الروبينية ، ولست احب ان استعرض أوجه اختلاف نظرتهم وتباينها حتى لايطول بنا المقام ؛ وبحسبي ان اورد كلمة للشاعر خوان رامون خيمينث ، هي ــ عندي ــ خير ما توصف به عطاءات ثورة التجديد عند روبن ؛ يقول خيمينث واصفا هذه الثورة وعطاءاتها : « انها اعظم حركة للتحمس والحرية انطلاقا الى الجمال » .

ليس من شك فى ان شاعرنا كان يجري فى شرايينه وعروقه مزيج من دم ، فيه الهندي الامريكي ، وفيه الاسباني ، وفيه الفرنسي ــ فقط من الناحية الجمالية (2) ، ولقد قيض له ان يحيا فى مجتمعات ويعيش فى بيئات ، اختلفت مشارب اهلها وتباينت تقاليد قومها ؛ وبرغم ما كان يتميز به روبن ، من روح طفولية ، كالحة ، كئيبة ، شديدة الاعتقاد بالخرافات ، عميقة الايمان باوهام العالم الاسطوري ؛ برغم ذلك فان روحه لم تكف عن العطاء الجميل ، وكان تاريخها سجلا رائعا ــ منذ اقبل على الدنيا حتى اللحظة التي ودعها فيها ــ لاقدس عاطفة واجملها : الحب ... وانس والينا وهورطينسيا وزوجاته ورفيقة ايامه الاخيرة فرنسيسكا سانتس ؛ كل اولئك كن ملهماته ومفجرات للسحر الحلال فيما كتب من شعر وانشا من نثر .. وانما اود ان انتهي من كل ذلك الى الزعم بان دم روبن المختلف ــ سواء من الناحية السلالية او الجمالية ــ وعيشه فى بيئات مختلفة ، وتعلقه باكثر من امراة كاد يصبح معه ممثلا لنوع من « الضونخوانية » ؛ كل هذا بث فى اعمال روبن طعوما مختلفة ، متنوعة ، نتذوقها ونحن نقرا له فى « ازرق » و « نثر غير مقدس » و « اغاني الحياة والامل » و « الاغنية التائهة » El canto errante و « قصيدة

(1 انظر : V. Mateo Velasco : Literatura espanola contemporanea, ediciones S.M., Madrid

(2 انظر : Gerardo Diego : Poesia espanola contemporanea - Antologia - Edicion Taurus

الخـريـف Poema del otono » وغير هذه مـن اعماله الشعرية .

على انه لايمكن معرفة الفن الروبثـي ، اعماقـه وابعاده ، الا عن سبيلين اثنتين ؛ اما اولاهمـا فهـي دراسة تحليلية للاثار الشعرية والنثرية التي كتبهـا في فترات متفرقة من حياته ، وذلك ما لايمكن أن تنهض بـه طبيعة هذه الاحاديث ؛ وثانيتهما تتحقق بقـراءة متبصرة واعية لفقرات من المقدمات التي صدر بهـا مختلف كتبه ودواوينه ؛ من ذلك قوله ، متحدثا عـن العروض والموسيقى ، « والقضية العروضية ؟ والنغم؟ كما ان لكل كلمة روحا فان في كل شعر بالاضافة الـى التناسق الشفهي نغما فكريا . ان الموسيقى ، احيانـا كثيرة ، لاتتبع الا من الفكرة (1) » ، وعندما نتصفـح مقدمة ديوانه « اغاني الحياة والامل » ننفض ايدينـا منها وقد علمنا ان روبن يكرم ويقدس ارستقراطيـة الفكر ، ويحترم ويجل نبل الفن ؛ وفي المقدمة نفسهـا يتحدث الشاعر عابرا ، عن حركة التجديد التي يتزعمها فيقول بأن حركة التحرر التي بداها وهو في أمريكـا ما لبثت أن تفشت وانتشرت في اسبانيا ، وسواء في هذه او في تلك فان النصر لهذه الحركـة التجديدية منال لاشك ، واذا انصتنا اليه في مقدمة ديوانه « الاغنية التائهة » وجدناه يقول : « انا كنت قلت : كن صادقـا معناه ان تكون قويا . ان النشاط البشري لايشـق طريقه بواسطة العلم والمعارف الحالية ، ولكنه يشـق طريقه بانتصاره على الزمان والمكان . انـا كنت قلت: هو الفن الذي انتصر على الزمان والمكان . لقد وقفت متدبرا قضية الوجود ، وتلمست الوصول الى اعلـى درجات التخيل والتصور ، ولقد عكست ما في نفسي، واردت التغلغل في نفوس الاخرين وسبـر غور النفس العالمية الرحبة » .

تطـوان — حسن الوراكلي

---

1) انظـر ديوانـه : Prosas profanas



لماذا نقرأ الشعر؟

للاستاذ : عبد العلي الوزاني

(2)

اقترح على القارىء ، ان يقرأ معي هذه الكلمات من ديوان « ازهار الضياع » لسليمان العيسى ، بعنوان « مصير اغنية »

غرقت فى الصمت
ضاعت فى المدى ،
فى حنايا الغيب ..
لا اعلم اين !
ولدت كالضوء ..
ثم انطفات ..
رعشة حالمة .. او رعشتين
ربما ذابت شعاعا لينا
منهكا .. واختبأت فى مقلتين
ربما فرت على اجنحة
من رؤى ..
وانسكبت فى غيمتين ..
انني المحها .. اغنيتين
جدولا ينساب
مغلول اليدين
جدولا صلى له الفجر ندى
وسقاه عبقر .. ارجوعتين
سوف اطوي سرها فى خاطري
اي لحن يتحدى شفتين
اروع الشعر
سؤال حائر
ابدا ..
مختبىء
فى مقلتين ..

الشاعر فى هذه الكلمات ، يحدثنا عن الاغنية التي لم يستطع ان يكتبها ، لانها اومضت فى خياله وميض البرق ، ثم اختفت فى ضمير الغيب ، غيبه البعيد الاغوار ، ولكل شاعر كبير غيبه الخاص ، شأن كل نفس كبيرة ، كثيرة الدروب ، شاسعة الافاق ، والشاعر يشعر بحيرة كبيرة ، اذ يحس الاغنية جدولا ينساب فى نفسه ، ولكنه عاجز عن التقاطها فى كلمات ، ربما لانها شديدة الغموض ، ربما لانها غريبة رعناء طائشة ، لا تريد ان تخضع لقيود اللفظ ، ربما لسبب آخر ، واخيرا يقتنع الشاعر بان يكتمها فى قلبه ، ضاما عليها شفتيه ، وهنا يتبين لنا عمق اللحظة التي عاشها الشاعر ، عندما اهتدى الى ان حيرته نفسها ، هي من صميم الشعر ، فالشعر ان هو الا سؤال حائر مختبىء دائما فى مقلتين ، وهذه الحيرة تفتح امامنا كثيرا من ءافاق التخيل والاوهام الشعرية ، فهي اغنى واقوى ثراء من اي يقين او جزم بشيء ولو ان الشاعر ضبط تلك الاغنية ، والقى عليها شباكه وقدمها الينا ، لما وصلت الى ان تضعنا فى هذا الجو الشعري الحائر ، الذي نقلنا اليه سليمان العيسي ، عندما القى الينا بكلماته تلك الحائرة ..

واذا كان الشاعر يشكو من ان اغنية لم يستطع ان يكتبها ، وهو الانسان الممتاز فى تصوره للاشياء وقدرته على التعبير عنها ، هو الذي يقوم بعملية الخلق فيضيف الى الحياة اشياء جميلة من ابتكاره ، فكيف بنا نحن ولسنا شعراء ، ولا نملك من مقاليد الكلمة الشاعرة ما يملك ؟ وبالرغم من ان الشاعر انسابت الاغنية من بين اصابعه كشعاع يتبدد ، فانه احتال عليها ، واقتبس منها كلماته الرائعة تلك ، فكان فى كتمانه لها ، اقوى منه فيما لو افصح عنها ، واذا كانت الاغنية قد افلتت منه ، فهو بكياسته الفنية ، قد قدم لنا نفحات من شذاها العطر ، اما نحن الذين لسنا شعراء ، فما اكثر الاغنيات التي ماتت على شفاهنا .

والخواطر التي تلاشت وراء السنتنا ، ولو اعارنا الشاعر لسانه الذرب ، واداته الفنية ، لكانت لنا جولات في دنيا الشعر ، واذا لم يكن ذلك في الامكان ، فالشاعر يتولى مهمة التعبير والكشف ، بما اوتي من كفاية وقدرة ، وكانما يحمل الشاعر هموم الكون كله، ومشاعر الانسانية كلها ، عندما يكلف بالكلمة كلفه الشديد ، فيزرع الصفحات تلو الصفحات ، حروفا مشرقة ، اختصرت فيها عوالم سماوات ..

وكلما طالت عشرتنا للشعراء الافذاذ ، نلتمس عندهم شفاءنا مما نجد من كبت ، تجاه انفسنا ، في حالات اشراقها وتفتحها ، لا تزيدنا تلك العشرة الا حيرة على حيرة ، فاذا بشؤوننا الروحية ، وشكوكنا الفكرية ، وتطلعاتنا الى المجهول ، لا تزداد الا تعقيدا وغموضا ، اذ كلما انفسح المجال امام الرؤية الفنية ، كلما كثرت الشكوك والوساوس ، فكانما القي بنا في بحر خضم ، لا نهدا فيه ولا نستقر، وانما هي غمرات تعقبها غمرات .. واذا كان الشعر سؤالا حائرا على حد تعبير سليمان العيسى ، فهذا السؤال سيظل منتصبا امام خالقي الشعر وقارئيه ، متحديا المواهب والتطلعات الفكرية ، تندفع من اجل الاجابة عنه ، ولكنها لا تصل الى ذلك الجواب المريح ، ولو هي وصلت اليه ، واستراحت وزايلها كل قلق وحيرة ، لانطفات شعلة الفن ، واقفرت دنيا الشعراء ، واغلقت ابواب السماء ، وانقطع الوحي الشعري ، ذلك ان من عجائب قصة الخلق الفني عند الانسان ، انه بقدر ما تكثر شكوكه ، وهواجسه ، وتطلعاته ، وتحرقه للحقيقة الخالدة ، وتلهفه للكمال الانساني والفني ، بقدر ما تتفجر في نفسه ينابيع الشعر ، وتسيل الكلمات من بين اصابعه تفيض اشراقا وحرارة ، ونحن قراء الشعر ، نريد ان نقراه ونقراه كثيرا ، ليخصب نفوسنا ، وينمي تطلعاتنا ، ويشعرنا بمكانتنا من هذا الكون ، ومكان الكون منا ، ليبعثنا على التساؤل والقلق والحيرة ، ويستحثنا على التامل في مصيرنا ، وفيم خلقنا ، ولماذا نعيش ، وما الغاية من وجودنا ؟! ونحن مقدما واثقون اننا لن نصل ابدا الى الاقتناع ، لان الفكر البشري عندما يصل الى هذه المسالة الهامة ، ذات الخطورة الكبرى ، يظهر عجزه المطلق ، بالقياس الى ابتكاراته وفتوحاته في النواحي العلمية الكثيرة . بيد ان التطلع والالحاح في السؤال ، هو في حد ذاته اخراج للنفس من حالة الركود الى حالة الحركة والاشراق والشوق الى المجهول واللانهائي . وليس شيئا قليلا ان تكون للانسان مواقف ازاء نفسه ، وازاء العالم الذي يعيش فيه ، يريد ان يفهم وان يستكشف ، وان يتفوق على ضعفه البشري . وهل كانت الفلسفات الا لهذه الغاية ، غاية نقل الانسان من راحته الفكرية ، وقناعته الروحية ، لحمله على التفكير في نفسه ، وتبين الصلة التي تربطه بهذا الكون ؟

والعلم ليس من اختصاصه ان يؤدي لنا هذه الخدمة ، لان له مهمة تتنافى مع رغباتنا في هذا الصدد ، وهي — اي مهمة العلم — دراسة الواقع ، لاستخلاص خصائصه ومميزاته ، والخروج من ذلك بقوانين وقواعد عامة ، يمكن تطبيقها بصفة دائمة ، الى ان تظهر نتائج علمية تحمل على اعادة النظر فيها . فالعلم لا يتجاوز هذه المنطقة، فليس من طبيعته النزوع الى الثورة على الواقع، او اكتشاف قيم جديدة للحياة، وانما ذلك يدخل في مهمة الشعر والفلسفة ، هذين اللذين كثيرا ما يلتقيان ويتزاوجان ، وتبقى للشعر ميزة يمتاز بها على الفلسفة ، وهي انه يستطيع ان يقدم للقارىء التاملات والتطلعات الفكرية القلقة ، في اطار يقبله ويتعشقه ، وهو اطار الفن ، اما الفلسفة فهي على كثير من الجفاف والصلابة وعدم المرونة ، والبعد عن التلقائية ، مع ميلها الى التجريد غالبا ، واستعمالها للالفاظ بطريقة تحد من ايحائها وانطلاقتها وخلقها للجو ، الامر الذي ابعد الفلسفة عن كثير من الناس ، وقام حاجزا بينهم وبينها فنظروا اليها نظرة كلها تهيب وخوف ، على حين ان الشعر ظريف العشرة ، حلو المحاضرة ، لطيف الحيلة ، يقدم انغامه وسحره وروعته ، بين يدي ما قد يتضمنه من فلسفات وتطلعات فكرية ، ولهذا السبب لقيت الفلسفة الهندية المصبوغة بصبغة الشعر ، ما لم تلقه الفلسفة الصينية المتجردة عن الطابع الشعري من الذيوع والانتشار ، فوحدة الوجود ونظرية تناسخ الارواح ، وغيرها من قضايا الفلسفة الهندية ، كان لها رواج عظيم في الشرق والغرب ، على حين ان معضلات الفلسفة الصينية لا يعرفها الا الراسخون في العلم .

ولكن ما كل شعر يستطيع ان يبعث فينا الشك والقلق والحيرة ، وكثير من الشعر العربي لا يدفع الى شيء من هذا ، ولكن عندما نقرا لشعراء اليوم ، كصلاح عبد الصبور ، وبدر شاكر السياب ، وسليمان العيسى ، نجد عندهم شيئا من هذا الذي نبحث عنه ، فهؤلاء قد احسوا اولا بالثقل الفكري والحضاري

لهذا العصر ، وثانيا بان القارىء العربي اليوم ، يختلف عن القارىء العربي بالامس القريب او البعيد ، فهو قبل اليوم كان يكتفي من الشعر بالعبارة الجزلة، والاسلوب الخطابي ، والكلمات ذات الرنين، وهو اليوم قد اخذ يرتفع الى مستوى العصر الذي يعيش فيه ، وشرع يمتص الفلسفات والمذاهب الفكرية الحديثة، ولذلك فهولم تعد تستبد به الموسيقى وبشغله النغم عن كل شيء ، بل بدأ يضغط على شعراء اليوم ، كاتبا وناقدا وهاويا ، ان يقدموا اليه شيئا يرضي تطلعه الفكري ، وينسجم مع ما اتصل به من نظريات النقد الحديثة .

وكل من الشاعر العربي المعاصر ، والقارىء العربي المعاصر ، يحس بانه مازوم ، نتيجة لوضعه الحضاري الراهن ، فهو يشعر بتمزق عميق ، بين مفاهيمه التي تسير واحدث تطورات الفكر العالمي ، وبين واقعه المتاخر ، وبين تقاليد قومه ومقدساتهم، وبين تحديات عصره ، التي تنتصب امامه كعلامات استفهام كبيرة ، بين مثاليته الفكرية وواقعه المؤلم ، هذا علاوة على ازمات العصر الفكرية والنفسية ، التي يشارك فيها معاصريه في العالم كله تقريبا .

ونحن هنا في المغرب ، شعراء وكتابا ونقادا وقراء ، كنا منذ وقت ليس بالبعيد ، نعيش خارج منطقة هذا الصراع ، هادئين وادعين ناعمي البال ، لا شيء يقلق راحتنا ، نسأل الله المزيد من السلامة والعافية ، ولكن اليوم ، يحس كل واحد منا — نتيجة يقظتنا الاخيرة — انه مس بتيار كهربائي هزه هزا عنيفا ، ويظهر انا بدانا ناخذ نصيبنا من ثقل المسؤولية التي يحسها وينهض بها المثقفون العرب ، في الشرق العربي ، هذه الحقبة من السنين ، ولكن الحق يقتضينا ان نعترف باننا ما زلنا على هامش الازمة ، ولم نتوغل منها في الصميم بعد ، نظرا الى ما يصدر عنا من انتاج ادبي وشعري ، كما ان الحق يقتضينا ان نعترف اننا كقراء ، احسن منا كمنتجين ، وهذا شيء طبيعي ، فغالبا ما يسبق القارىء الممتاز ، المنتج الممتاز ، اي ان رجال الفكر والفن يبدأون اولا كقراء واعين ، على حين انهم كمنتجين ، يظلون دون مستوى قراءاتهم ، الى ان يتمرسوا بالميدان ، فيحدث التقارب والانسجام في المستوى بين القراءة والكتابة . لهذا فقارىء الشعر عندنا في المغرب ، لا يجد ضالته المنشودة فيما ينشر عندنا من شعر مغربي ، بل يجدها فيما يرد علينا من الاداب الشرقية ، فاكثر شعرنا ما زال امينا مخلصا للطرق القديمة ، يتنفس في المناخ القديم ، ويستمد نغماته من قيثارة الشعر العربي القديمة . وحتى المحاولات المجددة التي نجدها عند بعض شعرائنا، ما زالت تضطرب وتتهافت، لانها في بداية الطريق . وعسى ان نستفيد من تجارب الشعراء العرب به البلاد العربية ، فهؤلاء عانوا تبعات الريادة وتكاليفها ، حيث استطاعوا ان يبدلوا من نسيج الشعر العربي ، ويغيروا من تقاليده القديمة ، بالقدر الذي يتطلبه العصر ، بالرغم مما صحب ذلك من مزالق واخطاء ، لابد منها في كل تطور من هذا النوع ، وبفضلهم اصبح الشعر العربي الحديث ، يتوفر على محاولات في المستوى الفكري والفني لعالم اليوم او في مستوى قريب منه . وبما ان التجربة نجحت هناك او في طريقها الى النجاح ، فما على شعرائنا المغاربة الا ان ينطلقوا منها ، مستفيدين من حسناتها وسيئاتها ، محتفظين باصالتهم الفردية والاجتماعية، بوصفهم افرادا ممتازين وبوصفهم ابناء بيئة معينة ، فبذلك سيتمكن القارىء المغربي من ان يجد نفسه في شعرهم ، ويلمس عندهم ما يجعله لا يذهب بعيدا عن المغرب ، عندما يتساءل لماذا يقرا الشعر ؟

واقرا معي اذا شئت ابياتا اخرى لسليمان العيسى ، ماخوذة من ديوانه « ازهار الضياع » بعنوان : « يا شعر »

في زحمة الفولاذ ماذا عسى
تقول للدنيا .. وما تحمل ؟
اصداؤك الحلوة هل لملمت
اذيالها .. واختنق البلبل ؟
كواسر النار تجوب السما
فيا هزار النبع .. ما تفعل ؟
صارع .. فلن نسلم هذا الثرى
يطويه منهوم ومستعجل
قد يركع التاريخ يوما على
بابك يستجدي .. فما تبخل
في الارض قلب لم يزل نابضا
ولم يزل في صدرها جدول .

في هذه الابيات تبدو تخوفات الشاعر من مستقبل الشعر ، نظرا لسيطرة الالة وضجيجها الذي تفنى فيه اصداء الشعر الحلوة ، ولكنه يدعوه الى الصراع من اجل البقاء ، معللا النفس ، بان

وجهة التاريخ يمكن ان تتبدل ، فيكفر الانسان بسيطرة الالة ، ويعود الى الشعر مرتميا تحت قدميه يستجديه شفاء ما فى نفسه من عذاب وصراع ، وما فيها من عقد نفسية جاءت نتيجة لاوضاع العصر المادية ، وهنا يلتقي سليمان العيسى مع بعض المؤرخين المعاصرين ، الذين يتنبأون للحضارة الغربية بالسقوط والانهيار ، كشبنلجر صاحب كتاب «تدهور حضارة الغرب » الذي نقل اخيرا الى اللغة العربية ولو سقطت القيم المادية التي تقوم عليها هذه الحضارة ، لعاد الانسان الى قواعده ، من دين وشعر ومثل عليا وقيم روحية ، هذه التي تطارد اليوم باسم العلم . ونحن قراء الشعر وهواته ، نلتقي مع سليمان العيسى ، فى فكرة صراع الشعر من اجل البقاء ، لانه الواحة التي تتفيا ظلالها ، كلما عافت نفوسنا دنيا الصراع المادي ، الذي لا يتورع الناس ان يستعملوا فيه اقذر الاسلحة ، وان يبيعوا الدين والمروءة والضمير ، حتى يتغلب فيهم الحيوان على الانسان . ولا اعرف عصرا اشتدت فيه حاجة الناس الى الشعر ، كهذا العصر الذي نعيش فيه . فقبل اليوم ، لم تشكل الالية خطرا على كيان الانسان الروحي ، بالقوة التي تشكله بها اليوم ، كانت النزعة الدينية تكيف حياة الناس ، وتؤثر فى معاملاتهم ونظرتهم الى الاشياء ، فكان الدين حارسا للقيم مهذبا لفعل الغريزة ، فاحتلت الروحيات مكانة ممتازة فى جل البيئات والمجتمعات ، بالرغم من بعض الفترات التي تستباح فيها القيم ، وتهان المثل ، وكان الشعر مرخي العنان ، يبسط سلطانه وينشر ظلاله واثقا من نفسه ، مطمئنا الى نفوذه ، حتى لنجده عند بعض الشعوب القديمة يصبغ بصبغته العلوم الفلسفية والهندسية والرياضية ، ففي كتاب « قصة الحضارة » لديورانت ، نجد هذا النص الذي يوضح الجبر فى صورته الشعرية عند الهنود : « هناك خلية من النحل ، استقر خمسها على زهرة كادامبا ، وهبط ثلثها على زهرة سلندرة ، وطار ثلاثة امثال الفرق بين هذين العددين الى زهر الكوتاجا ، وظلت نحلة واحدة – وهي كل ما تبقى حائمة فى الهواء ، فانبئيني ايتها المراة الفاتنة عدد النحل كله .. لقد اشتريت لك يا حبيبتي هذه الياقوتات الثمان ، والزمردات العشر ، واللؤلؤات المائة ، التي ترينها فى قرطك ، واشتريتها باثمان متساوية ، وكان مجموع اثمان الانواع الثلاثة من الاحجار الكريمة ، اقل من نصف المائة بثلاثة ، فانبئيني ثمن كل منها ايتها المراة المجدودة » .

اما عصرنا هذا فقد تبدل فيه كل شيء حيث ضعف الوازع الديني ، وكادت الروحيات ان تختفي تحت وطأة الماديات ، وحلت مثل وقيم مادية جديدة محل المثل والقيم القديمة ، وتطاولت ايدي كثيرة ، تريد انزال الشعر عن عرشه الذي تربع عليه قرونا طويلة ، ولهذا نعيد ما قلناه آنفا من ان حاجة الناس الى الشعر اليوم ، اقوى منها فى اي وقت مضى ، ليكون الملاذ الروحي الذي تعتصم به النفوس التواقة الى السمو ، اذا عافت التكالب المادي . وهنا تبدو لنا مهمة الشعر شاقة وعسيرة ، يحتاج الى صراع من اجل الاحتفاظ بوجوده شفافا فياضا ، ناشرا افضاله وبركاته على الناس . فلم يبق للشعر أن عاش وسط ظروف عصيبة كالتي يعيش فيها اليوم ، فانتشار ادب الساندويتش ، وشيوع الادب الخفيف الذي تزخر به الصحافة ، ودخول اسطوانات الغناء الى كل بيت ، وغزو التلفزة لجميع الاوساط ، وكون المقاهي والسينمات ودور اللهو ، تربض فى كل منعطف ، وعلى راس كل شارع ، واسترجال المراة ونزولها الفاضح الى سوق الحياة ، تاخذ وتعطي ، وتحتك بالشؤون اليومية حتى تفوح رائحة عرضها ، ورميها بالحياء والخفر جانبا ، واستجابتها السريعة بزجاجة الكوكاكولا ، وتذكرة السينما ، والمقعد المريح فى السيارة ، مما جعلها تتجرد عن هالتها السحرية ، التي طالما فتنت الشعراء وكانت لهم مصدر الهام ، اضف الى ذلك الصيحات المنكرة التي تنكر على الشعر حقه فى الوجود ، كل ذلك وغيره يجعل الشعر يتنفس اليوم فى جو ثقيل مفعم بالجراثيم القاتلة . ولكن بقدر ما يحارب الشعر ويقاوم ، بقدر ما تشتد الحاجة اليه ، هو فى ذلك مثل الدين ، فالدين تشتد الحاجة اليه ، كلما اشتد الجشع والحرص ، والشعر تشتد الحاجة اليه ، كلما طغت المادة ، وطغى سلطانها على الناس ، وما اشق مهمة الدين بين قوم كافرين ، وما اشق مهمة الشعر بين قوم ماديين !!

ولهذا كله كان عصرنا فى امس الحاجة الى طاقات شعرية ضخمة ، وعبقريات شعرية فائقة ، تتفق والمهمة الخطيرة التي ينتظر من الشعر ان ينهض بها ، وظهور تلك الطاقات وهذه العبقريات ، يرتبط بمناهج دراسية ، او اساليب تربوية ، بقدر ما يتوقف على قوة الطباع ، ورجولة الكفاءات ، وهذا امر

موكول الى عمل الطبيعة ، هذه التي قد تفاجىء الناس بأمور لم تدخل في حسبانهم .

ونحن اذ نلتمس من الشعر ان يسمو بنا على الصراع المادي البغيض ، لا نريد طبعا الانفصال عن عالم الناس ، وعالم الكفاح وتنازع البقاء ، لنتيه في مجاهل خيالية منقطعة الصلة بارض البشر . ولا خير في الشعر اذا كان سيجرنا الى هذا المصير ، اذ لا مكان اليوم تحت الشمس للخياليين التائهين ، وحتى لو اراد هؤلاء ان يختاروا هذا الاتجاه ، فالاحداث ستضطرهم الى العودة الى الواقع ، لمواجهة ما يتمخض عنه ، خصوصا وان شرارة الاحداث اليوم ، تنتقل بسرعة البرق ، الى شرق الدنيا وغربها ، فنحن لا نريد ذلك اذن من الشعر ، وانما نريد فقط ، ان تكون لنا انسانيتنا داخل عالم مادي مغال في ماديته، نسابق الزمن ، ونسير في موكب العلم والاختراع ، باذلين في ذلك اقصى ما نملك من جهود وقوة ، ولكن في الوقت نفسه ، نريد ان تكون لنا لحظات نتصرف فيها لانفسنا ، وللنفس شؤون وشجون . .
ولا تناقض مطلقا بين الاتجاهين ، كما قد يتبادر الى الذهن . والدارس لتاريخ الادب العربي يجد ان شعراء العرب كانوا الا قليلا منهم عمليين ، لهم مشاكلهم المنبثقة عن طبيعة وجودهم ، وعن صراعهم مع ظروفهم الخاصة ، ولم يصرفهم ذلك عن قول الشعر في اغراض روحية صرفة ، فعنترة بن شداد كان لسانه يتفجر شعرا حماسيا او غزليا ، وسيفه الدامي في رقاب اعدائه ، وزهير بن ابي سلمى كان يقول الشعر ، ويهتم بالشؤون السياسية والاجتماعية لقبيلته ، بل انه استخدم الشعر لهذا الغرض ، والمتنبي كان يصارع من اجل السيادة والسلطة ، ويقارع الخصوم والمناوئين ، دون ان يمنعه ذلك من ان يقول هذا الشعر العاطفي وما يشاكله :

ليالي بعد الظاعنين شكول
طوال وليل العاشقين طويل
يبن لي البدر الذي لا اريده
ويخفين بدرا ما اليه سبيل

والمعتمد بن عباد يخوض المعارك ضد ملوك الطوائف تارة ، وضد الاسبان تارة اخرى ، ثم يعود الى قصره لينظم ارق الشعر واعذبه ، وهكذا قل بالنسبة لغيرهم من امثال ابي فراس واسامة ابن منقذ ، وحتى ابي العلاء ، الذي ربما يعتبره البعض سلبيا في عزلته ، قد انصرف نهائيا عن معترك الحياة والحقيقة خلاف ذلك ، فالرجل كان في محبسه يشتغل بالتعليم ، ويوافيه طلبته الى بيته في اوقات خاصة ، ليتلقوا عنه علم العربية وآدابها ، وناهيك بالامة اليونانية القديمة ، التي جمعت بين تعشق البطولة وكمال الجسم البشري ، وبين الكلف بالشعر ، الى ابعد حد مستطاع .

نريد من الشعر ان يعالج قضايا عصرنا ومشاكله، لا ان يتهرب منها او يتغافل عنها ، يعالجها بطريقته الخاصة ، وبما له من رؤى وشفوف وفن ، بحيث يتأتى لنا نحن قراء الشعر ، الجمع بين ان نعيش احداث عصرنا وقضاياه ، وبين ان ننظر الى داخل نفوسنا ، لنتبين صداها والاثار التي خلفتها في اعماقنا ، وان نتجاوز ذلك فنسبق الزمن ، لنتصور مصيرنا الانساني ، على ضوء ما نعيشه اليوم ، وبذلك نلتمس في الشعر ضربا من النبوة ، ولو في زمن كافر بالرسالات والنبوات . .

والناس في كل عصر ، يطلبون من شعرائهم ما يتفق وذوقهم العام ، المستمد من احوالهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ولكن ما اسهل ان يقترح الناس على الشعراء ، وما اشق ما يعانيه هؤلاء من اجل ارضاء انفسهم اولا ، والاستجابة لمتطلبات عصورهم وبيئاتهم ثانيا ، وكم يكلفهم ذلك من جهود مضنية ، خصوصا وان قارىء اليوم ، لما يتوفر عليه من ثقافة عامة ، ودقيقة في اكثر الاحيان ، لا يكاد يقتنع بشيء ، وقد تكونت عنده حاسة دقيقة هي حاسة «الملل» من جراء التأثر بطابع العصر ، العصر المتبدل المتغير ، لا اقول بين يوم وآخر ، بل بين ساعة واخرى ، فالاحداث تتوالى سراعا ، ومصاير الناس ما تلبث قلبا حولا لا تكاد تستقر ، وهذا ينطبق سواء على شؤون العلم والاختراع ، او على شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد ، الامر الذي القى في روع القارىء المعاصر الميل الشديد الى التجديد ، والكره الشديد للاجترار والتقليد ، وويل للشاعر الذي يدور حول نفسه دائما، ولا يرضي في القارىء ميله ذاك . فمن هذه الناحية نستطيع القول بان شعراء الانسانية قبل اليوم ، كانوا اسعد حظا من الشعراء المعاصرين ، اذ كانت البيئات الادبية لا تتشدد في معاملتهم تشددها اليوم، الا ما كان من قبيل الحملات التهريجية المغرضة ، البعيدة عن الروح الفني ، كالتي شنت على ابي

الطيب المتنبي وغيره من الشعراء ، اما اليوم ، فقد تضافرت علوم الجمال والنفس والاجتماع والنقد الادبي والادب المقارن ، لتكون سلاحا قويا في يد ناقد الشعر ، ويا له من سلاح يقع الادباء والشعراء تحت رحمته . .

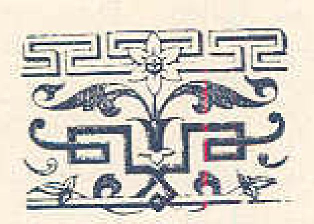
ذلك الوضع هو الذي ولد في نفسية قارىء اليوم ذلك الملل ، والعزوف عن الرتابة . والسؤال الوارد على لسانه دائما هو : هل من جديد ؟ يواجه به من يقرأ لهم ، وعلى ضوئه ينظر في اعمالهم ، ويضعهم في منازلهم بالنسبة اليه . وكان الله في عونهم ليكونوا عند حسن ظنه بهم ، فتكاليف الخلق والابتكار باهظة ، يعرفها كل من عانى عمليات الانتاج الفني . فالشاعر لا يمكن ان يسير بالسرعة التي يريدها افراد اليوم ، شأن العلم الذي بطبيعته يتغير بسرعة ، الشعر مرتبط باذواق بطيئة التغير ، وطبائع لها اصول ثابتة ، وهنا تكمن الصعوبة التي يجدها الشعراء ، فهم بين طبائعهم الاصيلة ، وبين متطلبات عصرهم ، بين ذاتيتهم والحاح ما يكتنفهم من ظروف خارجية ، ما ان يحدث اليوم حادث كبير ، حتى يتساءل القراء غدا : ماذا قيل فيه من شعر ؟ وماذا كتب عنه من نثر ؟ وما قيمة هذا الشعر وهذا النثر ؟ سباق مع الاحداث لا يقف ابدا ، وصراع من الشاعر ليكون جديرا بعصره ، وفي مستواه ، والشاعر في هذا غير مظلوم ، فهو يعيش في عصر وضع بين يديه من منجزات الحضارة وثمراتها المتراكمة ، ما لم يحظ به اي شاعر قبله ، وهيأ له من اسباب الاتصال بجمهوره وتخليد آثاره ، ما لم ينله سابقوه في اي عصر من العصور ، واعد له من وسائل التربية الفنية ما يسمح لاضعف المواهب والملكات بالظهور والتألق ، والعصر قدم له الكتاب والاستاذ ، والمعهد ، والكلية ، والصحيفة ، والتربية الجميلة ، ووضع رهن اشارته المذاهب والفلسفات ، تسعى اليه وهو في بيته ، ووصله بنتائج قرائح الماضين ، مطبوعا انيقا ، وهيا له من وسائل السفر في الجو والبر والبحر ما يمكنه من رؤية الدنيا كلها ، ومشاهدة سائر الشعوب والمجتمعات ، وآيات الطبيعة على تنوعها بين قارة واخرى ، هذا علاوة على ان كل ورقة من انتاجه يدفع بها الى القارىء يأخذ عليها مقابلا ماديا ، ومن ثم كان من حق القارىء ان يقترح وينقد، لكونه ادى ثمن ما يقرأ .

وليس على الشاعر ان يستجيب لاي رغبة خارجية من طرف قرائه ، ما لم تكن منسجمة مع المشاعر التي يعتمل بها كيانه ، والا عد شاعرا متملقا ، ينشد الحظوة عند الناس ، لا عن طريق الاخلاص لاصالته الشخصية ، وانما عن طريق النفاق والتملق والزيف . وليس على الشاعر ان يعمل بكل توجيه ياتيه من بعض نقاد الشعر وقرائه ، فقد يكون هذا التوجيه خاطئا بعيدا عن مثالية الفن ورسالته الخالدة ، بل ربما اقتضت اصالة الشاعر ونظرته الى الشعر كفن رفيع ، ان يثور على الاوضاع الادبية السائدة ، ويدعو الى تغييرها والقضاء عليها ليحل محلها وضع ادبي جديد ، وربما تحمل الشاعر في سبيل ذلك ما قد يشن عليه من حرب كلامية ، تقتضيه مزيدا من الشجاعة الادبية ليصمد امامها وحينئذ قد يستطيع ان يبدل من نظرة الناس الى الشعر ، وقد تحققت هذه الظاهرة بالفعل في تاريخ الادب العربي الحديث ، عندما ظهر العقاد كشاعر وناقد ومفكر ، يرى في الشعر رايا غير الذي كانت بيئته الادبية تراه . فالشعر عندها كان ديباجة مشرقة ، وجزالة لفظية ، وتشبيهات واستعارات رائعة ، ولذلك اتخذت مثلها الاعلى من شعر شوقي ، لانه يمثل هذه الشيات خير تمثيل واروعه ، فجاء العقاد صحبة زميليه المازني وعبد الرحمان شكري ، ليشنها حربا عوانا على الذوق الفني السائد ، وعلى شوقي متزعم هذا الذوق والمعبر الامين عنه ، ووقفت البيئة الادبية كلها تقريبا في جانب شوقي ، ووقف العقاد ومعه زميلاه في الجانب المقابل ، وكانت معركة من اعنف معارك النقد الادبي الحديث ، انتهت بانتصار العقاد وفكرته الجبارة المتفتحة ، الامر الذي غير من الذوق العام لا في مصر وحدها ، بل وفي اقطار كثيرة من العالم العربي ، وانبثقت عن ذلك نظرة جديدة الى الشعر ، واعاد الناس النظر في مقاييسهم النقدية القديمة ، ونتيجة لذلك ، اصبح الشاعر العربي يطالب اليوم ، بغير ما كان يطالب به قديما .

وتجربة الاستاذ العقاد كانت فريدة من نوعها ، في تاريخ الشعر العربي، اثبتت ان ليس من حق القراء وحدهم ان يعرفوا لماذا يقراون الشعر ، بل ان من حق الشاعر هو الاخر ، ان يصوغ فكرتهم عن الغرض من قراءة الشعر ، اذا كان صاحب راي في الموضوع ، ووجد من نفسه الجراة على ان يدعو الى رايه صامدا متحملا كل انواع التضحية ، متسلحا

بالثقافة الواسعة . وانطلاقا من تجربة العقاد اصبح للشعراء العرب المعاصرين راي في قضايا الادب والشعر ، فصلاح عبد الصبور ، ونازك الملائكة، وملك عبد العزيز ، لهم عشرات الفصول ، التي تتضمن آراء ونظريات حول الشعر ، ويكفي ان نشير الى كتاب « قضايا الشعر المعاصر » لنازك الملائكة ، والى مقالات صلاح عبد الصبور وملك عبد العزيز ، في مجلة « الاداب » وفي « المجلة » وهذا اتجاه جديد في تاريخ الشعر العربي ، فلم نعهد من الشعراء العرب الاقدمين ، انهم كانوا اصحاب نظريات في الشعر ، يبسطونها نثرا ، ويدبجون الفصول للدفاع عنها ، وحتى ان وجدنا لبعضهم رايا في هذا الصدد ، فهو يبسط بلغة الشعر نفسها ، على غرار ما فعل ابو نواس ، في دعوته الفاشلة الى تعويض المقدمة الغزلية ، بمقدمة في وصف الخمر ، ونستثني من هؤلاء المعري ، الذي لا تعدم ان تجد له آراء في الشعر ، منبثة في بعض كتبه النثرية ، كرسالة الغفران ، وكذا ابن المعتز في كتابه المشهور « البديع » على الا نفهم من ذلك ان كلا من ابي العلاء وابن المعتز ، كان له حول الشعر ما يسمى بـ « النظرية » فانما هي خواطر وسوانح منتشرة يعوزها النظام والتقعيد .

فاس ـ عبد العلي الوزاني



إلى أين يسير التطور الحضاري في عالمنا الراهن ؟

المدنية الحديثة والحضارات التقليدية

للاستاذ المهدي البرجالي

تفرض المدنية الحديثة ، تحولات جد راديكالية ، على مستوى حياة المجتمع الانساني في الميادين المختلفة التي تمتد عليها هذه الحياة ، ما مظاهر هذا التحول الحضاري الراديكالي الذي يعرفه العالم اليوم ؟ واين التراث المادي والمعنوي ، المنحدر من الحضارات التقليدية من كل هذا ؟ كيف تتبلور الاحوال الناشئة عن هذا التطور الحضاري، في شتى القطاعات الحضارية الرئيسية الموجودة بالعالم ؟ هل هناك سبيل امام المدنيات التقليدية لتؤكد ذاتيتها امام الزحف الحضاري الحديث .

هل تسير الحضارات العتيقة ، التي لا تزال لها معالم قائمة للان في الحياة الاجتماعية والثقافية والمعمارية لبعض المجتمعات الافريقية والاسيوية ــ هل تسير هذه الحضارات حقا ، نحو طريق الانصهار الكلي في المدنية الحديثة على اعتبار ان هذه المدنية هي وريثة المدنيات السالفة جميعا ؟ وهل يتجه العالم ــ بنتيجة ذلك ــ الى نوع من التشابه الحضاري والوحدة الحضارية ، تطبع حياة كل شعوبه واجناسه ، بطابع حضاري متماثل او ادنى الى ان يكون متماثلا في خطوطه العامة ؟ وهل ينتهي الامر ــ اذا جرى هذا المجرى ــ الى ان تفقد المدنيات التقليدية شخصيتها المميزة ، وفاعليتها الحية ، التي تقوم عليها اخلاق كثير من الاقوام وتقاليدهم وطريقتهم في التفكير والعيش ، ولا يبقى منها ــ في المحط الاخير ــ الا اصداء تاريخية تتحدث عنها الكتب ، وتظهر لها آثار ضئيلة جدا في حياة الناس ؟

الموضوع مهم جدا ، ويشغل ــ بالاخص خلال السنوات الاخيرة ــ اذهان عدد من المفكرين وذوي الراي العلمي في اوربا وخارجها ، وبطبيعة الحال ، فان من تعنيهم مثل هذه القضايا من رجال الفكر في الاقطار النامية ، لابد ان تكون عنايتهم بالموضوع كبيرة جدا ، نظرا لما له من ارتباط بصيرورة شعوبهم الحضارية والتاريخية ، فضلا عما يثيره من مسائل مهمة ، تتعلق ــ في جملتها ــ بطبيعة التكييف الحضاري لعالم المستقبل . ويشتد الحاح هذا الموضوع على الاذهان ، بقدر ما يتجه العالم ــ كما نرى ــ نحو تحول شامل ذي جذور عميقة جدا ، هو هذا التحول الذي نلحظ مظاهره السطحية يوميا ، ولكننا لا نستطيع النفوذ الى قراره ولمس ابعد نتائجه ، الا بعد انقضاء اجيال واجيال ، ان التحول هذا لا يزال يعمل على تشكيل صورة جديدة للحياة الانسانية على مستوى العالم كله ، وفي شتى الميادين التي تمتد عليها حياة الانسان الامر الذي يمكن من القول ــ بكل ثقة ــ ان الفترة التي تعيشها الانسانية في الوقت الحاضر ــ يمكن ان تصنف مع مجمل التحولات الكبرى التي جازتها هذه الانسانية ، غداة ان عرفت النار والحديد والزراعة ، ثم بعد ان اهتدت الى طريقة ما للكتابة ، ثم عندما نشأت الحضارات المختلفة ، وتفاعلت مع بعضها البعض ، الى حين ظهور الحضارة العالمية الحديثة .

وطبيعي جدا ان يفتح التحول العالمي الذي نعيشه الان ، بابا للتساؤل عن مصير كثير من الاشياء ، ويخلق بهذا الشان قضايا فكرية كبرى ، من جملتها هذه القضية ، التي تفرض نفسها اليوم بالحاح ، والمتعلقة بمصير القيم الحضارية التقليدية ، امام الزحف الحضاري الحديث ، سواء في الميدان المادي او المعنوي ، وما في حكمه ، فهذا الزحف يظهر من قوة اندفاعيته وشموليته ، انه يمكن ان ينتهي في الاخير الى رسم صورة عالم مقبل ، متجانس في مظهره الحضاري ماديا ومعنويا ، بعد ان

يتحلل ويذوب الكثير من مظاهر الحضارات السابقة ، التي تضفي على عالمنا الحاضر ملامح تنوع وتناقض ، محبب للكثيرين ، فهناك طراز واحد من اللباس والسكن ، والتأثيث ، والتزيين والاحتفال وغير ذلك يجتاح اكثرية العالم ، وهو في الطريق الى ان يصبح الطراز الاعم الغالب ، في شتى المجتمعات المتحضرة او التي هي سائرة نحو التحضر ، سواء في ذلك العالم القديم او الجديد ، او الجزر المتناثرة في المحيط الهندي والهادىء وغيرهما ، اما تخطيط المدن ، وانشاء المجموعات السكنية، وشق الشوارع ، واضاءتها فيزداد اكثر فاكثر ، تأثرا بالنموذج الامريكي ، الذي تجد اليوم مظهره صارخا في عدد من بلدان الشرق الاقصى ، وامريكا اللاتينية والشرقين الادنى والاوسط ، كما تجده كذلك في اية ولاية من الولايات الامريكية الخمسين ، بحيث ان استبدال المظاهر المعمارية الكلاسيكية ، بالذوق الامريكي الحديث ، يسير بسرعة قياسية ، يعللها ازدياد الميل الى التغيير والتجديد ، الذي يجتاح العالم قاطبة ، وتستوي في التأثر به كل من المجتمعات التي لها صلة سابقة بتيار التطور ، او المجتمعات الاخرى ، التي كانت الى عهد غير بعيد ، شديدة المحافظة والانطواء ولناخذ كمثال على ذلك ، جزر المحيط الهادىء ، فسواء في جزيرة « جلبير » او جزر « كوك » او جزر « ساموا » او في جزر « فيجي » او في كاليدونيا الجديدة ، او في « غينيا الجديدة » او في « تاهيتي » او في جزر « طونكان » او في جزيرة «نووي» او في غير هذه الجزر ، فان البذلة الاوربية قد زحزحت كليا او جزئيا ، الازياء التقليدية المحلية « الجبة المصنوعة من التبن مثلا » وتبنى المساكن في هذه المناطق من الاوراق المضفورة ، والخشب والمرجان ، وما اشبه ذلك ، غير ان طراز البناء الاوربي قد بدا يغزو هذه الانحاء بصورة محدودة جدا الان ، ولكن زيادة اتصال الاهالي بالحضارة الحديثة ، من شانه ان يشيع هذا الطراز من السكن على نطاق واسع .

ولا يفهم من هذا ان حياة شعوب الارض كلها ، قد اصبحت متلونة باللون الاوربي ـ الامريكي على نحو شامل ومطلق ، وان المظاهر الحضارية التقليدية في العالم القديم ، قد اندثرت من حياة الناس ، او كادت فلم تعد الا ذكريات واطلالا ، اننا نستطيع ان نلحظ ان طريقة الحياة في اليابان ، وفي الهند ، وفي الشرق الادنى ، وغير هذه المناطق ، لا تزال متاثرة في كثير من جوانبها ، باصول حضارية عريقة كالحضارة الصينية والحضارة الهندية والحضارة العربية وغيرها . وان طرازا من العيش والتعامل ، والاستمتاع ، والتصرف والتعمير ، وكثير غير ذلك ، وهو طراز مستوحى من الاصول الحضارية التقليدية ، لا يزال قائما ، فعالا ، له تأثير ملموس في حياة قطاعات كثيرة من المجتمعات الشرقية التقليدية ، بل وتظهر على هذا الطراز ، صلابة قوية في الحفاظ على وجوده ، وتأكيد استمراره امام جميع اغراءات التجديد والتغيير ، التي تهب ريحها على بقاع العالم كافة . بيد اننا ـ اذ ننظر في هذا الامر ـ امر الحضارة التقليدية في عصرنا الراهن ـ فاننا ننظر اليه من زاوية متعمقة جدا ، ننظر اليه من حيث المصير الحضاري للانسانية ، لا من جهة الواقع الحضاري القائم في هذا العصر ، فهل يتجه العالم نحو حالة يتكيف فيها مصيره الحضاري بحسب الروح والعقلية والاساليب التي تقوم عليها المدنية الحديثة ؟ وهل يظهر اتجاه من هذا النوع للمتأمل كانه حتمية منطقية لا مرد لها ؟

* * *

ذكرنا في الفقرة السابقة ، ان مظهر الاتجاه نحو وحدة حضارية انسانية يتجلى ، فيما نراه يجتاح العالم من وحدة طراز في اللباس والسكن ، والتعمير ، والاتجار ، واسلوب الحياة العامة ، في كثير من الميادين ، غير ان هذا يتعلق بالمظهر المادي للحضارة فقط ، ولكل حضارة جانبان : جانب مادي وجانب معنوي او فكري ، والجانبان اساسيان في كل بناء حضاري مهما كانت صبغته وطبيعته ، والجانبان يكملان بعضهما بعضا ، ويتداخلان فيما بينهما تداخلا دقيقا ، يضفي على اي عهد من العهود الحضارية صفته الرئيسية الغالبة ويطبعه بالطابع الذي يميزه عن غيره ، والجانب المادي من الحضارة يتمثل فيما يقوم في نطاقها من منشئات مادية مختلفة وما يهتدي اليه الناس في ظلها ، من ضروب الصناعة والزراعة والتجهيز وغيره ، اما الجانب الاخر ، الجانب المعنوي ، فيتجلى في طبيعة الاخلاق العامة ، التي تسود اي مجتمع من المجتمعات وانواع السلوك والتعامل ، التي يلتزم بها الافراد والجماعة ، في حظيرة هذا المجتمع ، ونوعية القيم والمثل التي توجه افكارهم وعقلياتهم ، وتحدد مشاربهم في السياسة والاجتماع والثقافة والنظرة الى الحياة ، وممارستها بوجه عام ، وهذا الجانب ، الجانب المعنوي هو ـ بلا مراء ـ ذو شان كبير في قيام الحضارات

وسقوطها ، واستمرارها او ضمورها ، وهو الـذي يعطي لحضارة ما نكهتها الاساسية ويؤثر في تلوينها ، وتشكيل الصورة التي تبدو بها في التاريخ الغابر ، او في واقع الحياة الآتية وهو ايضا ، الذي يقاوم عوامل البلى والاندثار ، ويحتفظ بقيمته في كثير من الحالات ، ولو بعد انحلال المدنيات وانقراض المجتمع الذي خلفها ، خذ مثلا الحضارات القديمة في البحر الابيض المتوسط ، ففلسفة اليونان لا تزال تحتفظ بكل اشراقها العقلي ، ولو ان الفكر الانساني ، تطور هذا التطور البعيد ، الذي بلغه الان ، والومضات الفكرية التي هدت العرب الى حقائق مهمة في الرياضيات وغيرها ، لا تزال لها قيمتها الثابتة المجدية ، رغم ان النهضة العربية التي لمعت فيها هذه الومضات ، قد اضمحلت ، ونضبت منذ قرون ، وقد نبذنا بالفعل كثيرا من المفاهيم التي كانت لليونان عن الديمقراطية والتنظيم الاجتماعي ، والتربية الفردية ، الا ان كثيرا من المدركات الاخرى في مضمار الادب وغيره ، ما برحنا نعيرها الكثير من اهتماماتنا العقلية ، بل لا تزال متداخلة بفاعلية في صميم مفاهيمنا الحاضرة لانها تمثل قيما فكرية ثابتة ، وتعكس صورا ومعان يجد فيها الكثيرون تجاوبا مع روح العصر ، ومع الاذواق والمشارب التي تسود حياتهم في هذا العصر — ونعود الى قضية الحضارة في العصر الحديث لنجد ان عددا من المظاهر المادية للحضارات التقليدية في الشرق الاقصى والشرق الاوسط وافريقيا قد اخذت — كما تقدم — تتضاءل باطراد امام زحف المدنية الحديثة ، وتفسح المجال لانتشار طراز حياة مادية في العالم اقل تنوعا واكثر دلالة على وجود اتجاه ما نحو نوع من الوحدة في طراز الحياة العامة عند الناس في كافة نواحي العالم ولكن اذا حصرنا السؤال في موضوع الكيان المعنوي للحضارات ، فهل نجد ان المعاني الثقافية والخلقية في الحضارات التقليدية ، تسير هي الاخرى نحو الذوبان في الخضم الفكري المعاصر « وهو الوجه المعنوي للمدنية الحديثة » على نفس الوتيرة التي يقع بها ذوبان المظاهر المادية التقليدية ؟ للمرء ان يلحظ بعض القرائن التي تلوح هنا وهناك ، دالة على وجود ذوبان تدريجي بهذا المعنى ، وجدير بالتنبيه اننا نستعمل تعبير «الذوبان» هنا تجوزا ، لان القيم المعنوية في الحضارات التقليدية، لا تتعرض الان لذوبان حقيقي يوذن بانقراضها بالمرة ، ولكنها معرضة لتيارات شديدة التأثير ، تفرض احيانا مراجعة هذه القيم ، ووضعها موضع المشكوك في قيمته ، كما تفرض كذلك ، شعورا بالحاجة الى تحوير هذه القيم، وتأولها بما يتفق مع اعتبارات الحياة العالمية الجديدة ، وتكييفها — على هذا الاساس تكييفا يمسها مسا راديكاليا متعمقا سواء من حيث الجوهر ، او من حيث القوالب التي يتشكل بها هذا الجوهر ، ان الثقافات القومية في افريقيا وآسيا بما تشمله من معارف متوارثة ، وطرق في الفهم والتبليغ ، ومقاييس في النظرة الى الاشياء ، والحكم عليها ، بما تضمنه هذه الثقافات من تراث ، وما تؤثر به في تلوين العقلية الاجتماعية ، والاخلاق العامة عند الجماعات المحلية وما تبلوره من صور واشكال فنية ، وغيرها ، تتميز بها امة عن غيرها ، كل ذلك ، تجده يتعرض بشكل متزايد الى ضغط المؤثرات الفكرية الحديثة ، في شتى الميادين ، ورغم ما يكون هناك من ردود الفعل الشديدة التي تبديها روح المحافظة في المجتمعات التقليدية ، فان تيار التغيير والتحوير ، كثيرا ما يكون اشد واقوى ، وكثيرا ما يؤدي هذا الصراع القائم بين روح المحافظة وتيار التغيير ، الى فتح المجال امام عناصر فكرية جديدة ، تتسرب الى المجتمعات التقليدية ، وتخلق في محيطها ، احوالا عقلية جد متقلبة ، فارضة في نفس الوقت على هذه المجتمعات ، اختيارات ذات صبغة درامية احيانا في شتى مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية والعاطفية وغيرها ، ان هذا الاحتكاك اليومي الشديد بين عناصر الثقافة التقليدية في الشرق وافريقيا ، وبين الروافد الفكرية المتدفقة من الشمال والغرب ، هذا الاحتكاك نراه بشكل اليوم اكبر فصول الملحمة التي تخوضها الاقطار ذات الحضارات التقليدية ، من اجل التلاؤم مع الوضع الحضاري الحديث في العالم ، بينما يشدها الحنين الى الماضي ، وشعورها بقيمتها الذاتية ، وخوفها من الاضمحلال التدريجي ، والذوبان ، يشدها ذلك الى قيمها الثقافية التقليدية تستمسك بها على نحو متبصر احيانا ، وقد تطغى عليها روح الاستمساك الجامد ، فيفسد عليها ذلك فرصة الملاءمة بين التراث وتيار التجديد الكاسح ، ان للاوضاع الناشئة عن حالة الصراع هذا في الشرق وافريقيا ، وعموم العالم الثالث ، صورا متشعبة جد التشعب ، ولكن يمكن عند الاستقراء ان نرجع بها الى صور ثلاث تلخص ما هو حاصل بهذا الشأن في معظم اقطار العالم النامي الذي يضم اغلبية الاقطار ذات الحضارات التقليدية ، والثقافات القديمة ، فهناك «اولا» الاقطار

حديثة النشوء ، كمجتمعات امريكا الجنوبية والوسطى واستراليا وكندا ونيوزيلاندة ، وهي تتكون اصلا من عناصر المهاجرين الاوربيين الاولين والسكان الاصليين وعناصر اجتماعية اخرى واردة فيما بعد من اسيا وافريقيا ، حيث يوجد متشكلا من ذلك مجتمعات ، اما تسودها العناصر البيضاء المهاجرة كما هو الشأن في اقطار الكومنولث الاقيانوسية كالاتحاد الاسترالي المتكون من سبعة مستعمرات قديمة ، وك « نيوزيلاندا » الواقعة الى الجنوب الشرقي من استراليا والمتكونة من جزيرتين كبيرتين ، واما تختلف عن ذلك بصور متباينة ، كما هو الحال في دول امريكا الجنوبية .

وفي جميع الحالات الماثلة في هذا الصراع بين المحافظة والتجديد ، لا يتخذ نفس الصورة التي يتخذها هذا الامر في الاقطار ذات الحضارات التقليدية فالصراع في مثل هذه المناطق ، يقال عنه انه صراع بين المدنية والبدائية ، وان العمليات التي جرت هناك ، هي عمليات تمدين لا عمليات تحول حضاري فحسب ، وعلى الرغم مما يمكن ان يقال حول هذه النظرية ، فان الذي لا مراء فيه ، ان المدنية الحديثة ، قد وجدت السبيل امامها ، سهلا لطبع الحياة في هذه المناطق ، بطابعها المادي والمعنوي على نسب متفاوتة في ذلك ، ففي الاقطار التي يسودها الرجل الابيض في الدرجة الاولى ، كاستراليا مثلا يكاد يكون الطابع الاوربي ، السمة البارزة في الحياة المادية والمعنوية هناك ، اما الجماعات البدائية التي لا تزال متبقية ، فان تاثيرها الحضاري لا يكاد يذكر ، وفي اقطار امريكا الجنوبية والوسطى ، حيث التمازج العنصري بين الملونين والبيض يتخذ نسبة واسعة النطاق ، فان المشكلة الناتجة عن هذا التمازج هي ذات طابع اجتماعي واقتصادي اكثر مما هي ذات طابع حضاري بالمفهوم الشامل للكلمة ، والقضية هناك هي قضية الاندماج الاجتماعي بين العناصر المختلفة بما فيها عناصر الخلاسيين ، اما التحول الحضاري فيقع داخل نطاق الاوربية قبل كل شيء ، حيث تتضاءل بعض مظاهر العمران الاسباني التقليدية امام الاسلوب الامريكي الحديث « فينزويلا مثلا » اما الهنود الحمر « وهم ممن لم يكونوا معتادين البناء بالحجر « كهنود فينيزويلا مثلا » فجماعات كثيرة منهم تعيش حالة ريب وحذر من المدنية الحديثة في السكن وغيره .

2 — واذا انتقلنا الى افريقيا جنوب الصحراء ، فاننا نجد بهذا الشأن حالة من نوع آخر ، فالمجتمعات القاطنة بهذه المنطقة — ولو ان حياتها الثقافية والمعمارية وغيرها ، لا تعكس وجود تراث حضاري يمكن مقارنته بغيره في الحضارات التقليدية ، غير ان الانسانية السوداء التي لم تتمازج بالعناصر البيضاء — الواردة عليها — التمازج الذي وقع في المجتمعات الامريكية اللاتينية وغيرها ، فقد بقيت محتفظة بخصائصها السلالية واخلاقها ومزاجها ، وتقاليدها الاجتماعية والعقائدية والفنية وغيرها ، ان افريقيا — اذا كان لها ماض حضاري قديم ، كما تحاول اثباته اليوم كثير من المصادر التاريخية والعلمية ، فان الجوانب المادية لهذا الماضي ، لم تثبت بصورة كافية امام عوامل البلى والانقراض ، كما تثبت الحضارات التقليدية الاخرى في العالم ، لكن هناك — كما تقدم — التراث المعنوي الذي ورثه الافريقيون عن اسلافهم ، والذي يعطي لقسمات الشخصية الافريقية بروزا ملحوظا ، وهذا التراث المعنوي ، ليس ذا قيمة شمولية ، كما في حالات حضارية اخرى بالعالم ، انه اذا كان يتمثل في جملة من التقاليد الاجتماعية والفنية وما اشبهها فالملحوظ — من جهة اخرى — ان الثقافة الافريقية السوداء ، لا يظهر انها تحوي علوما وقيما ادبية تليدة ، على النحو الفني الخصب ، الذي تتسم به الثقافات التقليدية الاخرى في العالم ، وليست هناك امكانيات لغوية كافية تصلح للتعبير عن تراث علمي وثقافي عال اذا كان موجودا .

وفي جو حضاري من هذا القبيل — باعتبار ان هناك قيما حضارية موجودة — فاننا نلحظ ان هناك في المنطقة آثار صراع مستمر بين المحافظة وروح التغيير ، وان كان هذا الصراع لا يظهر حادا في عدة احيان وقد ادى — في عدة حالات — الى ان تيار التغيير قد تمكن من هضم بعض المقومات الحضارية التقليدية ومن الامثلة البارزة على ذلك : عجز اللغات الافريقية عن مسايرة التطور الحديث «*» وانكماشها

* هناك اهتمام بين بعض اوساط الثقافة والفكر بافريقيا السوداء يتصل بموضوع الثقافة الافريقية وصلتها بالاوضاع اللغوية في القارة ، كما ان هناك اهتماما في بعض الاقطار الافريقية الاسلامية كمالي وغينيا باللغة العربية وامكانية فسح مجال لها في دنيا الثقافة بالنسبة للاجيال الصاعدة .

على نفسها ضمن الاغراض الحياتية البسيطة ـ وقيام اللغات الغربية كالانجليزية مثلا ، كمفتاح لاطلال الافريقي على آفاق الحياة الحضارية المعاصرة.

ويحتفظ الافارقة ببعض مظاهر التراث المادي التقليدي ، كالازياء المحلية مثلا ، ولكن الزي الحديث يتخذ سبيله الى الانتشار ، مثل ما هو عليه الامر في اغلبية انحاء العالم . وهناك وسائل تقليدية متبعة في التعليم والاحتفالات وفي التنظيم الاجتماعي وتنظيم الحكم في النطاق القبلي وغير ذلك وتسود التعليم في كثير من المناطق اساليب تقليدية مستقاة في عدة احيان من التراث الاسلامي ، وفي هذا النطاق تهب رياح تجديدية ، آتية من الشمال الافريقي والشرق العربي ، وتحدث تاثيرات بطيئة جدا ، نظرا لقوة التقاليد الفكرية الموجودة بهذا الشأن ، وتمازجها بالمؤثرات الروحية المختلفة ، ومن هذه المؤثرات الطقوس السحرية في بعض المجتمعات والدراويشوية وما اشبهها في مجتمعات اخرى وهكذا ، والحاصل ان الشخصية الحضارية التقليدية لافريقيا السوداء ـ وان تكن موجودة ومتجلية في عدة مظاهر اجتماعية وثقافية وغيرها ، ضمن مزيج تظهر فيه المؤثرات الاسلامية ، الى جانب المؤثرات الموغلة في القدم ـ فان كل هذا لم يمنع التاثير الحضاري الحديث من ان يجد سهولة اكثر في تكييف جوانب معينة من الحياة الحضارية الافريقية الحديثة، لكن المثقفين بداوايشعرون بهذه الحالة ويعملون على تحليل اسبابها واستشفاف آفاق المستقبل من خلالها .

3» وفي المناطق الاخرى من العالم النامي ، منطقة الشمال الافريقي ، والشرقين الادنى والاوسط ، والشرق الاقصى ، وجنوب شرق آسيا ، فان الصراع بين المقومات الحضارية التقليدية وتيار التحول الحديث ـ هذا الصراع يتخذ صورة اعمق اثرا ، واوسع نطاقا وذلك «أ» لان المقومات الحضارية التقليدية في جميع هذه المناطق قد احتفظت بقدر كبير من خصائصها ، وفاعليتها ، وشمولها كثيرا من آفاق الحياة العقلية والمادية «ب» لان الحضارات التقليدية بآسيا والعالم العربي ، ترتبط ارتباطا شديدا بقيم ثقافية ولغوية وعقائدية مهمة ، تسهم لحد الان في تشكيل عقلية اغلب السكان ، وتؤثر في تلوين حياتهم بلون تقليدي اصيل «ج» لان عددا من شعوب الشرق والعالم العربي ، قد مرت ـ خلال تاريخها الطويل ـ بفترات احتكاك كثيرة بالحضارات الاخرى الواردة عليها من خارج بيئاتها الخاصة ، وجربت طويلا كيف تستفيد من هذا الاحتكاك دون ان تتعرض للذوبان الحضاري ، بل ان مدنياتها هي مزيج من هذه الاحتكاكات ، مضافا اليها ما لهذه الشعوب من عبقريات ذاتية اعربت عن وجودها مدى التاريخ

هذه الاعتبارات وكثير غيرها ، تفسر ماهية الصراع الموجود في هذه المنطقة الواسعة من الاوقيانوسية الى نهاية الشاطىء المتوسطي الجنوبي صراع بين القيم والموروثات الحضارية التقليدية من جهة ، والتيار الحضاري الحديث من جهة اخرى ويتجلى ذلك في ردود الفعل الثقافية التي تقوم بها شعوب كثيرة في هذه المنطقة ، ضد امكانية الذوبان الثقافي غير المتبصر في خضم القيم الثقافية الاتية من الغرب وما اليه ، ان شعوب الشرق والضفة الجنوبية للمتوسط ، تسير في تدعيم نهضاتها الفكرية باستيحاء من التيارات الفكرية المتجددة الاتية من الشمال ، لكن يلاحظ كذلك ، ان هناك في العالم العربي ، وفي الصين ، وفي الهند ، وغيرها ، نزوعا قويا الى الاخذ ايضا بما في التراث ، والعمل على تكوين مزيج ثقافي عصري ، يتحقق منه تأكيد اصالة الشخصية الشرقية ، من خلال هذا التراث ويتعاطف مع تيارات الفكر المتجددة الاتية من عالم الكسونيين واللاتينيين والسلافيين وغيرهم ، كما لابد ان يوخذ بعين الاعتبار كذلك الاهتمام الشديد بالقيم اللغوية المحلية ، ومحاولة بعث اللغات المنطوية على نفسها ، وتنمية مقدرتها التعبيرية ، واعدادها لمسايرة العصر ، وتشكيل الصورة القومية الموحدة من خلال الوحدة اللغوية ، كما تسعى اليه الهند في جهودها من اجل اقرار الهندوستانية كلغة قومية ، وفي نفس الوقت تتزايد النزعات الهادفة الى احياء الفنون وانماط التعبير الكلاسيكية المحلية ، وتنمية الرصيد المحرز عليه الان عن طريق الاكتشاف « اكتشاف ما هو مغمور من التراث » والاشتقاق « الاشتقاق من النماذج الاصلية وبناء اشكال متطورة على اساسها» والتوليد «توليد اشكال جديدة، ولكن باستيحاء من روح التراث الاصيل » ، لكن يلاحظ من جهة اخرى وجود شعور قوي بالنقائص التي يتسم بها التراث ، هناك نزعات ترمي الى تلقين ، الكتابات الشرقية « اي استبدال الحروف الشرقية بالحروف اللاتينية » وذلك سواء في الصين او في اقطار جنوب شرقي اسيا ، او غيرها ، هناك صراع

بين اشكال التعبير القديمة والمستحدثة سواء في مجال التعبير اللغوي ، او الفني او غيره ، وثمت نزعات واسعة ، تستهدف مراجعة القيم الفكرية والاخلاقية والجمالية عند الشعوب الشرقية ، وتمت كثير مثل هذا ، من تيارات التغيير والتطوير ، التي تندفع بلا هوادة ، آتية من الغرب الاوربي والامريكي، ومن الشرق الاوربي كذلك . لتدور في محيط الحياة الفكرية التقليدية في الشرق والعالم العربي ، وتثير حالة من الصراع مع القيم الفكرية التقليدية في هذه المنطقة ، صراع واسع المدى ، بعيد القرار، لانه يتعلق بالمصير الحضاري المعنوي لمجموعة هائلة من الشعوب ، بقدر ما تتميز بكثرة عددها وضخامة كتلتها بقدر ما تتسم باعراقها البعيد في الحضارة ، واصالتها في هذا الميدان اصالة لها جذور تاريخية ومظهر حاضر .

اما في المجالات الاخرى مجالات الحياة الحضارية في اطارها المادي ، فان الصراع بين القيم الحضارية التقليدية والحديثة — وان كان موجودا — فانه لا يتسم بما يتسم به الصراع القائم على صور مختلفة — بين القيم الثقافية والخلقية ، فقد عاشت شعوب الشرق وشمال افريقيا دهرا طويلا على اساليب ووسائل معينة ، في زراعتها وصناعاتها ، ومختلف مرافق الانتاج والاستهلاك الاقتصادي عندها ، وانطبع الفن المعماري لديها بطابع خاص ، تنعكس من خلاله عقليتها الاجتماعية ، ونظرتها الى الصلات بين افراد المجتمع ، وذوقها في الراحة والاستمتاع ، ووسائل التوقي من عوامل الطبيعة ، كالحر والبرد والعواصف وغيرها ، وتميزت طرق تهييء الطعام . وغير ذلك عندها بميزات اصيلة ، تتجلى منها تذوقات هذه الشعوب وفكرتها عن جانب الالتذاذ بالطعام ، وجانب الاستفادة الصحية منه ، وما الى ذلك ، كثير من مثل هذه الاشياء في ميادين الحياة المختلفة ، عاشت عليه الشعوب العربية، والهندية والصينية والبولينيزية وغيرها ، امدا بعيدا ، وتميزت به حضارتها الاصيلة عبر التاريخ . غير ان تيار التغيير العام ، الذي يجتاح عالمنا الراهن تحت تاثير المدنية الحديثة ، قد اصاب فيما اصاب عددا من هذه المواضعات الاقتصادية والعمرانية والذوقية ، التي قامت عليها الحضارات الشرقية والعربية وتناولها تناولا عنيفا في الكثير من الاحيان ، بحيث ان اي جانب مهم من جوانب الحياة الزراعية والصناعية وغيرها عند شعوب الشرق وشمال افريقيا ، لم يبق بعيدا عن التيار ، وبمعزل عن حمى التغيير التي تكتسح الحياة المادية في العالم على نطاق غير محدود ، غير ان هناك وجها للاحظة الفارق الدقيق الموجود بين الحالتين ، حالة الصراع بين القيم الحضارية المعنوية التقليدية والقيم الحضارية المعنوية الحديثة فيما بينها وحالة الصراع بين القيم المتعلقة بتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية على الاسلوب التقليدي، والاسلوب الحديث فيما بينهما كذلك ، فالصراع بين القيم المعنوية يكتسي صورة صراع حقيقي بكل الملابسات التي تتعلق بهذه الكلمة اي ما يدل عليه الصراع من اخذ ورد ومطاولة ومصاولة ، وامتداد وانحسار ، وكما ان الصراع لا ينتهي دائما بغالب ومغلوب ، فليس هنا في مجال الصراع بين القيم الحضارية المعنوية مجال لوجود حتمية غالب ومغلوب ، في نهاية المطاف ، ذلك ان التجديد « طابع القيم الحضارية الحديثة» اذا كان عامل اغراء قوي يكتسح المظاهر القديمة بسهولة فان الاصالة «طابع القيم المعنوية التقليدية » هي ايضا طاقة قوية ذات قابلية للاستمرار طويلا ولها من ينابيعها الذاتية ما يزودها بالقدرة على البقاء واثبات الوجود رغم العوامل المعاكسة ، هذا الصراع بين اغراءات التجديد الحديث وقوة الاصالة التقليدية، هو صراع حتمي كان قائما دائما في مراحل التاريخ حيث يوجد التحول الحضاري كظاهرة مستمرة ، لا تنقطع ابدا ، غير ان الميدان الذي يقع فيه هذا النوع من الصراع التاريخي هو على درجة بالغة من التعقيد ، نظرا لتعقد الحياة الفكرية العالمية ، وتراكم القضايا الاخلاقية والثقافية والروحية وغيرها ، مما يضعه منطق العصر الحديث ويفرضه على الانسان فرضا، وعلى نحو درامي في بعض الاحيان، ويظهر من حالة الصراع هذه «1» ان هناك رابطا قويا بين المحافظة الحضارية في نطاقها المعنوي عند الشعوب ذات الحضارات التقليدية في الشرق والعالم العربي ، وبين المحافظة القومية عند هذه الشعوب ، ولذا تجد ان الحركات القومية في الاقطار العربية وغيرها من اقطار الشرق ، يصاحبها عادة حركة احياء للتراث الثقافي القومي ، وسعي الى بعث القيم الحضارية المعنوية التي يعبر عنها هذا التراث وحرص على تربية النشء بحسب مقاييس من هذا القبيل ، مستمدة من روح التراث ومقوماته «2» ان المجتمعات التي لها تراث حضاري معنوي تتشبث به ، تجد نفسها ، وهي تعيش الجو العالمي المشبع

بروح الحضارة الحديثة ـ في حاجة الى مراجعة كثير من اقتناعاتها ومسلماتها ، وما تأخذ به من اساليب التفكير والعيش والتعامل والتوسع في مختلف آفاق الحياة «3» ان المجتمعات ذات الحضارة التقليدية تواجه ـ في خضم هذه ـ تحديا فكريا على اعلى مستوى ، يدعوها لان تعطي هي مما لديها ، او تقبل التعرض لتيار الصهر الثقافي الحديث ، الذي هو بصدد ان يبوتق الفكر الانساني على نحو شامل .

اما بالنسبة لحالة الصراع بين الجوانب المادية للحضارة ، تقليدية وحديثة ، فان الامر يختلف عما سبق بعض الشيء، فهذا الصراع ليس متشعبا تشعب الصراع بين القيم الحضارية المعنوية كما تقدم ، والمآل الذي يسير نحوه هذا الصراع الحضاري المادي ليس بالضرورة نفس المآل الذي يسير نحوه الصراع الحضاري المعنوي ، ويظهر ذلك في اختلاف احوال رد الفعل الذي قامت به المجتمعات الشرقية والعربية ، ازاء التيارات التجديدية الواردة عليها من العالم الغربي فبينما نجد ان اغلبية هذه المجتمعات تتمسك شديد تمسك ، بروح حضاراتها المعنوية الموروثة ، بما تقوم عليه من لغات وثقافات قومية وغيرها ، ولا تقبل من تيارات التغيير بهذا الشان ما من شانه ان يدعو الى الاستبدال : استبدال اللغات المحلية بغيرها ، او التراث الثقافي بغيره ، وانما تقبل التغيير اذا كان يعني التجديد الثقافي ، الذي لا يمس جوهر التراث والتطعيم الثقافي ، الذي ينمي امكانياتها الفكرية والحضارية دون ان يقطع صلتها بشخصيتها الثقافية الخاصة ، بينما نجد ردود الفعل عند اكثرية شعوب الشرق والعالم العربي . ازاء تيار التغيير الحضاري المعنوي على هذا النحو او ما يقرب منه، نجد ـ من جانب آخر ـ ان المجتمعات الشرقية والعربية ، تبدي رد فعل اقل ازاء تيارات التغيير الحضارية المادية الاتية اليها من الغرب فسواء في ميدان الصناعة او الزراعة او التجارة ، او العمارة، او الادارة ، او غيرها ، فان الاساليب الحضارية الحديثة ، قد تمكنت من شق طريقها الى قلب الحياة الشرقية والعربية ، لا لتقوم بتجديد الاساليب **التقليدية المتبعة بهذا الشان عند العرب والشرقيين** وادخال تحسين عليها ، بل لتحل تماما محل الاساليب الشرقية التقليدية وتسير هكذا نحو طبع الحياة المادية الشرقية ، بالطابع الحضاري الحديث في مختلف المرافق ، ولا يعني هذا اختفاء الاساليب التقليدية من الحياة المادية العامة في الشرق ، بل ان هذه الاساليب لا يزال لها وجود ذو فاعلية في شتى الميادين ، غير انها لم تعد تقنع احدا ، بان لها صلاحية مطلقة للاستجابة لحاجيات التقنية المعقدة ، التي تتطلبها الحياة الاقتصادية والاجتماعية الحديثة ، ولهذا فعلى الرغم من استمرار العمل بالوسائل والطرق التقليدية في الشرق والعالم العربي ، فان هذه الطرق والاساليب قد انزوت في ركن ضيق او قطاع ضيق ، هو ما يدعى بالقطاع التقليدي ، الذي لم يعد عليه كبير اعتماد في التخطيط الاقتصادي والاجتماعي للدول النامية في الشرق والعالم العربي ، ولذا فان غالبية هذه الدول ، نجد لديها قطاعين متوازيين في كثير من ميادين الحياة : صناعية وزراعية وتجارية وغيرها ، اولاهما : القطاع التقليدي الذي لا يزال يعتمد على الاساليب القديمة ، المأخوذة في كثير من الحالات ، من منهج الحضارات التقليدية بهذه المناطق ، ثم القطاع الحديث الذي يستمد وجوده من روح التقنية الحديثة في جميع ميادين الانماء والتجهيز والاستهلاك على مختلف المستويات . وتهتم بعض الدول ممن يعنيها الامر ، بايجاد نوع من الانسجام والتضافر بين القطاعين ، ضمن خططها العامة ، للنهوض الاقتصادي والاجتماعي الشامل ، بيد ان وجود القطاعين منفصلين في الاصل ، على النحو الذي نراه في اكثرية الاقطار النامية بآسيا وافريقيا العربية ، يعكس في حد ذاته، ما انتهت اليه ردود الفعل الشرقية والعربية تجاه تيارات التغيير الحضاري ، الواردة من الغرب فهناك بهذا الشان ـ كما قدمنا ـ حالتان قائمتان بينهما كثير من الفروق في المقدمة والنتيجة ، حالة محافظة نسبية ، يبديها العرب والشرقيون ، ازاء تيارات التغيير الحضاري المعنوي ، بما يتداخل في محيطها من عناصر الثقافة ، والقيم الفكرية والخلقية ، وحالة المرونة التي تبدو على هذه الشعوب تجاه تيارات التغيير المادي ، وما يتميز به موقف العرب والشرقيين من طواعية ملحوظة ، لاستبدال الاساليب الحضارية القديمة **بهذا الشان بالاساليب** التقنية الحديثة ، والصورة التي تبدو من خلالها اليابان كقطر تقني تعمره المركبات الصناعية الهائلة وتظلله ناطحات السحاب ، هذا من جهة ، وكقطر يكتب بالحروف اليابانية التقليدية ، ويفكر بلغة شرقية منعزلة ، ويخضع لاساليب سلوك اجتماعي

تطبعها روح التؤدة الشرقية والعقلية الشرقية النموذجية في كثير من الميادين : هاتان الصورتان عن اليابان تعطيان فكرة عن موقف العرب والشرقيين في الصميم من تيارات التغيير والتجديد التي تهب مع رياح الحضارة الحديثة — فكرة — وان كانت لا تعكس — بدقة — الواقع الموجود في جميع المجتمعات الشرقية ، ولكنها تعطي عن هذا الواقع فكرة تقريبية ، وتنبىء بما يجب ان تنتهي اليه الامور من هذا القبيل في اي بلد يجد نفسه موزعا بين اختيارات حضارية حديثةلا غنى عنها ، وبين تراث حضاري قائم تتبلور من خلاله شخصيته وموقعه في التاريخ ومركزه الحاضر بين البلدان التي لها تراث يعتد به في موازين الحضارات الانسانية .

هذه الجوانب المعنوية من الحضارات التقليدية على اية قاعدة يجب ان ترتكز في تمسكها هكذا بالبقاء، ورفضها الانصهار المطلق في الحضارة العالمية الحديثة؟ هل يكفي ان تتشبث الاقطار ذات الحضارات التقليدية بروح محافظة ، شديدة الاعتزاز بتراثها الثقافي ، وقيمها الفكرية والخلقية ، لكي تستطيع الصمود في وجه التيارات الحديثة ، والابقاء على شخصيتها الحضارية المعنوية قائمة غير منقوصة ؟

في امكان المرء ان يستطلع احوال عدد من البلدان المحافظة على هذا النمط في آسيا وغيرها ليرى ان مثل هذه المحافظة السلبية ، لا تضمن استمرار المناعة المنشودة ، ضد امكانية الذوبان في التيار الحضاري الاجنبي ، ولا تقدم حلولا للقضايا الفكرية والحياتية ، التي يحدثها تصادم التيارات الحضارية بالعالم ، ان البلدان التي تأخذ بمبدا الانطواء الحضاري المطلق ، واقفال النوافذ الفكرية بينها وبين العالم ، لابد ان تجد نفسها عند نهاية المطاف في غربة حضارية لا يمكن ان تكون مخصبة ، اذا نظرنا اليها من خلال المقاييس والمفهومات التي نقيس بها تطور الشعوب ونهضتها اليوم ، وهذه الغربة — اذا استحكمت — فانها تجعل البلد الواقع فيها ضعيف الحصانة من الخارج ، وان كان يتمتع ببعض التماسك الفكري والعاطفي في الداخل ، ولهذا فان البلدان من هذا القبيل التي آثرت سبيل عزلة حضارية شديدة من نوع ما ذكرنا — تتعرض في بعض الاحيان للتأثر بالغزو الثقافي الاجنبي اكثر من غيرها ، وذلك لضعف امكانياتها الحضارية الناجمة عن عزلتها التقليدية ، وخصوصا ضيق الافق الفكري الذي يسببه لها الانعزال ونكران الواقع الفكري الخارجي ، فيحصل لها — عند المفاجاة — انبهار محتمل قد ينسيها شخصيتها الثقافية الى حد ما .

على ان العزلة الحضارية — اذا لم تكن حلا صالحا في الموضوع الذي نعالجه — فان الاستعداد للتأثر غير المتبصر بالتيارات الحضارية في العالم ، هو بطبيعة الحال حل غير مناسب ايضا ، والعنصر الثقافي « اساس الحضارة المعنوية » هو محور الاهتمام في هذا المضمار ، ان الثقافات القومية في عالمنا المعاصر ليس لها ان تنعزل عن بعضها ، والاخلاق التي تكفيها هذه الثقافات لا معنى لان تبقى اخلاقا محلية غير قابلة للتأثر بغيرها ، والتأثير فيه ، فمعركة الحضارات في العالم الحديث هي من اعظم الملاحم التي تعيشها الانسانية الان ، وهذه المعركة تفرض من الاتصالات الثقافية والفكرية بين الناس في كافة نواحي العالم ما يتناسب مع سعة الابعاد التي تمتد عليها هذه المعركة، وهذا الاتصال هو ما يدعوه البعض بالتعايش الثقافي الذي يجب ان يكون ايضا تعايشا ايجابيا مثل ما هنالك من نزوع للتعايش السياسي الايجابي.

ويقول « بول ريكور » حول هذه المسالة : «.. ان العامل الاساسي في تباعد الثقافات وتباينها هو اعتبار صفة الاجنبية التي تميز بعضها عن بعض وهذه الاجنبية هي في الواقع صفة اعتبارية لا غير ، فالرجل هو اجنبي بالنسبة لانسان آخر ، هذه حقيقة بدهية ، ولكنه مشابه له ايضا ، فاذا ما حل المرء ببلد اجنبي ، فهو يحس فعلا ، بالجو الاجنبي الذي يحيط به ، الا انه مع ذلك لابد ان يكتشف ايضا ، بانه لم يفارق النوع الانساني بكل مميزاته وخصائصه ، وهذا الشعور يبقى في الغالب غامضا ، ولكن يجب الارتفاع به الى مستوى الرهان ، ومستوى التاكيد الارادي لشخصية الانسان ، وهذا الرهان المعقول هو الذي حدا ببعض علماء العصريات — وقد عثر على جملة من العلامات الغامضة — حذا به الى القول بان هذه العلامات اذا كانت للانسان ، فلابد ان تترجم وتفهم ، واذا كانت الترجمة ممكنة دائما بالنسبة للكلمات والحروف والعلامات ، فلابد ان تكون ممكنة كذلك بالنسبة للقيم والصور الاساسية والشعارات التي تشكل الاسس الثقافية لاي شعب من الشعوب . واذا كان التجاوب بين الناس ضروريا الى هذا الحد ، فان التعايش بين الثقافات التي تعكس واقع فكره ، ووجدانه وحياته ، هو ممكن كذلك الى حد

بعيد ، الا ان هذا التعايش سيكون اكثر امكانا ، اذا كان بين ثقافات حية ، تفي لاصولها الراسخة ، وتساهم بنصيبها في مبادرات الخلق الفني والادبي والفلسفي والروحي ، وبكل ما يرتبط بذلك من مفاهيم وقيم وحقائق ، ان اية ثقافة من هذا المستوى هي القادرة وحدها على تحمل الالتقاء مع الثقافات الاخرى بل واعطاء معنى ايجابي لهذا الالتقاء . والذي يبدو واضحا ان عالما اسلاميا هو في حال حركة متطورة سيكون له ــ مثلا ــ مع الحضارة الاوربية والثقافة الاوروبية هذا النوع من التقارب الذي يوجد بين جميع الخلاقين .

ان المهمة قد حددها « هيدجر » حينما قال : يجب ان نرتحل الى داخل اصولنا نفسها » اي يجب ان نرجع الى اصولنا الثقافية الاولى من قومية ودينية ، لنكون محاورين اكفاء في المناقشات الكبرى بين الثقافات ، وهكذا يمكن للمرء ان يحقق هذه العلاقة الدرامية التي يتأكد فيها داخل اصله ويعير انتباهه كذلك لخيال الاخرين ، حسب مفاهيم مدنياتهم الخاصة ، فالحقيقة الانسانية ليست الا في هذه المحاكات ، حيث تتواجه الحضارات اكثر فاكثر بكل ما فيها من عناصر الحيوية والخلق ، وحيث تطور كل مدنية تصوراتها ومفهوماتها عن العالم عن طريق التواجه مع المدنيات الاخرى ، وهذه المحاكمات قد بدات او تكاد ، وربما تصبح المهمة الكبرى للانسان الحديث ، ولا احد يستطيع ان يحدد تطور مدنيتنا هذه ، اذا امكننا ان تتلاقى حقيقة عن طريق آخر ، غير طريق الفتح والاستيلاء ، غير انه من الملاحظ ان هذا الالتقاء لم يقع لحد الان في مستوى حوار حقيقي ، لكننا نحس مع ذلك اننا على عتبة هذا الحوار .. الحوار بين مختلف المدنيات والثقافات الاصلية ، التي لابد ان تتعايش فيما بينها تعايشا ايجابيا خلاقا ..»

الراي الذي سقناه يعكس نظرة متبصرة ، الى القضية الحضارية التي تشغل عددا من المثقفين المعاصرين ، لكن الراي هذا ــ وهو راي اوربي ــ يبدو انه وليد نظرة الى الموضوع من خلال الرغبة في التطور الامثل للحضارة الحديثة ، التي تسودها التقنية والعقلانية الغربية في المقام الاول ، ولا يظهر ان المثقفين في الشرق يولون ظهورهم لاغراءات حوار حضاري عالمي من هذا القبيل ، غير ان الحوار يجب ان يكون ــ كما قيل ــ بين اكفاء ، والكفاءة هنا لا تعني بالضرورة الكفاءة التقنية ، لان التقنية ــ على اي حال ــ لا تستطيع ان تفرض الحلول للمشاكل الحضارية الانسانية كلها . ولا يبدو انها تمكننا بسهولة ، من ايجاد صيغة نهائية لعلاقات انسانية قارة وواضحة في الامد البعيد، وعلى جميع المستويات ، ان النزاع الفكري والثقافي يكمن اليوم وراء كثير ، ان لم يكن ، كافة النزاعات السياسية وغيرها التي ترج العالم رجا ، وهذا النزاع يجب ان لا يتخذ صورة تطاحن او تناحر ، بل المتعين ان يكون عبارة عن تواجه وتحاور ، فيكون ذلك ظاهرة ايجابية في حياة الفكر والحضارة ، عوض ان يكون بادرة سلبية لا تدل الا على عدم التلاؤم الفكري ــ الحضاري بين مختلف القارات ، وليس المثل الاعلى في ذلك اتاحة البيئة الصالحة لتعايش المدنيات فحسب، اذا كانت نتيجة التعايش هذا عبارة عن مهادنة بين طرفين لا تفرض التزامات ايجابية بينهما ، وانما الهدف الذي يبتغى هو ان يؤدي الحوار في الامد البعيد الى التقارب البناء بين مختلف القيم الفكرية في العالم ، واتجاه الانسانية على اساس ذلك الى اقامة بناء فكري حضاري تتفاعل فيه العقليات الحضارية المختلفة على نحو يضمن اسهام العبقرية الانسانية المتكاملة في تشييد عالم افضل .

سلا ــ المهدي البرجالي

إنني الرائد أبني عالما

للشاعر: علال الهاشمي الفيلالي

اسبلي هدبك ، او فانفجري — غضبا ، اني غدا مرتحل

اوصدي بابك دوني انني — خانق اقسمت لا امتثل

في دمي ثورة حقد عرم — وبعمقي الجرح لا يندمل

امنعي كل نسيم عاطر — واحبسي الفجر فلا ينتقل

هددي عمري ، وسلي خنجرا — لست شيئا هينا يبتذل

ان صوتي لم اعد اخفته — انظريني كاللظى تشتعل

*

زحزحي ليلك عن جفني الذي — بسنا الفجر غدا يكتحل

لا تقولي بعد : من ايقظني ؟ — لا تظني انني لا انفعل !!

بيميني مشعل سار على — هديه السامي جدودي الاول

وصحا الكون على اذانه — انه حق ، ووحي منزل

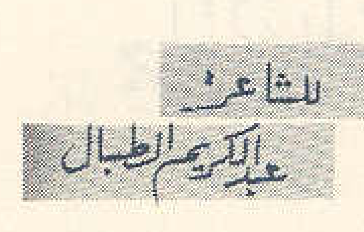
وانا كيف ساحيا يائسا — عالمي ليل ، وبابي مقفل

بيدي حطمت سجني ، وغدا — سيرى الركب السريع المعجل

انني الرائد ابني عالما — فيه ايمان ، وفيه مثل

علال بن الهاشمي الفيلالي





عصفورتي اتحلمين ان تزوقي الظلال في جدار عشنا
ان ترسمي في كل ركن صورة لنجمتين في سماء ليلنا
ان تصدحي بمولد الحب الذي طال حنينا عندنا في سرنا
فينشر العطر حديث حبنا بين الرفاق في دروب حقلنا
في كل عش خبر عن عشقنا . في كل غصن همسة عن حبنا
فالنهر في أسماره يحكي بنا قصة حب لم تمر من قبلنا
والياسمين في جلال شيبه يضحك مثل طفلنا في عيدنا
والدوح في غربته يشهد في احلامه اسطورة في دربنا
والظل يفرش الطريق لؤلؤا لصاحب العرش الذي من صلبنا
والفجر في دكانه يصوغ تاجا عبقريا رائعا كحبنا
لطفلنا لواحة العينين . للشلال في اعماقنا ودمنا
عصفورتي ان الخريف لن يعود ان صدحت في جديب عمرنا



فاللحن وابل يموج في التراب ليرف دوحة في قفرنا
لها الظلال والضياء والصلاة . ليطل طائرا في افقنا
له الاشواق والتهليل والاسرار . ليتيه باقة في دوحنا
تبشر الفراش باللقاء والزهور بالاعراس في اعيادنا
فلتحلمي يامولد الالوان يا فجر الظلال يا اسرار حرفنا
فالحلم يا عصفورتي شراعنا الى الحقيقة التي في شطنا

شفشاون — عبد الكريم الطبال

جولة في المخطوطات العربية باسبانيا

للأستاذ محمد ابراهيم الكتاني

(2)

واما المدرسة العربية الاسبانية بمدريد ، فقد وضع المستعربان « ريبيرا » و « اسين » لمخطوطاتها العربية او التي بالخاميادو « العجمية » فهرسا بالعربية والاسبانية طبع بمدريد سنة 1912 م . ومن جملة مخطوطاتها :

23 — السفر السابع من « الاستذكار » لابن عبد البر ، وفيه : الجهاد ، والضحايا ، والذبائح ، والصيد ، والعقيقة ، والفرائض . وقد تلاشت اوراقه الاخيرة . وقد طلبنا تصويره للخزانة العامة .

24 — ومنها «المقصد المحمود في تلخيص العقود» لابي الحسن علي بن ابي القاسم . بخط مغربي . وعليه طرر ، نسخة متلاشية .

25 — ومنها السفر الثاني من «الوثائق المجموعة» لابن فتوح الفهري ، نسخة كتبت سنة 534 .

26 — ومنها نسخة مغربية من كتاب « تبصرة المبتديء وتذكرة المنتهي » في النحو لابي محمد الصيمري . اصاب اطراف اوراقها الاولى تلف .

27 — ومنها نسخة سقيمة من مختصر العين .

28 — ونسخة من السفر الثاني منه بتاريخ 435هـ .

ومنها مجموع في النحو فيه كتب « بالخاميادو » ، واخرى بالعربية والترجمة ومما به :

29 — شرح ابي اسحاق ابن غالب الانصاري على الاجرومية ، وبين السطور ترجمته الى الخاميادو .

30 — وكذلك كتاب « الشجرة » وهو المسمى بالتقريب في علم النحو للزجاج ، وبين السطور ترجمته الى الخاميادو كذلك .

31 — ومنها قطعة من تفسير ابن ابي زمنين بلغة الخاميادو ، كتبت فيه الايات باللغة العربية والترجمة بالحروف العربية ، نسخة جيدة .

32 — ومنها مختصر الطليطلي بالخاميادو ايضا .

واما المكتبة الوطنية بمدريد ، فمن اغرب واهم ما فيها :

33 — كتاب « الامتاع والانتفاع في معرفة احكام السماع » لمؤلف مغربي ظل مجهولا لحد الان ، نشا بسبتة في كنف اميرها ابي القاسم بن ابي العباس اللخمي ثم العزفي — توفي عام 677 هـ الذي اختصه بتنبيه وتعليمه واعانه على طلب العلم .

ومما اخذ عنه صحيحا البخاري ومسلم وسنن النسائي ، كما حدثه بالبخاري والنسائي ، شيخه الفقيه العالم العامل الاستاذ المقريء النحوي اللغوي الفرضي ابو الحسين عبيد الله بن احمد ابن ابي الربيع القرشي فسح الله مدته ، قلت توفي سنة 688 هـ .

واخذ البخاري ومسلما ايضا عن الشيخ الفقيه العالم العامل المحدث الحاج المدرس صفي الدين ابي يعقوب يوسف بن موسى الغماري ثم المنجاني ، سماعا عليه لبعضه واجازة لسائره — قلت : كان حيا سنة 684 هـ .

وروى صحيح مسلم ايضا عن سراج الدين ابي بكر عبد الله بن احمد بن اساعيل بن ابراهيم بن عبد العزيز بن فارس التميمي السعدي، قلت: توفي سنة 684هـ

ثم انتقل لفاس فاتم دراسته على اشياخ استفاد بالقراءة عليهم اعظم استفادة ، كما قال . وان لم يسمهم لنا !

ثم اصبح مدرسا بفاس ، ومن خاصة مقام امير المسلمين المجاهد الانجد ابي يعقوب ابن امير المسلمين المجاهد ابي يوسف بن عبد الحق ، وفي فاس سأله بعض الطلبة عن حكم اعطاء الاجرة على السماع «يعني الغناء» فاجابه بان الغناء الجائز يجوز اعطاء الاجرة عليه ، والغناء الممنوع يحرم اعطاء الاجرة عليه .

ولكن ناسا انكروا جوابه هذا ، فمنهم من اقر بان من الغناء ما هو جائز ولكنه انكر جواز اعطاء الاجرة على هذا القسم الجائز ، ومنهم من انكر ان يكون من الغناء ما هو جائز ، واخرون انكروا الشعر رأسا .

وحاولوا ان يؤلبوا عليه بعض اشياخه ، وان يصدوا بعض طلبته عن الاستمرار في الحضور عنده في مجلس درسه .

فالف في الرد عليهم هذا الكتاب الحافل الذي سماه بكتاب «الامتاع والانتفاع في مسالة سماع السماع» لاستيثاره بالكفاية والغناء ، في احكام الغناء . والرد على من نقص المسلمين بتحريم ما ابيح لهم في مظان المسرة والهناء ، او في حال اجتماع ارباب التهمم بالسماع ، ليتبعوا احسنه احسن الاتباع ، واولى الاعتناء (كـــذا !)

وطرزه باسم مخدومه امير المسلمين ابي يعقوب ابن ابي يوسف بن عبد الحق ، ورفعه لخزانة محله الشريـــف

وصـف الكتـاب :

ويقع الكتاب في مائة وعشرين ورقة ، ضاعت منه الورقة الاولى ، ووضعت بدلها ورقة حديثة كتب فيها اسم الكتاب بدون تسمية المؤلف ، وفوق الاسم : تملك هذا الكتاب عبد الله ووليه ابو فارس بن امير المؤمنين ابن امير المومنين بن امير المومنين الشرفاء الحسنيين خار الله له ــ وهو زيدان بن المنصور السعدي ، كما لا يخفى وكان من جملة كتبه بالاسكوريال ثم نقل لمكتبة مدريد الوطنية ، والكتاب بخط مغربي جميل . لا يخلو من تصحيف وبياض ، مؤرخ في النصف لشهر شعبان المكرم عام احد وسبعمائة على يد العبد الفقير الى رحمة ربه محمد بن ابراهيم التلاجي ، بالجيم حسب قراءتي او بالفاء حسب قراءة عباس بن ابراهيم ، ولا عبرة بقراءة القصيري : التلالجي لان اللام لا وجود لها ــ ولا تعرف لهذا الكتاب نسخة اخرى في مكان اخر لحد الان ، وقد صورناه على الشريط للخزانة العامة بالرباط .

فهـرس الكتـاب :

وفي الكتاب ثلاثة ابواب :

1 ــ الاول في حقيقة الغناء ، وشرح الاته ، وفيه فصلان

2 ــ الثاني في حكم الغناء ، وفيه فصلان :

أ ــ الاول في حكم الغناء مجردا عن العوارض اللاحقة به .

2 ــ والثاني في حكم الغناء مع ما يقارن عمله ، من عارض في المسمع او عارض في المستمع .

ب ــ والثاني في حكم الغناء مع ما يقارن عمله ، كله على اختلاف انواعه وصفاته

من محتويـات الكتـاب :

يعتبر الفصل الثاني من الباب الاول من افيد واهم فصول الكتاب ، فقد ذكر فيه اثنين وثلاثين الة موسيقية، مما حضر من حفظه مما يدور على السنة علماء الشريعة ويتردد ذكرهم في كتبهم ــ دون ما لم يقف عليه فيها ، كالقانون وغيره من الالات ــ وهي : الدف . الغربال . المصافق الكبر الاصف المزهر . العود . الرباب. الكران الصنج الكيثار . المعزف . العزف . المزمار. الناي . القصابة . البوق الطبل . الكوس . الكوبة . العيد . الطنبور . البربط . القضيب . الشاهين . السفاقس . الشيزان . الكنارات . العرطبة . الشبابة . والصفـــارة

ويقع هذا الفصل في ستة اوراق ونصف ، وقد لخصه عباس بن ابراهيم في « الاعلام بمن حل مراكش

واغمات من الاعلام ، ج 2 ص 201 ـ 202 ، وان كان قد وقع له فيما لخصه تصحيف كثير.

وفي الكتاب لمحات تاريخية لا تخلو من فائدة ، مثل ما رواه من حضور ملأ من فقهاء فاس حرسها الله وصلحائها وليمة والسماع يصنع بالغربال والشبابة على عادة بلادنا في ذلك ، وكان من جملة الحاضرين الشيخ الفقيه الاجل القاضي الافضل العالم ابو الحسن المزدغي رحمه الله ورضي عنه.

ـ قلت : توفي سنة 655 هـ ، راجع ترجمته في « نيل الابتهاج ص 223 طبع فاس » . وفي « جذوة الاقتباس ص 138 » وفي « سلوة الانفاس ج 2 ص 38 »

ومثل سؤال بعضهم لجملة من الفقهاء والصالحين بالمدينة المذكورة ، والسماع يصنع على العادة : ايتساهل في هذا عندكم ؟ مع انكم المتميزون بمعرفة الفقه في المغرب ! ـ فاطبقوا كلهم على ان ذلك امر لم يزالوا خلفا عن سلف يبيحونه ، ويحضرون فيه ، ولا ينكره احد من علمائهم !

ومثل قوله : لعل اكثر ما يتغنى به الان ليس على طريق اهل الموسيقى وصنعة ارباب الغناء ، ومعظمه اما مدح المصطفى ، واما متوقات الى البيت والحطيم ، والركن ومقام ابراهيم ، وتقبيل الحجر ، واما استثارة لمشاهدة تلك الاثار الشريفة ، والمشاهد المنيرة ، المنيفة ، ونيل الامل والسول ، من بلوغ مدينة الرسول ، لزيارة روضته ، والصلاة في مسجده ، واما زهديات تزهد في الدنيا ومتاعها ، وترغب في الاخرة ، واما وعظيات تذكر العبد بذنبه ، وتستدعيه الى الانابة الى ربه ، وان تخلل ذلك شئ من الغزل المباح ، ومما يلحق بالمقصود الاول ، ما كان من النسيب المؤول ، والخمريات التي هي على ما خامر العقل من شراب المحبة يتاول !

الا كل عقل لا تخامره الخمر
فمعناه من معنى اشارتهم قفر ...

مصادر الكتاب :

وهو ينقل عن البخاري ، ومسلم ، والوطأ ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ابي خيثمة ، وعياض ، وابن عبد البر ، وابن الجوزي ، وابن جرير الطبري في « تهذيب الاثار » ، والرقسطي في « الدلائل » ، والمازري ، والباجي ، والخطابي ، وابن المرابط ، في شرح البخاري » ، وابن بطال في « المقنع » في اصول الاحكام ، وابن المنذر في كتاب « الاجماع والاختلاف » ، وابي نصر بن الصباغ الشافعي في « الشامل » ، وابن حزم في « المحلى » ، وفي « مراتب الاجماع » وفي « الجزء الذي صنعه في الغناء الملهي » ، وابن زرقون في « الانوار » ، وعن الحافظ ابي الحسن علي بن محمد بن ابراهيم بن الضحاك الفزاري ـ وهو من تلامذة ابن العربي المعافري ـ في « بواهد ذوي البصائر والاستبصار » قال : ومن خطه نقلت ـ وعبد الحق الازدي ، وابن رشد الجد ، وابن رشد الحفيد ، والغزالي ، وابن الصلاح في « علوم الحديث » ، وطاهر المقدسي ، والطرطوشي في « الرد على المتصوفة » ، والقشيري ، واورد له « رسالة في السماع » بكاملها ، وابي الحسن ابن القطان الفاسي في كتاب « احكام النظر » ، وابن عطية ، والمزني في « المختصر » ، وابي العباس العزفي في « الدر المنظم » والمدونة ، والعتبية ، وكتاب ابن يونس ، وابي بكر الابهري في « شرح مختصر ابن عبد الحكم » ، والقاضي عبد الوهاب في « المعونة » وابن عبد الحكم في كتاب « ادب القضاة والحكام » ، وابن شاس ، وابي اسحاق التونسي ، وابن فتحون في « وثائقه » المسماة « بالتمهيد » ، وابن سهل في « الاحكام » والسهروردي في « عوارف المعارف » ، والجوهري في « الصحاح » ، وابن خروف ، وخليفة ابن خياط ، وابن رشيق.

وهي قائمة تدل على مبلغ اطلاع المؤلف من جهة ، وعلى ما كان يوجد بفاس من مؤلفات في القرن السابع الهجري انقطع خبر بعضها منذ زمان بعيد.

وقد نقل المؤلف عن ابن حزم ثمانية وعشرين مرة، قال في احداها : وقال حافظ المغرب ابو محمد ابن حزم في « مراتب الاجماع » له ، الذي هو اصح الاجماعات عند اهل العلم ، وقال عنه مرة اخرى : على انه الفحل الذي سلم له الحافظ في حفظه.

وذكر عن الفقيه ابي بكر عبد الباقي بن محمد بن بريل الحجاري رضي الله عنه ، انه قال : لقد اخبرني

بعض كبار اهل بلنسية انه قال : اخذت (النسخة) التي فيها الاحاديث الواردة في ذم الغناء والمنع من بيع المغنيات ، وما ذكره فيها ابو محمد رحمه الله ، وقصدت بها الى الفقيه الامام ابا عمر بن عبد البر رضي الله عنه ووقفته عليها ، ورغبت ان يتاملها ، فاقامت النسخة عنده اياما ، ثم نهضت اليه فقلت له : ما صنعت في النسخة ؟ فقال لي : التقتها (كذا) فلم اجد ما ازيد فيها ولا ما انقص منها

شخصية المؤلف فى الكتاب :

والمؤلف كاتب مترسل مقتدر مبدع ، علامة ، واسع الاطلاع في اللغة والادب والحديث والفقه ومذاهبه ، والنحو والبلاغة ، وهو يعقب غالبا على ما ينقله من نصوص الائمة ، ويحاجج ويجادل ويقبل ويرد ويؤيد وينقد

من هو مؤلف الكتاب ؟ ومتى الف ؟

اما مؤلف الكتاب فقد كتب المستعرب القصيري في اول صفحة من المخطوط باللاتينية انه الشلاحي (الناسخ) وقال انه اسباني ! كما توهم انه مهدي ليوسف ابن تاشفين ولكن المستعرب الاسباني ف كيان روبليس F. Guillén Robles في فهرسته لمخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد تنبه لغلط القصيري في الامرين الاول والثالث ولكنه لم يعرف شيئا عن مؤلف الكتاب (ص 249 ـ 250)

Catalogo de los Manuscritos Arabes existentes en la Biblioteca Nacional de Madrid - Madrid, 1889

كما تعرض له المستعرب الفرنسي هارتويج ديرانبورغ Hartuig Derenbourg في ملاحظته النقدية على المخطوطات العربية بمدريد .

Notes critiques sur les Manuscrits Arabes de la Bibliothèque Nationale de Madrid - Paris, 1904

فقال : « اننا نجهل مؤلفه » الا اننا نفترض ان كاتبه الشلاحي هو المؤلف فيكون بخط المؤلف (ص 247) ونسبه عبد الحميد العلوجي في (رائد الموسيقى العربية) ص 139 الذي نشرته وزارة الثقافة والارشاد العراقية بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للموسيقى العربية (1384 هـ 1964 م) الى الشلاحي محمد بن ابراهيم الذي كان حيا سنة 701 هـ .

وقال : ان روبسون J. Robson ترجم الى الانجليزية فصلا منه ونشره في بحثه AmagrebiTract on Linstening to Music المنشور في مجلة islamic cultur (1850), p.p. 113-131.

وكذلك نسبه للشلاحي «هنري جورج،فارمر» في(مصادر الموسيقى العربية) (ص 93) ترجمة الدكتور حسين نصار (الادارة الثقافية للجامعة العربية) ، وقال عن نسخة مدريد انها النسخة الوحيدة . كما قال انه اهم كتاب عن مشكلة سماع الموسيقى وصل الينا ، وانه يحتوي على اقتباسات كبيرة من كل عالم بالموضوع تقريبا ، ثم احال لمعرفة تفاصيل اخرى عنه على كتاب (دراسات في الالات الموسيقية الشرقية) لفارمر نفسه (2 لندن 1939 ص 31 ـ 35)

كما نسبه فارمر ايضا للشلاحي في (تاريخ الموسيقى العربية) الذي ترجمه ايضا الدكتور حسين نصار باشراف ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ونشر ضمن سلسلة الف كتاب .

وقد بقيت ـ منذ وقفت عليه ـ ابحث مدة طويلةعن مؤلف الكتاب واسال من اتوقع عنده خبرا عنه . الى ان عثرت في (برنامج) القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ـ وكنت قد صورته من الاسكوريال ـ على ذكر لهذا الكتاب الذي قال انه قرا على مؤلفه نحو نصفه ، وانه انفرد عنه بذلك ! وحلاه بالعلامة وسماه ابا عبد الله ابن الدراج

ثم ذكر لي الزميل الاستاذ المنوني انه وقف ـ بعد ما اطلعته على ما كتبته عنه ـ على ذكره في مراجع (تخريج الدلالات السمعية) لعلي الخزاعي .

وقد رجعت اليه فوجدته سماه محمد بن احمد بن محمد السبتي المعروف بالدراج ، كما سمى الكتاب « الكفاية والغناء في احكام الغناء » (الخزانة العامة د 1828) وهكذا يعود الكتاب الى مؤلفه الحقيقي بعد ان ظل مجهول النسب عدة قرون !

وقد ترجم الصلاح الصفدي في (الوافي بالوفيات) لمحمد بن احمد بن عمر ابي عبد الله بن الدراج التلمساني الانصاري ، فحلاه بالامام ، وقال : انه نشا بسبتة فكفله العز في صاحبها ، وكان احسن اقرانه في زمانه

ولاه يعقوب المريني قضاء سلا ، توفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة (ج 2 / 141 رقم 9 ع)

واما زمن تآليف الكتاب ، فقد كان بفاس فيما بين 685 التي هي سنة تملك يوسف بن يعقوب وسنة 688 هـ التي هي سنة وفاة ابن ابي الربيع الذي دعا له المؤلف ان يفسح الله في مدته ، فدل على انه كان عند تاليف الكتاب ما يزال بقيد الحياة ، ولكن يعكر على ذلك ما اشار اليه من تجديد ابي يعقوب لرسم الجهاد ، فانه لم يذهب الى الاندلس الا سنة 90 ولم يرجع منها لفاس الا سنة 92.

نموذج من انشاء الامام القاضي ابن الدراج :

وفيما يلي نموذج من انشاء مؤلفنا يعطي صورة عن النثر المغربي في القرن السابع الهجري : « اما بعد ، فان الله تعالى لما ملأ البسيطة امنا ويمنا، وكسا الارض رواءا باهرا وحسنا، وارسل رسل رياح الافراح ،بوسائل رسائل الروح للأرواح ، فتلقتها مصافحة باليمنى ، وارى من السير الحسان ، التي للمقام العلي المجد السلطاني المؤمل اليعقوبي ، رافع راية الاحسان ، ما يجزيه عليه بالحسنى ، وادر من سحائب المواهب لاحياء ما صوح من نبات الديانات فاصبح كالامس الذاهب مزنا، وجدد في دولته السعيدة الحميدة من رسم الجهاد ، والقيام بنصر دين رب العباد ، ما اورث الكفرة ذلا وحزنا ، وحوز المسلمين عزا تأكد الحمد له عليه ، فالحمد لله على ما نلناه من الخير الذي له وحزنا

اطرد السرور اطرادا ، وواصل الدهر مواسم واعيادا ، وامتدت امداد الامال ، وامتلأت الايدي بالمال ونشط الناس لاتخاذ الاهل وكسب الولد ، وقالوا : هذا وقت الغنيمة للنعم العميمة في كل صقع وبلد ، فكثرت لذلك الولائم والاعراس ، واستجمت النفوس فيها بشيء من اللهو الذي ليس به في الشريعة باس ، ولم يزل الحال مطردا لقياس ، كما جرت به عادة من سلف وخلف من الناس

الى ان ظهر قبلنا ناس يدعون انهم يقرأون القرءان ويتقفرون (كذا) ولعل صوابها يتفقهون) العلم ، ويستدعون بمذموم تعمقهم المنهى عنه الحرب لحماة الشريعة ويدعون السلم ، حتى اوقعهم ذلك في

انكار ما سألني عنه بعض الطلبة من اولى الجد والاجتهاد ، الجارين على سبيل الخير ، ومنهج الرشاد، من اعطاء الاجرة على السماع فأجبت فيه بالاجازة فيما اجيز منه والمنع فيما حكم فيه بالامتناع ، لما اوضحه العلماء من ذلك ابلغ الايضاح ، بقولهم : كل ما ابيح شرعا فالاجر عليه مباح .

فبعضهم اقر بان منه ما حكم فيه بحله ، واصر على تحريم الاجرة على مثله ، بدعوى الاجماع ، وبعضهم زاد على ذلك القول بعموم تحريم السماع ، وفرقة ثالثة منهم غلب عليها جمود البلادة ، وهي تعتقد ان ذلك من اعظم ما خصها الله به من الزيادة ! انكرت الشعر راسا ، وجحدت من حكمته ما لاح من افق الشريعة شمسا ، طمعا ان يخفضوا من رتب من رفعه الله بعلم الادب مكانا عليا ، ورغبة في ان يدخلوا في زمرة الذين قيل لسعيد بن المسيب عنهم : انهم يكرهون الشعر، فقال: نسكوا نسكا اعجميا !

ما اولاهم بالاضراب عن ذلك والامساك ، فان الشذوذ عن نهج الحق ومذهبه لا يصحح لمرتكبه ان يكون من النساك ، يا له من مقصد في غاية الغثاثة ، لا يليق الا بهذه الفرقة الثالثة وانها شر الثلاثة !

الى ان قال : فوجب علي ان ابين الصواب فيما صدر لي من المقال ، واعمل خطا الرد على خطابهم الظاهر بالنص في النص المتظاهر والارقال ، واكشف عن عوراء سوء فهمهم الذي لا يغفر ذنب اصرارهم عليه ولا يقال ، لما اخذ الله سبحانه من الميثاق في العلم ان يبين للناس ولا يكتم ، وجعل من الاجر الجزيل لمن جرى على سنن السنن بواضح الدليل الذي يقتدي بنور هدايته ويؤتم

فالفت هذا المجموع قصدا لافادة القاريء والسامع، واظهارا للحق بحسام دليله القاطع وانتصارا لمن تقدم من الاشياخ الجلة ، العلماء العاملين اعلام الملة ، في ترك رد ما اذن الشرع فيه من ذلك وانكاره وحضوره على مرور الازمنة واحضاره، واخذهم بالرخصة الواردة في هذا المعنى الذي عذبت موارده ، فان الله يحب ان توتى رخصه كما يحب ان تجتنب شدائده.

وغيرة من اطلاق هذه الشرذمة الناجمة السنتها

فيهم بالاضلال ، وتصويبها السنتها اليهم بالطعن والتخطئة فيما نقموا عليهم من تحليل الحلال .

وجاهدتهم فيه من اسلحة ما اشتملت عليه الفاظه ومعانيه بكل فاصل فاصل ، وقلت لهم : ما فللتم من فلان بأفوق ناصل ! هلا تركتم في هذا الميدان ركضا ، واخذتم بالمثل السائر : (النبع يقرع بعضه بعضا) .

وجاء في آخره : عصمنا الله من الضلالة ، وجعلنا ممن استضاء بانوار الرسالة وخلص نياتنا في كل عمل لوجهه الكريم ، حتى لا يحملنا حب السمعة والرياء على ادعاء تحليل بغير دليل او تحريم .

ولولا خشية طموس نور الحق والصواب ، لما اخذت في الرد على الخصم الالد في هذه المسالة المفروضة التي وقع فيها السؤال والجواب ، ولطويته على بلاله ، ولم اسمعه النداء لهذه المفروضة من بلاله ، اذ ليس دأبي حضور اللهو واللعب ، كما اني لست ايضا ممن ينكر ما لم ينكره الشرع ولم يعب .

لكن ذلك احوجني الى ان رمت الاعتناء بهذا المرام ، وقمت بوظيفة الكلام عليه (على طريقة) (1) اولي الاتصاف بصفة الانصاف احسن قيام ، ووفيت بما شرطته وعقدته في ذلك وربطته على الكمال والتمام .

فان كنت قد قرطست بسهم الاصابة فيه ، فبحمد الله الذي يوفق العبد ويهديه ، ثم يمن المقام العلي اليعقوبي امده الله بمداد الانجاد الذي يظهر به الاسلام ويعليه ، وان كنت قد اخطأت طريق الحق المبين ، فيجب ان يرشدني اليه من علمه من المسلمين ويقيد (في) (1) ، ذلك ما انتفع به انا وغيري على مر السنين .

فاني لم اتكلم في ذلك حتى اعتقدت وجوب الكلام فيه علي كي لا يحرم ما هو عندي ليس بالحرام ، لا سيما في امر ادعى تحريمه بالاجماع ، من يعتقد كثير من الجهلة الرعاع انه حقيق بالاقتداء به والائتمام ، ولم يستدل له الا بما فهمه على ما اجمع العلماء فيه على غير فهمه ، ورموا بسهم الاصابة ما اخطاه صائب سهمه ، ولم يقتصر في ذلك على ما اخطأ فيه وجه الدليل ، حتى تعرض بالطعن على كل من صنعه ، او حضره فابصره او سمعه من عالم جليل .

وتبعه على ذلك شرذمة تقل ، مما لا يعقل ! تفرقوا فرقا ، وركبوا من الشذوذ الممقوت طرقا ! وخالطهم في (كذا ولعل الصواب : من) الوسواس ، وفنون الجنون المصدع للناس ، ما لا ينفع فيه الرقا ! .

سبحان الله ، ما اسرعهم باجابة ، لكل معنى قليل النجابة ! وما اصدق المثل فيهم : حمقاء عيابة !

وفي العدد المقبل نوالي ــ بحول الله ــ الحديث عن مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد .

الربـاط ــ محمد ابراهيـم الكتانـي

---

1) كلمتان زدناهما ليستقيم الكلام .





ذات يوم من شتاء عام 1957 لقيت المرحوم محمد سعيد العريان في نقابة المعلمين بالجزيرة ، لقيته صدفة لاول مرة على غير موعد ، فكاننا اصدقاء منذ قرات مقاله الاول ، وكنت يومها اتهيأ لرحلة دراسية الى اسبانيا ، ادرس ادبها هناك ايام ان كانت امة مسلمة ، تتحدث العربية وتدين بالوحدانية ، تشهد « ان لا اله الا الله ، محمد رسول الله » وعرف رحلتي وتبين غايتي منها ، فأمدني بمعارفه وتجاربه ، ووضع امكانياته الادارية في خدمتي ، وكان يشغل يومها على الصعيد الرسمي منصب مدير الشؤون العامة في وزارة التربية والتعليم ، والامين العام لنقابة المعلمين ، وعلى الصعيد الواقعي كان الرجل الثاني في الوزارة والمستشار الامين للوزير .

ناقشني في قضايا الاندلس طويلا ، ادبا وتاريخا ومنهجا ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، وكان رحمه الله من اعلم الناس بالتاريخ الاسلامي ، يشغل به قراءة ودرسا ومشاكل معاصرة من بخارى في روسيا حتى المغرب تتكسر على شواطئه امواج الاطلنطي الهادرة ، ومن اواسط اوربا حيث يعيش مسلمون يتخطفهم العدو من كل جانب ، الى شواطىء افريقيا الغربية حيث يجاور المسلمين اقوام ينتظرون كلمة الله تخرجهم من الظلمات الى النور . لكن حديثه عن الغرب الاسلامي ، اندلسه ومغربه ، كان طافحا بالحب له ، واجلال اهله ، والامل في غد عظيم ترتفع فيه راية الاسلام ، ويلعب المغاربة من جديد دورهم العظيم في دفع حضارته ولغته جنوبا وغربا ، نفس الدور الذي اضطلع به المرابطون من قبل ، والموحدون من بعدهم ، ورجال الصوفية على امتداد تاريخ الاسلام الطويل .

كان ذلك والمغرب حديث عهد بالاستقلال ، والدور الذي اضطلع به محمد الخامس ـ رحمه الله ـ يملا وجدان كل عربي ومسلم بالزهو ، فلم يحدث على امتداد التاريخ الوسيع ـ الا في تاريخنا الاسلامي ـ ان اجتمعت في فرد واحد صفات الملك والقائد والبطل والمحارب والزعيم والمحرر والمناضل والاب كما اجتمعت فيه . وايمانا من سعيد العريان بدور المغرب العربي ، وكان من اعرف مواطني باهله وتاريخه ، وان لم يكن قد وطىء ارضه بعد ، رغب الي في ان اعبر المضيق ، وان ازور المغرب اجول دياره ، واهبط مدنه ، واختلف الى مجالس اهله ، واتردد على مساجده ، واتعرف الى السلف الصالح من علمائه ، واسر الي : « ستجد فيهم اخاء ودودا وكرما حاتميا ، وستنعم بينهم بطيب المقام وحسن اللقاء » وليزيل وحشتي اعطاني اسماء لبعض من صحبه هناك ، اذكر منهم الاستاذ عبد الحي العراقي مدير دار الكتاب العربي في الدار البيضاء . ولم يقدر لي ان اذهب الى المغرب الا في اواخر سني دراستي بمدريد ، وبعد ان ربطتني بعدد من شباب المغرب ، ممن لقيت في اسبانيا ، روابط وطيدة من صداقات كريمة ، فذهبت الى المغرب ، ورايت فيه ومن اهله ، فوق ما تصورت ، وما رسم لي الاستاذ الجليل .

كان سعيد العريان معجبا بمحمد الخامس فوق اعجاب الناس به ، معجبا باسلامه الورع ، وثقافته المضيئة ، واطلاعه الواسع ، وحرصه على ان يسترد المغرب ماضيه الشامخ في شتى مجالات الحياة باسرع ما يستطيع . يومها ـ في نادي المعلمين بالجزيرة ـ افاض فيما يعرف عنه ، قال لي : « ان محمدا الخامس لم ينس وهو يواجه الاستعمار في اعنف

معاركه واخبثها واشدها ضراوة ، الجانب الثقافي من المعركة ، فكان حفاظه الشديد على تراث المغرب الثمين من المخطوطات النادرة ، يحول بينها وبين سلطات الحماية بكل قواه وفطنته ، يداور هؤلاء البهم وراءهم القوة الغاشمة وفي خدمتهم العلم الذكي ، اذ ما حاولوا ان يمدوا اليها ايديهم ليستولوا عليها ، او يسرقوا نفائسها ، او يشوهوا محتواها ، صاح بهم : هذه اوقاف المسلمين ، هم وحدهم يملكونها ، ولهم وحدهم حق التصرف فيها ، وحرص المغربي على دينه لا يعرف الحدود ، وتمسكه بنصوصه لا يعرف الهوادة ، وعمل كهذا يذهب بحلمه، ويجعل من المغرب اتونا ثائرا » ، وبهذا المنطق ابقى للمغرب اثمن واعظم ما يعتز به بلد متحضر وهم ان يقول شيئا ازيد ، ثم احجم ، ولم اطلبه مزيدا ..

وباسرع مما يتوقع اي مناضل احتل المغرب بزعامة محمد الخامس – واقتفى الحسن الثاني سياسة ابيه من بعده – مكانه في القافلة العربية ، مسهما في حل قضاياها والذود عنها ، وتهاوت الحواجز التي اقامها الاستعماريين شرقي العالم الاسلامي وغربيه حاجزا وراء آخر ، وكان سعيد العريان اول من جاء المغرب من رجال الفكر العربي ، ولم يجئه موظفا ينهض بعمل اداري محدد ، وانما جاءه زائرا حاجا ، يرضي حاجة نفسه ، جاءه مستطلعا دارسا ، واستاذا محاضرا ، وفي كل مرة هبط الرباط تلقاه محمد الخامس ، وخرج من عنده اشد ايمانا بالمغرب وغده ، ودوره في نشر راية الاسلام فيما جاوره من افريقيه .

واذا كانت اسبانيا في الطريق الى المغرب كان يتخلف بمدريد في كل مرة قصد فيها الرباط او عاد منها ، يتامل امس العرب هنا بعد ان شاهد حاضرهم هناك ، ويتفضل مشكورا فيسأل عني ، يسأل عني في المعهد الاسلامي ، وكان هناك من يضيق برجل عظيم يسأل عن تلميذ دارس فما سأله مرة الا واجابه : هو خارج مدريد !

ومضت سنون ، وفي صيف 1961 كان سعيد العريان قافلا من الرباط ، بعد رحلة علمية للمركز الدائم للتعريب ، ومعه بعض من صحبه ، وسأل كالعادة واجيب بما اجيب به في كل مرة ، وسمع السؤال والجواب صديق لي دارس ، فهرول الي ينقل كذب المدير ، وقلت له : لا عليك ، فالكذب اهون نقائصه ، وماذا تقول في رجل يصلي بنا العيد ثلاث ركعات فاذا ليم على ذلك لم يستغفر الله ، ولم يخجل من جهله ، وانما راح يكابر ويجادل ويقول على مذهب بشار – ان صح ان يسمى ذلك مذهبا – من يطلب الاثنين يرضى بالثلاثة .

وذهبت الى سعيد العريان في نزله ، وكان لقاء وود ، واشمئزاز من صغائر الكبار ، وتخلص من الموظفين الرسميين كما يحلو له ان يناديهم ، ومضينا ندرع « مجريط » القديمة ، يقف عند كل ركن، وامام كل منحنى ، اشرح له الحاضر ، ويسمع لي ثم يستروح الماضي يحاول ان يصل بين ما درس وما يرى . وصحبته الى طليطلة ، وصلى في مسجد الشمس ، ودمعت عينه في المسجد الجامع وقد حول الى كنيسة ، ونهلت من وافر علمه وهو يرد دوارس الحضارة الاندلسية الى اصولها الاسلامية ، وكان يملك الذاكرة القوية ، تمده بالشاهد والحديث والتاريخ كانما يقرأ في كتاب !

يومها عدنا الى الحديث عن محمد الخامس ، وكنت وهو لا ثالث لنا غير الله ، فكشف لي عن بعض اسراره ، وارجيء نشر اغلبها الى حينه ، قال لي : ان صلتي به – يرحمه الله – قديمة – ، اقدم مما يتصور اي انسان ، وازعم انني واحد من قلة كان يعرفهم في الشرق العربي اذ ذاك ، وعجبت له ، فانا اعلم ان اولى رحلاته الى المغرب كانت عام 1958 ، وان رحلة محمد الخامس الى مصر كانت بعد ذلك التاريخ ، ومضى في حديثه : ذات ليلة من عام 1947 طرق بيتي زائر لا اعرفه ، مغربي في طريقه الى الحج ، قال انه يحمل الي رسالة هامة من سلطان المغرب ، وسرية في الوقت نفسه ، ولكي تؤدى رسالتها كاملة ينبغي الا يعلم بها احد ، وكان فحوى الرسالة ان سلطات الاستعمار في المغرب بدات ازاءموجة التحرر تحاول التمكين لنفسها وتقوي من قبضتها ، تخمد انفاس الفكر ، وتبث الوهن في نفوس الجماهير ، عاملة بكل قواها على فصل المغرب عن ماضيه ، فلا يكون له امس يحتذيه ، فهي تقاوم العربية ، وتمنع دخول

المطبوعات المشرقية ايا كانت ، كتابا او صحيفة او مجلة ، وان السلطان يرغب في ان يعطي ادباء المشرق الوطنيين ، بعض عنايتهم لتراث المغرب فينشرونه محققا ، وحبذا لو اشركوا معهم في العمل بعضا من شباب المغرب وادبائه ، فيكون ذلك مبررا لادخال الكتاب ، وكان على راس ما اوصى به نشر كتاب « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » لعبد الواحد

المراكشي ، وكانت شركة النشر المغربية قد اخرجته بتحقيق الاستاذ محمد القاسي ، ونشر في فاس عام 1938 ، ونفذ الكتاب سريعا ، واستحال اعادة طبعه مرة اخرى ، ومن غير ان يحس احد قمت بتحقيقه ونشره ، واشركت معي صديقي وزميلي المغربي الاستاذ محمد العربي العلمي .

كان اختيارا موفقا من ملك وطني مثقف ، فان « المغرب » زاخر بامجاد المغرب ، ونضال اهله ، وحسبك من تعريف به ما اورده سعيد العريان نفسه ، في مقدمة له ، وهو يدفع به الى القارىء العربي في المشرق مطبوعا محققا للمرة الاولى :

« انه كتاب فريد بين كتب التاريخ في موضوعه وموضوعه الاصيل ـ فيما ارى ـ هو تاريخ دولة الموحدين ، فهو يصف تاريخها وصف عيان ومشاهدة على نحو لم يشارك مؤلفه فيه احد ممن دونوا تاريخ تلك الدولة ، وان القارىء الخبير بألوان التعبير ليتبين روح الصدق في كل ما يرويه المؤلف في كتابه من خبر وما يصف من حادثة وما يرى من راي ايضا ، برغم صواب ذلك الراي او خطئه . وبعض الخطأ في الراي نوع من صدق الراي ! » .

« فهو اذن مرجع اصيل من مراجع التاريخ عن دولة الموحدين لا يمكن ان يستغني عنه باحث في تاريخ تلك الحقبة من تاريخ المغرب ، وهو الى ذلك موجز من روايات شتى عن تاريخ المغرب قبل دولة الموحدين قد ضاعت مصادره فصار بذلك اصلا من اصول تاريخ المغرب قبل دولة الموحدين ، وهو الى هذا وذاك كتاب اديب مغربي لم يكن تدوين التاريخ فنه الاصيل ، ولكنه طلب اليه ـ في غربته ـ ان يصف تاريخ بلاده في كتاب ، فزاوج بين الادب والتاريخ في ذلك الكتاب ! »

ذلك جانب من نواحي العظمة في حياة محمد الخامس ، جانب الملك الحريص على ثقافة شعبه وتراث امته ، لا يغفل عنه حتى وهو في اقسى فترات النضال واشدها . واذا جاز لي على بعد ، ان اقترح من القاهرة شيئا ، فانني اتقدم الى الجامعة التي تحمل اسم محمد الخامس ، ان تقوم على مشروع لاحياء ذخائر التراث المغربي ، يحمل اسم ذلك الملك العظيم ، تحية وتقديرا !

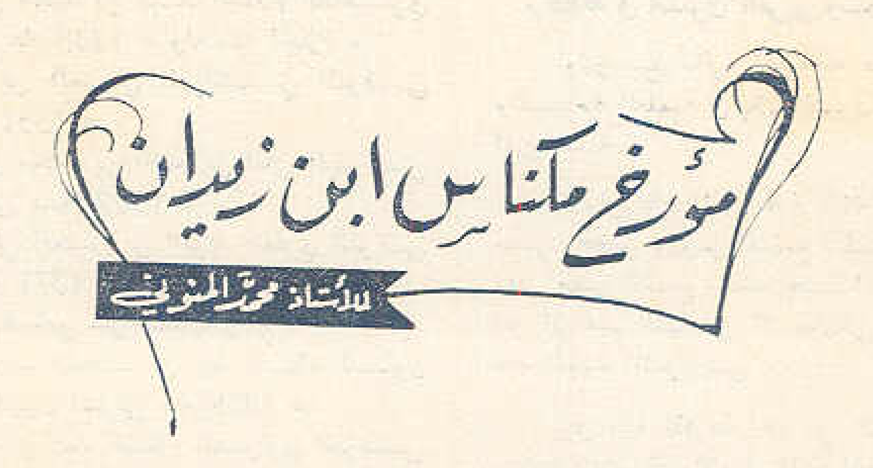
القاهرة ـ دكتور الطاهر احمد مكي

سرعة بديهة

خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان عندما قدمها واليا ، فسقطت العصا من يده ، فتطير من ذلك ، فقام بعض الاعراب ، فمسحها ، وناوله اياها ، وقال : ايها الامير ، ليس الامر كما ظن العدو ، وساء الصديق ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألقت عصاها ، واستقر بها النوى   كما قر عينا بالإياب المسافر

فسر الامير ، وامر له بجائزة ..



تحل يوم 16 نوفمبر من السنة الجارية ذكرى مرور عشرين سنة على وفاة مؤرخ مكناس المرحوم مولاي عبد الرحمان ابن زيدان .

ومجلة « دعوة الحق » لا تدع مثل هذه المناسبة تمر دون أن تهتبلها لاحياء ذكرى عالم جليل ، ومؤرخ فذ طبقت شهرته الآفاق ، لما كان يتمتع به من مكانة علمية نادرة وشهرة ذائعة لم تقف عند المغرب فحسب ، بل كان لها الصدى البعيد خارج الديار المغربية .

ولقد التمسنا بهذه المناسبة من فضيلة الاستاذ المؤرخ الثبت محمد المنوني ان يقدم لنا ترجمة تقديرية للفقيد لقراء « دعوة الحق » . فنزجي الى فضيلته اصدق الشكر واوفاه .

معلومات اولى

غطت شهرة المترجم باسم « الكبير » على اسمه الاول : عبد الرحمان ابن محمد بن عبد الرحمن بن علي العلوي الاسماعيلي ، وكان السيد علي ثالث آباء المترجم هو القادم من تافيلالت الى مكناس . وهو ابن محمد ابن عبد الملك بن زيدان بن السلطان المولى اسماعيل. وقد دخل هذا الوافد الى العاصمة الاسماعيلية اواخر دولة السلطان محمد بن عبد الله الذي قلده نقابة الاشراف العلويين بمكناس وزرهون . وهي الخطة التي تسلسلت في اعقابه حتى المترجم .

وفي مكناس كان مولده في القصر الملكي المعروف بـ « قصر المحنشة » في ربيع الثاني عام 1295 هـ

دراسته بمكناس وفاس

وفي مدينة مكناس نشأ المترجم حيث قرأ القرءان الكريم وبعض المبادىء الاولى على والده وعمه السيد عبد القادر . كما تلقى بها الكثير من الدروس العلمية كما سيفصل

اولا بالضريح الاسماعيلي على استاذي هذا المركز :

1 ـ محمد بن عبد الهادي الفيلالي ثم المكناسي .
2 ـ الطيب بن العناية بنونة المتوفى عام 1325 هـ

ثانيا ـ على علماء مكناس وهم :

3 ـ محمد القصري العبدري المتوفى عام 1324هـ
4 ـ الحاج المعطي بن محمد بن عبد الهادي ابن عبود المتوفى عام 1330 هـ
5 ـ الوزير السابق الحاج المختار بن باشا فاس السيد عبد الله ابن احماد السوسي المتوفى عام 1335 هـ واجازه .
6 ـ القاضي التهامي بن عبد القادر السوسي المدعو الحداد المتوفى عام 1336 هـ واجازه .

7 ـ القاضي محمد بن عبد السلام الطاهري المتوفى عام 1339 هـ وله منه اجازة .

8 ـ محمد بن الحسين العرائشي المتوفى عام 1351 هـ .

9 ـ القاضي محمد بن احمد بن المكي السوسي المتوفى عام 1369 هـ .

10 ـ ابو علي الحسن بن اليزيد العلوي المتوفى عام 1371 هـ

ثالثا ـ في فاس على علمائها وهم :

11 ـ محمد ـ فتحا ـ بن عبد السلام كنون دعي كنيون المتوفى عام 1328 هـ

12 ـ محمد بن عبد السلام الهواري المتوفى عام 1328 هـ

13 ـ محمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري المتوفى عام 1331 هـ واجازه

14 ـ عبد السلام بن محمد اللجائي المتوفى عام 1332 هـ

15 ـ العباس بن احمد التازي المتوفى عام 1337 هـ

16 ـ ابو عيسى المهدي بن محمد العمراني الوزاني المتوفى عام 1342 هـ

17 ـ ابو العباس احمد بن محمد ابن الخياط الزكاري المتوفى عام 1343 هـ وله منه اجازة

18 ـ الفاطمي بن محمد بن حمادي الشرادي المتوفى عام 1344 هـ وله منه اجازة

19 ـ محمد بن جعفر الكتاني المتوفى عام 1345 هـ ، واجازه

20 ـ ابو العباس احمد بن المامون البلغيثي المتوفى عام 1348 هـ

21 ـ الحاج عبد الكريم بن العربي بنيس المتوفى عام 1350 هـ واجازه

22 ـ شيخ المجلس العلمي بفاس ابو العباس احمد بن الجيلاني الامغاري المتوفى عام 1352 هـ

23 ـ ابو العباس احمد بن الحاج العياشي سكيرج المتوفى عام 1363 هـ

24 ـ شيخ المجلس العلمي بفاس مولاي عبد الله ابن ادريس العلوي الفضيلي المتوفى عام 1363 هـ .

وقد انهى دراسته بفاس اواخر العهد العزيزي عام 1325 هـ .

رحلاته في الشرق العربي وشمال افريقية وفرنسة

ولتوسيع دائرة معلوماته قام برحلتين للحج والسياحة العلمية في بلاد الشرق العربي وشمال افريقية :

الاولى عام 1331 هـ / 1913 م . وقد زار فيها مصر وحضر دروس الشيخ سليم البشري وروى عن مفتي مصر الشيخ محمد بخيت المطيعي والشيخ محمد ابن ابراهيم الحميدي السمالوطي المصري . والشيخ عبد المجيد الشرنوبي .

وفي مكة المكرمة اخذ عن الشيخ عبد الحميد سلامة الدسوقي الاصل المكي الهجرة والاستيطان، والشيخ عبد الستار الصديقي الهندي ثم المكي .

كما اخذ في المدينة المنورة عن الشهاب احمد بن اسماعيل البرزنجي ، والشيخ محمد حمدان الونيسي القسنطيني ثم المدني ، والشيخ محمد الهاشمي المدعو الفا هاشم السوداني .

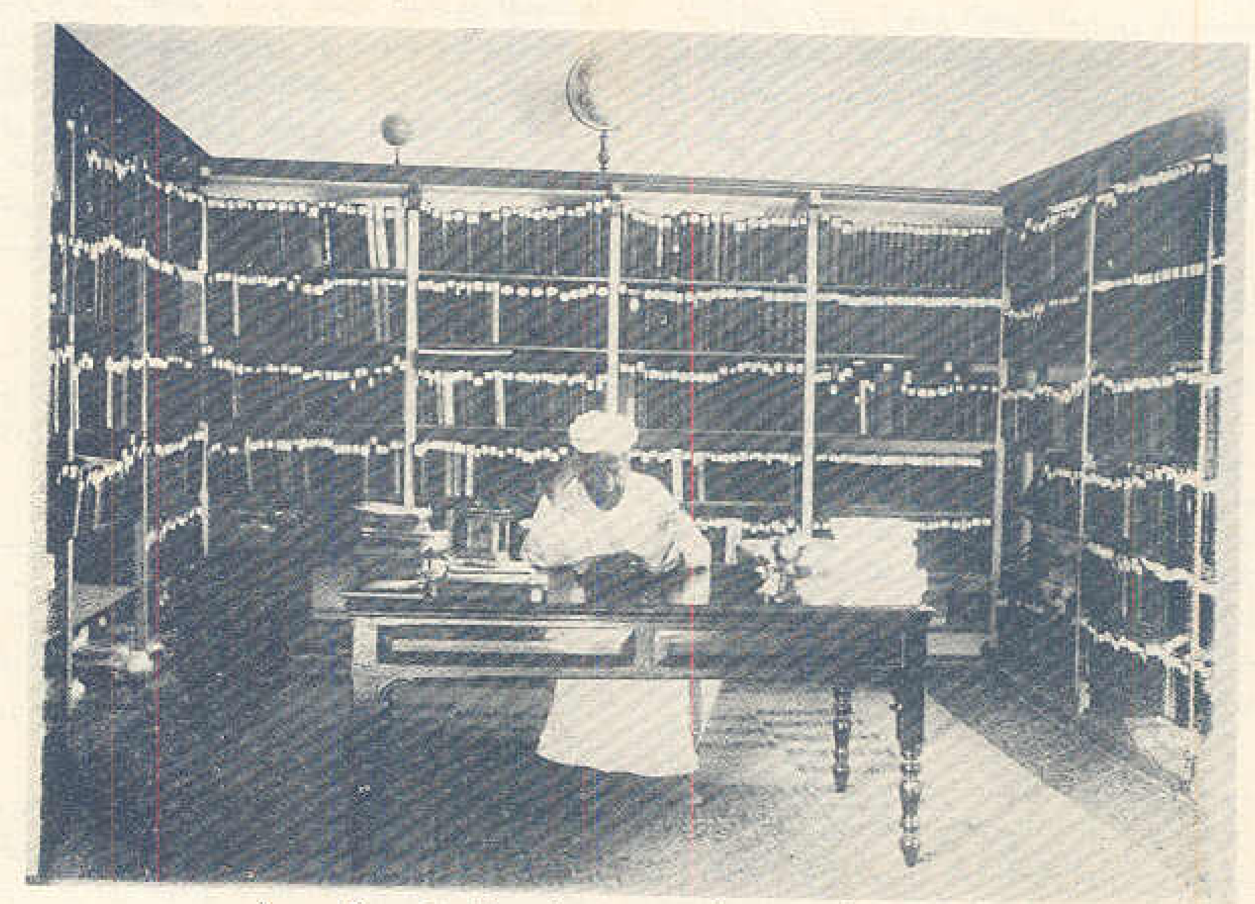
وروى في دمشق عن محمد بدر الدين بن يوسف الحسيني المشهور بالمغربي شيخ دار الحديث بدمشق ، والشيخ محمد امين افندي السفرجلاني، وعبد الباقي بن علي الانصاري .

وفي بيروت عن الشيخ يوسف النباهي .

وفي عودته من هذه الرحلة مر على تونس فاتصل بشيخ الاسلام بتونس محمد بن يوسف مفتي الحنفية. وكذا بالمفتي المالكي بالقيروان محمد الجودي . وقد تبادل الرواية مع الزائر المغربي ، واتصل ايضا بقاضي القيروان المالكي محمد العلاني وروى عنه .

وفي الجزائر اتصل في العاصمة بالشيخ عبد القادر المجاوي .

ثم في عام 1357 هـ / 1938 م قام برحلة ثانية للشرق ساح فيها من الحجاز وبلاد الكنانة وسورية ، وكان محل اكبار من الخاص والعام ، وممن اتصل به في هذه الوجهة ملك الحجاز الراحل عبد العزيز ءال سعود ، وملك مصر السابق ، ورئيس جمهورية سورية ، ومن الاعلام عدد كبير : منهم الشيخ راغب الطباخ مؤرخ حلب ، والشيخ عبدروس العلوي الحضرمي ثم المكي محدث الحجاز . والعلامة المحدث الشيخ عمر عمدان المحرسي التونسي ثم المدني . هذا الى عدد كبير من اقطاب الادب والسياسة .



المرحوم مولاي عبد الرحمن بن زيدان وهو يظهر في الصورة معتكفا – كدأبه – على قراءة الكتب والتآليف

كذلك قام برحلة الى فرنسة استغرقت 55 يوما زار فيها مئاثر فرنسة ومكاتبها ودور المخطوطات بها.

معلوماته ومكانته :

وبعد هذا نذكر ان المترجم صرف اكثر اتجاهه للتاريخ ، فاعتكف على دراسة تاريخ مسقط راسه « مكناس » وتاريخ الدولة العلوية . مضيفا لذلك اشتغاله ببعض العلوم الاخرى وقرض الشعر .

وفي خصوص التاريخ لانرى بدا من ان نسجل هنا باكبار واعظام ما كان للمترجم من الاهتمام الكامل بهذه المادة التي انقطع لها وقضى حياته في خدمتها ، فلا تراه الا باحثا او مؤلفا أو مذاكرا في موضوع تاريخي ، ذلك دابه في اكثر احواله : ليلا ونهارا سفرا واقامة ، لا يلهيه عن عمله دنيا ولا جاه ، ولا يانف في سبيله من المفاوضة مع اي كان ، شأن الباحث المخلص، والمؤلف المنصف ، وقد داب على خطته هذه الى ان لقي ربه تاركا وراءه مكانة علمية وشهرة ذائعة . وتآليف مهمة تتجاوز العشرين ، وخزانة ضخمة .

ولقد عرضت على المترجم المناصب المهمة الدارة فتجافى عنها ، ولم يرض منها الا وظيفة مدير عربي للمدرسة الحربية بمكناس ، هذه الوظيفة التي لاتشغله عن اداء رسالته التاريخية . كما تولى نقابة الاشراف العلويين بمكناس وزرهون ، فاقامها على أتم ما عرف عن هذه الخطة .

وجنى المترجم من اخلاصه وتفانيه في اتجاهه التاريخي شهرة فائقة ، ومكانة سامية ، فحاز بين الاوساط التاريخية لقب مؤرخ مكناس والعائلة المالكة .

وقد شارك في عدة مؤتمرات علمية ، ومنها المؤتمر الذي انعقد بمعهد الدروس العليا بالرباط عام 1343 – 1925 ، حيث القى فيه مسامرة في مباديء

التاريخ ، ثم المؤتمر الثامن للمعهد المذكور المنعقد بفاس يوم الخميس 20 من ذي القعدة عام 1351 ــ 1933 ، وفي هذا المؤتمر الاخير القى مسامرة رتبها على فصلين احدهما فى نظام الدولة داخل القصر وخارجه ، والثاني فى الآثار العلمية والفنية للملوك العلويين بفاس . وشارك فى مؤتمر الثقافة العربية بتونس .

كما احرز على جائزة المغرب للادب العربي مكافاة له على تاريخه « الاتحاف » الذي صدرت منه خمسة اجزاء اذ ذاك ، وذلك بتاريخ الخميس 9 شوال عام 1355 ــ 24 دجنبر سنة 1936 .

وللتنويه بهذا التاليف ايضا اقيم على شرف المترجم حفلة تكريم نظمتها نخبة من شباب المغرب المتعلم بالبيضاء تخليدا لعمله المجيد بابرازه لمؤلفه « الاتحاف » المطبوع منه اذ ذاك ثلاثة اجزاء ، وكان ذلك الاحتفال يوم 12 من ذي القعدة عام 1349 ــ 12 ابريل سنة 1931

وبعد « الاتحاف » ينال مؤلف ءاخر للمترجم تنويها ملكيا وذلك هو « الدرر الفاخرة ، بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة » الذي تكرم جلالة سلطان المغرب الراحل سيدي محمد الخامس رحمه الله تعالى فطبعه على النفقة الملكية الخاصة .

وان مكانة المترجم العلمية لم تقف عند المغرب، وانما كان لها مقامها المرموق خارج المغرب ايضا ، ومن يريد الدليل على هذا فما عليه الا ان يتصفح « السجل الذهبي » للمكتبة الزيدانية فانه يجده طافحا باسماء العظماء والعلماء مسلمين وغيرهم من الجهات القاصية والدانية فى المغرب والشرق من الذين زاروا المكتبة الزيدانية وصاحبها

ومن يريد دليلا ثانيا على ذلك فليتذكر ما له من مكاتبات واتصالات مع ملوك الاسلام امثال جلالة ملك المغرب المعظم سيدي محمد الخامس وجلالة والده المنعم ، والمولى عبد الحفيظ وملك الحجاز المرحوم عبد العزيز ءال سعود ، وملك مصر المغفور له فؤاد الاول ، وسمو باي المملكة التونسية

هذا الى ما كان له من مراسلات علمية مع اعلام الشرق والغرب امثال احمد تيمور باشا المؤرخ البحاثة المصري الشهير ، والشيخ الامام طنطاوي جرهري صاحب التفسير العظيم ، والاستاذ الجليل محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، والشيخ راغب الطباخ مؤرخ حلب وعضو المجمع العلمي العربي ، وامير البيان شكيب ارسلان ، والاستاذ مارسي مدير مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وسوى هؤلاء وسواهم كثير .

المكتبة الزيدانية :

اما خزانة المترجم فهي ــ لحد الآن ــ لاتزال قائمة ناطقة بضخامتها وكبر همة مؤسسها ، ولا اذهب بعيدا اذا قلت انها ــ فيما يرجع للتاريخ العلوي وتاريخ مكناس ــ الاولى من نوعها ، لما اشتملت عليه من الغرائب والنفائس فى هذه المواضيع ، ففيها ما لا يوجد فى غيرها من مراجع التاريخ العلوي ، وفيها مجموعات كثيرة ونادرة من ظهائر مختلف الملوك العلويين ، وفيها الكثير الطيب من مؤلفات اعلام مكناس ، هذا زيادة على مخطوطاتها العديدة فى الادب ومختلف العلوم الاخرى ، وعلى ما بها من مصاحف وكتب حديثة فائقة التنميق ، ومؤلفات كثيرة مكتوبة بخطوط مؤلفيها .

دع عنك المجموعات العظيمة من الكتب المطبوعة بالعربية وغير العربية مثل تاريخ دوكاستري وغيره .
ومما يزيد فى رونق هذه المكتبة اعتناء مؤسسها بتسفير دفاترها بحيث يقل ان ترى فيها كتابا لايكسوه سفر جميل .

مؤلفاته :

للمترجم موضوعات عديدة فى التاريخ وغيره، وهذا ما وقفت عليه منها :

1 ــ « اتحاف اعلام الناس ، بجمال اخبار حاضرة مكناس » ، وهو مرتب على مقدمة واربعة مطالب :

المقدمة : فى مباديء فن التاريخ ، ج 1 ص 7 ــ 20

المطلب الاول : فى اختطاط مدينة مكناس واطوارها التاريخية ، ج 1 ص 20 ــ 231 .
المطلب الثاني : فى نعوتها والامداح التي قيلت فيها ، ج 1 ص 231 ــ 261 .

المطلب الثالث : فى تراجم رجالها الذين اضاف لهم رجال مدينة زرهون ، وقد بلغ عدد التراجم فى خصوص القسم المطبوع 553 ترجمة ، وباقيها لايزال ضمن القسم المخطوط .

المطلب الرابع : فى حوادث خاصة وقعت بها وفي الحرف والصنائع القائمة بها : 75 ــ واخلاق اهلها

وعاداتهم ، وهذا المطلب يقع – ايضا – ضمن القسم المخطوط .

وقع الفراغ من جمعه في فاتح عام 1345 هـ ومن تنقيحه وتهذيبه في 8 ربيع النبوي عام 1349 هـ.

يخرج في نحو ثمانية اجزاء ، طبع منها خمسة اجزاء بالمطبعة الوطنية بالرباط :

الاول عام 1347 هـ / 1929 م ، في 470 ص .

الثاني : عام 1348 هـ / 1930 م ، في 549 ص .

الثالث : عام 1349 هـ / 1931 م ، في 599 ص.

الرابع عام 1350 هـ / 1932 م ، في 523 ص .

الخامس : عام 1352 هـ / 1933 م ، في 563 ص، عدى المقدمات والفهارس بالنسبة لسائر الاجزاء .

ويقف هذا القسم المطبوع اثناء حرف القاف على ترتيب الهجاء المغربي حيث يبقى في القسم المخطوط بقية حرف القاف ، مع حروف السين المهملة ، والشين المعجمة ، والهاء ، والواو ، ولام الالف ، والياء ، ثم المطلب الرابع الختامي .

وقد ذيل كل جزء من الاجزاء الخمسة المطبوعة بفهارس متعددة :

الاولى : للتراجم ، والثانية للاعلام التاريخية ، والثالثة : للاعلام الجغرافية ، والرابعة : للاعلام الجنسية ، والخامسة : للوثائق لتاريخية – وهذه في خصوص الجزاين الاول والثاني – والسادسة للكتب ، والسابعة : للصور ، وهذا زيادة على جداول الخطا والصواب .

وكان الذي اشرف على تصحيحه ووضع فهارسه هو العلامة الجليل الثبت المتمكن سيدي عبد الكريم ابن الحسني الحسني ، الذي صدر الجزء الاول بمقدمة عن تواريخ المغرب ، وقد اثارت هذه المقدمة اعجاب امير البيان ، المرحوم شكيب ارسلان ، فاثبت قطعة مهمة منها في كلمة كتبها عن « اتحاف اعلام الناس » ، ونشرها في « كوكب الشرق » ، عدد الاربعاء 13 قعدة عام 1349 هـ .

اما منهج المترجم في هذا الكتاب ، فانه يضيف الى تقليده لاسلوب كتاب التراجم والحوادث ، بضعة تجديدات ترجع الى ثلاث ميزات :

الاولى : اثبات نصوص الوثائق التاريخية من ظهائر وما اليها ، وبهذا احفظ من الضياع الشيء الكثير من الظهائر والرسائل والرسوم العدلية والنقوش الاثرية .

الثانية : انه يوضح بالكثير من الصور الفوتوغرافية للوثائق المهمة وبعض الاعلام والاثار الواردة بالكتاب .

الثالثة : الاستعانة بالترجمة من المصادر الاجنبية .

2 – وثاني مؤلفات المترجم المطبوعة هو « الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة » طبع بالرباط عام 1356 – 1937 في 226 ص عدى التقاريظ والفهارس ، ويوجد بهذا الكتاب معلومات جديدة عن الجغرافي المغربي اشهبون احد الاعضاء الاولين للبعثات المغربية ، وقد رسم به لوحات عديدة تمثل تخطيطات اشهبون في الجغرافية والفلك . كما اثبت فيه معلومات مهمة عن بداية تاسيس نظام القرويين ايام السلطان المرحوم المولى يوسف ثم عن تاسيسه اوائل العهد المحمدي الزاهر . وبه ايضا معلومات عن بعض حوادث مكناس في العهد المحمدي .

3 – «العلائق السياسية للدولة العلوية » نشر في ملحق لمجلة المغرب العدد 16 شوال 1352 يناير 1934 في 25 ص .

اما بقية مؤلفات المترجم في التاريخ فلا يزال اكثرها لم ينشر بعد حتى تتسنى دراستها وفيما يلي اسماؤها :

4 – « المناهج السوية في مآثر ملوك الدولة العلوية » في مجلدين ضخمين ، الفه ليدرس في القسم العالي بجامعة القرويين ، استجابة لرغبة المجلس الاعلى للتعليم الاسلامي ، الذي عين لجنة من مؤرخي المغرب لتاليف كتب تاريخية تدرس في مختلف اقسام جامعة القرويين ، والعهد بهذا المؤلف ان المترجم قدمه للقصر الملكي ليطبع .

5 – النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية في مجلد ، القي اصله تباعا بمحطة الاذاعة العربية بالرباط .

6 – العز والصوله في نظام الدولة ، شرح فيه باسهاب انظمة الدولة العلوية استنادا للوثائق المثبوتة في هذا الكتاب ، يقع في مجلد كبير ، وكمكافاة لمؤلفه

قررت ادارة المعارف سابقا طبعه على نفقتها ، ولحد الان لم يقع نشر الكتاب ، ثم نشر منه الجزآن الاول والثاني في المطبعة الملكية بالرباط ، بتحقيق الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور .

7 — العقود الزبرجدية اسم تاليف مطول وضعه في تاريخ رحلة جلالة السلطان سيدي محمد الخامس في بعض انحاء المغرب عام 1360 = 1941 ، وتوسيع فيه في تاريخ سجلماسة ، يخرج في مجلد كبير .

8 — العلائق السياسية بين الدولة العلوية والدول الاجنبية ، يقع في نحو ثلاثة اسفار ، ونشرت بعض خلاصاته بمجلة المغرب التي كانت تصدر بالرباط .

9 — المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف ، في مجلد منه نسخة في الخزانة العامة ج 595 .

10 — جني الازهار ونور الابصار في روض الدواوين المعطار ، تناول فيه قصة جيش عبيد البخاري الذي اسسه السلطان مولاي اسماعيل .

11 — المؤلفون على عهد الدولة العلوية ، يخرج في مجلد .

12 — مسامرة في مبادىء التاريخ وهي التي القاها بمعهد الدروس العليا بالرباط عام 1343 = 1925 .

13 — محاضرة الاكياس بملخص تاريخ مكناس القاها بمكناس عام 1340 = 1922 ، ونشرت في جريدة السعادة .

14 — مولاي اسماعيل والاميرة دوكانتي ، عنوان محاضرة القيت بمحطة الاذاعة العربية بالرباط عام 1355 = 1936 ، ثم نشرت بجريدة السعادة عدد 4381 السنة 33 السبت 9 رجب 1355 = 26 شتنبر 1936 ، فند فيها خطبة السلطان مولاي اسماعيل لبنت ملك فرنسا لعيده لويز الرابع عشر .

15 — رحلة للحجاز ومصر والشام عام 1357 — 1358 ، وهناك احاديث عنها للمترجم في ستة اعداد من جريدة السعادة عام 1357 = 1938

16 — فهرسة شيوخه وهي صغيرة مسامرة في حياة الوزير الحميدي القاها بالمؤتمر العلمي بتونس . ذلك ما علمته الان من موضوعات المترجم في التاريخ ، اما مؤلفاته في موضوعات اخرى فهي :

17 — النور اللائح بمولود الرسول الخاتم الفاتح طبع بتونس عام 1330 = 1912 مذيلا بقصيدتين للمترجم والجميع يقع في 56ص عدى التقاريظ .

18 — قراضة العقيان في تحقيق استمرار افراد من الكهانة لاخر الزمان ، طبع بالمطبعة الجمالية بمصر عام 1332 = 1914 في 24 ص عدى التقاريظ

19 — اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي جمع فيه امداح ادباء المغرب المرفوعة للسلطان المقفور له مولاي يوسف — شعر — طبع بفاس عام 1342 = 1924 بمطبعة المكينة المخزنية في جزأين الاول في 296 ص والثاني في 236ص .

20 — محاضرة في الاخلاق ، القاها بنادي المسامرة لقدماء التلاميذ بفاس ومكناس طبعت بفاس بالمطبعة الجديدة عام 1351 = 1933 في 46 ص عدى التقاريظ .

21 — تبيين وجوه الاختلال في مستند اعلان العدلية بثبوت رؤية الهلال ، رد فيه على ما جاء في اعلان وزير العدلية عن عيد الفطر عام 1363 = 1944 ، طبع بالمطبعة المهدية بتطوان عام 1365 = 1946 في 141 ص عدى التقاريظ .

ومما لم يطبع من هذا القسم .

22 — «تغيير الاسعار على من عاب الاشعار» اورد فيه على حروف المعجم ما وقف عليه مما قيل من الاشعار في مدح الرسول صلوات الله تعالى عليه وآله وسلم من زمن النبوة الى عصر المؤلف ، وختم كل حرف بما له من شعر في المديح النبوي على ذلك الحرف يقع في عدة مجلدات ، وهو مرتب على اربع حدائق

23 — ديوان شعري حوى الكثير من المديح النبوي .

24 — « اوضح المجاز لمن استجاز واجاز » تناول فيه موضوع الاجازة والمجيز والمستجاز وشروط ذلك، فرغ منه عام 1350هـ في نحو ثلاثة كراريس .

25 ـ « ارشاد المستفيد لما للائمة من التفصيل في طبقات اهل التقليد » فرغ من تاليفه عام 1334 هـ.

26 ـ كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج اسم قصيدة همزية في المديح النبوي طبعت بتونس بذيل مولد النور اللائح المتقدم الذكر ، كما طبعت بالمطبعة الحجرية الفاسية ، وقد شرحها صديق المؤلف العلامة الاديب السيد الفالي بن المكي السنتيسي بشرح سماه « هدية المنهاج في شرح كفاية المحتاج » في سفرين محفوظين بالمكتبة الزيدانية .

27 ـ بغية المستهام ، قصيدة في المديح النبوي على قافية الميم عارض بها قصيدة البردة للبوصيري ، وشرحها صديق المؤلف العلامة الجليل القاضي محمد بن احمد العلوي الاسماعيلي ، بشرح سماه نيل المرام لبغية المستهام ، في سفرين محفوظين بالمكتبة الزيدانية .

وفاتـه :

واخيرا نذكر ان وفاته كانت ظهر يوم السبت 21 من ذي الحجة متم عام 1365 الموافق 16 نونبر 1946 ، وشيعت جنازته في محفل عظيم مشى فيه اهل مكناس ورجال الوزارة المغربية على راسهم صاحب السمو الملكي ولي العهد اذ ذاك جلالة الحسن الثاني ، الى ان اقبر بمرقده الاخير داخل الضريح الاسماعيلي في الركن يمين الداخل ، وكان المصاب بموته عظيما والخطب جسيما روح الله تعالى روحه في اعالي الجنان .

تذييل :

هذا : وسنذيل هذه الترجمة بفقرات من كلمة القاها الاستاذ الكبير السيد الحاج احمد بناني في تابين المترجم ، وهي منشورة في جريدة العلم :

تفقه المولى عبد الرحمن منذ حداثة سنه ، فلم يكتف بان يكون فقيها كسائر الفقهاء .. بل اتجه منذ بدايته اتجاها خاصا ، فرحل ونقب ، وجمع وبحث، ونسخ ونشر ، فكان منه مؤرخا ممتازا ، رفع المنار لبلدته ، وشيد بذكر عائلته الشريفة ، واعلا من شأن وطنه ، فأضاف بذلك مجد العلم الى مجد الشرف ، وما احسن العلم والشرف اذا اجتمعا ، الا ان لكل نعمة حسودا ، فقد قال الناس عنه انه جماع لا مؤرخ ، وان يد الغير في مؤلفاته اكثر من يده .

اما قولهم انه جماع فجهل وتضليل وحسد ، ان هؤلاء الحساد يوهمون ان في استطاعة المؤرخ المغربي ان يخرج اهم من يومه تاريخا مغربيا على الاسلوب الجديد المتبع عند الامم الناهضة ، وما دروا ان هذا النوع الجديد من التاريخ لا يتيسر ، ولا يقدر اي مؤرخ بلغ ما بلغ من التبحر والتفوق ان يؤلفه الا اذا توفرت لديه معلومات واسعة متنوعة ، واين للمؤرخ المغربي ذلك ؟ ان مواد التاريخ المغربي لا تزال مدفونة في الخزائن الخاصة ، وفي دور المحفوظات الاوربية ، كما انها مبعثرة في الكنانيش والرسائل الخاصة وغير ذلك ، وهذا ما تفطن له المولى عبد الرحمن ، فقام بتنقيبه القيم ، فجمع من النفائس والذخائر ما لم يتيسر جمعه لاحد قبله ، ولهذا فلسنا مبالغين اذا قلنا ان كتابه سيبقى معلمة مغربية ، يرجع اليها كل عالم ، وكل اديب ، وكل باحث في تاريخ المغرب ورجاله ، لا يعادل كتب الفقيد في نفاستها وقيمتها الا اصول تاريخ المغرب لدى كاستر .

وان عملا واسعا متشعبا مثل عمل فقيدنا لا يتيسر لاي مخلوق ان يقوم به وحده ، اذ لابد فيه من ناسخ ومتصفح ومقابل ومترجم وما الى ذلك ، وهل تظن ان اولائك الفطاحل من العلماء الاوربيين الطائري الصيت اصحاب المعلمات وهذا النوع من التاليف ، لا يستعينون بكاتب بل بكتاب وكاتبات ؟

ولعمري ما الذي منع هؤلاء المؤرخين ، بل هؤلاء العظماء المجهولين ، الذين يدعون ان لهم نصيبا وافرا في مؤلفات مؤرخنا من العمل لانفسهم ؟ اين مؤلفاتهم ، اين ابحاثهم ، اين تواريخهم التي تؤيد ما يزعمونه ؟ انهم

يقولون اقوالا ولا يعلمونها
فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

الرباط ـ محمد المنوني

المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور

للأستاذ محمد حجي

الف احمد بن القاضي كتاب « المنتقى المقصور » في اواخر القرن الهجري العاشر (السادس عشر) بعد ان خلصه المنصور الذهبي من الاسر باذلا في فدائه 20.000 اوقية من الذهب (ما ينيف عن مائة كيلو ذهب) . وكان القراصنة الاسبان قد اسروا ابن القاضي في جماعة من الحجاج بعد ان ابتعدوا قليلا عن الشواطيء المغربية في البحر الابيض المتوسط . وظل هذا المؤرخ في محنته عند المسيحيين احد عشر شهرا (1) عانى خلالها شدة عظيمة وبلاء كثيرا . وقد صور لنا ما كان يعامل به النصارى اسراهم المسلمين من التجويع والاعراء والضرب والتكليف بما لا يطاق ، مدفوعين بالتعصب الديني الاعمى ، وبالرغبة في الحصول على الفداء والثراء (2) فالكتاب اذن عبارة عن رد التحية والاعتراف بالجميل لعاهل كريم . وهو لذلك طافح بالمدح والتقديس للمنصور ، يصوره وكأنه ملك من الملائكة الاطهار ، او نبي من الانبياء المعصومين . غير ان القاريء الحاذق يستطيع ان يقرأ الكتاب بحذر واناة متصيدا ما به من الفوائد التاريخية والاجتماعية والادبية ، معرضا عما لا يعنيه من عبارات طنانة ومبالغات مكشوفة . اذ لا تخفى اهمية هذا التأليف باعتباره معاصرا للدولة السعدية ، يتحدث صاحبه عن حوادث عاشها ، واشياء شهدها او سمع احداثها عن قرب . ثم ان اسم الكتاب يذكرنا بتاليف آخر في نفس الموضوع ظهر قبله ببضع سنوات ، وهو : « الممدود والمقصور ، من سنا ابي العباس المنصور » للكاتب المبدع محمد بن عيسى التاملي الذي اصابه غضب الخليفة فاختفى في غياهب السجن والقبر ، واختفى معه الى الابد كتابه القيم . وكأن ابن القاضي ابى الا ان يعوض مخدومه عن ذلك « بالمنتقى المقصور » .

اما اسلوب الكتاب فسلس منطلق لا تكلف فيه ولا سجع الا ما دعت الحاجة اليه عند الوصف او الدعاء ... وقد ركز المؤلف كل كلامه حول المنصور عدا الباب الرابع والعشرين ، فقد سمح فيه لنفسه بالتحدث عمن لقي في اسفاره من المشايخ والعلماء ، والخاتمة التي ملأها بافاداته وانشاداته . على انه في الابواب الاخرى لم يلتزم الموضوعات التي توحي بها عناوينها التزاما . فكثيرا ما يستطرد وينساق مع الاشباه والنظائر عن قصد . واشار الى ذلك في خطبة الكتاب بقوله : « واذكر اثناء ذلك كله بعض قصائد ومقطعات انشدتها ، وفوائد وحكايات استفدتها ، وملحا ونوادر استحسنتها ، ونكتا غريبة انتقيتها ، وطرفا عجيبة تلقيتها ، يصغي اليها المنتهي والبادي ، والعاكف في ربع الادب والشادي ، ليكون ذلك كالمعين على مطالعة الكتاب ، لان النظر في فن واحد قد ترغب عنه النفوس ، بخلاف ما اذا نسق بغيره فقد يسلي العبوس (3) » .

محاولات نشر الكتاب :

بدا الحديث في الايام الاخيرة يروج حول ضرورة طبع « المنتقى المقصور » . وكم كانت دهشتي عظيمة حينما علمت من بعض المهتمين بهذا الشان انهم يظنون ان

1) اسر ابن القاضي في 24 شعبان 994 / 1586 ، واطلق سراحه في رجب 995 / 1587 .

2) انظر « المنتقى المقصور » ، مخطوطة مراكش بالخزانة العامة بالرباط ، ص 58 وما بعدها ، والزاوية الدلائية . ص 88 .

3) « المنتقى المقصور » ، مخطوطة مراكش . ص : 3

الامر هين مفروغ منه ما دامت هناك مخطوطات متعددة معروفة اليوم لهذا الكتاب ، وكأنهم لا يدركون ما في هذه المخطوطات من اضطراب وبياض وبتر . . . وقد سبق لاصحاب المطبعة الحجرية بفاس ان بدأوا يشتغلون «بالمنتقى» وطبعوا منه فعلا نحو اربعة كراريس ثم توقفوا عن العمل . ولا ندري ما اذا كان ذلك ناتجا عن صعوبات اعترضتهم من نوع ما اشرنا اليه . كما ان محمد بن عثمان الرئيس السابق لكلية ابن يوسف كان يعتزم نشر هذا الكتاب . ونسخة مراكش التي سنتحدث عنها كانت في ملكه ـ قبل ان تصير الى خزانة الكلاوي ـ وقد كتبها كتابة واضحة اعدادا للنشر ، وهيأ الغلاف بالشكل الذي رأى ان يخرج عليه ، مثبتا في اسفله ان حقوق الطبع والترجمة محفوظة له بصفته الناشر . ولعل من حسن الحظ ان لم ير النور هذا المشروع الذي لم يعد اعدادا مناسبا . وكان احد الزملاء في قسم الدراسات العليا بكلية الاداب بالرباط اخذ يعد « المنتقى المقصور » للنشر كرسالة للدبلوم ثم لم يتمكن من الاستمرار في عمله . ان ذلك يعني اني اعارض في نشر هذا الكتاب او احاول التنقيص من اهميته او تثبيط الهمم ، بل بالعكس ارجو صادقا ان يتيسر نشره وسائر ما تزخر به خزائننا العلمية من تراث خالد . لكن ارى من الضروري قبل كل شيء ان يصرف مجهود جدي في التنقيب عن نسخ اخرى منه في بعض خزائن الخاصة او المكتبات العامة بالخارج ، وتبذل العناية اللازمة للمقابلة والتصحيح والتلفيق ، والرجوع الى المظان في الكتب المعاصرة او القريبة من عهد المؤلف للاستعانة بما فيها من اشارات او اعتراضات او نقول، لمحاولة اخراج نسخة كاملة او قريبة من الكمال . فيكفي ما بين ايدينا من مطبوعات تاريخية وغيرها ، سواء على الحجر او الحروف ، يشوهها التحريف والخطأ والنقص ، مما يجعل الاستفادة منها ضئيلة او متعذرة ، ان لم تكن مدعاة لتشويش الافكار وقلب الحقائق .

تصميم الكتاب :

رتب ابن القاضي كتاب « المنتقى المقصور » على مقدمة ، وستة وعشرين بابا (4) ، وخاتمة . تكلم في المقدمة على نسب المنصور وحسبه واخبار والده ووالدته بالخصوص ، وعلى حقيقة الخلافة والعلاقات بين الملك والرعية (5) . وتحدث في الباب الاول عن حسن خلق المنصور ورجاحة عقله وكمال خلقه ، وفي الثاني عن محافظته على التكاليف الشرعية ، وفي الثالث عن عدله وقيامه بالشريعة ، وفي الرابع عن تعظيمه المولد النبوي ، وفي الخامس عن رعايته لاهل العلم ، وفي السادس عن حسن ظنه بالله ، وفي السابع عن نظره في امور رعيته ، وفي الثامن عن حلمه وكرمه ، وفي التاسع عن صبره ومقابلته الاساءة بالاحسان ، وفي العاشر عن شدة حيائه ، وفي الحادي عشر عن بره بوالدته ، وفي الثاني عشر عن مراعاته لاهل ود والده . وفي الثالث عشر عن ايثاره لاهل العلم . وفي الرابع عشر عن العلوم التي يفضلها . وفي الخامس عشر عن تنزه مجالسه عن الغيبة والنميمة . وفي السادس عشر عن اقالته العثرات. وفي السابع عشر عن قبوله المعذرة وعفوه عند المقدرة. وفي الثامن عشر عن قبوله للشفاعات . وفي الثاني والعشرين عن شعره . . . وفي الرابع والعشرين عمن لقي المؤلف في سفره من المشايخ والاخوان . وفي الخامس والعشرين عن اهتمام المنصور بتمهيد الطرق. وفي السادس والعشرين عن عظيم سلطته وعلو همته .

اما الخاتمة فقد خصها بذكر «نكت غريبة ، وطرف بديعة عجيبة » .

اختلاف النسخ :

كنت اثناء كتابتي ترجمة ابن القاضي في « الزاوية الدلائية » وقفت على ثلاث مخطوطات مبتورة من كتاب « المنتقى المقصور » ، اثنتان في قسم الوثائق من الخزانة العامة بالرباط . احداهما مصورة عن مخطوطة المكتبة الزيدانية بمكناس ـ وهي احسنها واوفاها ـ والثانية

4) لم يحدث ابن القاضي في خطبة الكتاب عدد الابواب ، وانما رجحنا ذلك اعتمادا على الارقام الاخيرة الواردة في المخطوطة المصورة عن الخزانة الزيدانية بمكناس .

5) نرى ان هذا محتوى المقدمة في ثلاث مخطوطات . وان المخطوطة الرابعة لا تشتمل مقدمتها الا على نسب الخليفة ، ويبقى ذكر بعض ما يتعلق بالخلافة الى الخاتمة .

تحمل رقم 764 وهي عتيقة. اما الثالثة ففي خزانة القصر الملكي بالرباط. (6) ثم وقفت بعد ذلك على مخطوطة رابعة في جملة الكتب التي حجزت من خزانة الكلاوي بمراكش، وهي وان كانت واضحة الخط، فانها لا تقل عن اخواتها تحريفا وبياضا وحذفا ... وقد تبين من مقابلة هذه النسخ وتلفيق ما فيها ان هناك اربعة ابواب مفقودة، واختلافا كثيرا متنوعا في كلمات العناوين. وترتيب الابواب. ومحتوى المقدمة والخاتمة، وزيادة او نقصان بعض الصفحات او السطور في عدة مواضع، وتقديما وتاخيرا، بل حتى خطبة الكتاب ليست موحدة في جميع النسخ. والغريب انها تختلف عند ذكر برنامج الكتاب لتطبق ذلك الاختلاف في مواضعه. وهكذا نص في خطبة ثلاث مخطوطات على ان المقدمة تشتمل على نسب المنصور وحقيقة الخلافة وحقوق الملك والرعية، وفي الخاتمة نكت غريبة. وهذا ما نجده فعلا في مقدمة هذه النسخ وخاتمتها. بينما قصرت خطبة المخطوطة الرابعة المقدمة على نسب المنصور تاركة مسالة الخلافة وما معها الى الخاتمة، وذلك ما نجده ايضا في اول الكتاب واخره! فمن غير ذلك يا ترى؟ اهو المؤلف بعد ان اعاد النظر في الترتيب والتهذيب؟ ام هو تصرف – الى هذا الحد – من بعض النساخ او المختصرين؟ اننا لم نر احدا ممن ترجم لابن القاضي اشار الى انه اختصر او زاد في «المنتقى»، او ان احدا غيره قام بذلك. ومهما يكن من امر، فالمسالة ما تزال بحاجة الى مزيد من البحث والاستقصاء والتامل. وسأورد هنا مجمل ما في المخطوطات الاربع من اتفاق واختلاف، دون ان اتعرض للجزئيات المتعلقة باختلاف الكلمات والعبارات والفقر داخل النص مما لا محل له هنا:

اولا: تتفق مخطوطات الرباط الثلاث في محتوى المقدمة والخاتمة، فتجعل في المقدمة زيادة على نسب المنصور وحسبه خمسة فصول. الاول في الخلافة وحقيقتها وآراء الفقهاء المختلفة فيها، والثاني في فضل الامامة. والثالث في وجوب طاعة الامام. والرابع في اداب الرعية مع الملك. والخامس فيما يجب على الملك للرعية. وتترك للخاتمة ذكر بعض النكت والطرف. في حين تجعل مخطوطة مراكش المقدمة مقتصرة على نسب الخليفة، ولا تاتي من الفصول الخمسة الا بفصلين في الخاتمة.

ثانيا: تتفق المخطوطات الاربع في الابواب الخمسة الاولى ترتيبا ومحتوى الا ما كان من اضافة كلمات او تغيير سجعات في بعض العناوين.

ثالثا: تتفق مخطوطات الرباط الثلاث في الابواب التسعة التالية، غير ان المخطوطة المصورة منها تمتاز بزيادة نحو ثلاث صفحات اخر الباب السابع، بقيت بيضاء في الاخرى. وينقص مخطوطة مراكش البابان السادس والثاني عشر.

رابعا: الابواب الخامس عشر، والسادس عشر والسابع عشر. توجد في كل من المخطوطة المصورة ومخطوطة القصر الملكي. غير ان هذه الاخيرة تسمي الاول من هذه الابواب: الرابع عشر – مكرر – وترقم التاليين له بالخامس عشر والسادس عشر. وهذا تحريف واضح من الناسخ في ترتيب الابواب. وينقص مخطوطة مراكش الباب السادس عشر، وفيها الباب السابع تحت رقم 18.

اما المخطوطة رقم 764 فتقف في الباب الخامس عشر، وليس فيها بعده الا الخاتمة.

خامسا: تختص المخطوطة المصورة بالباب الثامن عشر، وبعده بياض يعقبه الباب الثاني والعشرون. ويفتقد الثالث والعشرون ثم تتناسق الابواب الباقية من الرابع والعشرين حتى السادس والعشرين. اما مخطوطتا القصر الملكي ومراكش فليس فيهما من هذه الابواب الا الاخيران. وهما تحت رقمي 17 و 18 في مخطوطتي القصر، ورقمي 19 و 20 في مخطوطة مراكش.

يتلخص منها ان المخطوطة المصورة تمتاز عن الاخريات بزيادة ثلاثة ابواب، لا توجد في غيرها. وهي الثامن عشر، والثاني والعشرون. والرابع والعشرون. ومع ذلك يظل الكتاب مبتورا تنقصه اربعة ابواب: التاسع عشر، والعشرون، والواحد والعشرون والثالث والعشرون.

نماذج من محتويات الكتاب:

بالرغم من كون حياة المنصور الذهبي تناولها كل

---

6) انظر كتاب «الزاوية الدلائية» ص: 90. هامش رقم 60.

من ابن القاضي في « المنتقى المقصور » ، والفشتالي في الجزء المعثور عليه من مناهل الصفا ، بنفس الاتجاه والتصميم والطريقة تقريبا ، واطلاع المؤلفين معا على نفس المعلومات والاحداث بحكم المعاصرة والاتصال بالبلاط ، فان محتوى كتاب كل منهما ينفرد باشياء لا توجد في الاخر . لذلك تلفي في « المنتقى » ـ مثلا ـ مزيدا من الدقة في وصف بعض الجوانب من الحفلات والهبات ، والمجالس الخاصة والعامة ، واخبار بعض رجال الدولة ومهامهم وتصرفاتهم والعلاقة بين الحكام والمحكومين مما يجعل هذا الكتاب لا يمكن ان يسد غيره مسده . وهكذا تجد في مقدمة « المنتقى » نص وثيقة الوقف المشتمل على عقارات كثيرة وقفتها ام المنصور عودة بنت احمد الوزكيتي على المسجد الذي اسسته بباب دكالة من مراكش . وفيها انها وقفت «جميع السبعين حانوتا غير نصف حانوت الواجب لها ذلك في نصفها من القيسارية المشتركة بينها وبين مساكين المارستان المخترعة لها وسط سوق الحضرة المراكشية ، دون البقعة المتصلة بها ، وجميع الارحى الجديدة المخترعة لها على وادي تسلطنت القريب من ارحى اولاد الامين محمد بن قاسم القسطالي واولاد التاجر عبد الله الجاربي المشتمل بينها على اربع مدارات مع جميع داره المبنية له ، وجميع العين الكبرى التي تملكتها من ورثة احمد بن ربوح الكائنة بالمخالص خارج باب تاغزوت مع جميع ارضها وجناتها ومائها ما عدا الحظ الواجب لاولاد الصالح السيد ابي عمر القسطلي فيها بجميع منافع ذلك كله ومرافقه وحقوقه الداخلة فيه والخارجة عنه . يصرف خراجها ومستفادها في مصالح الجامع المذكور من مرتب ائمته وفقهائه ومؤذنيه وقرائه والقيمين بسائر وظائفه وسدنته . . »(7).

وتجد في الباب الربع وصف مهرجان ليلة المولد النبوي بحضرة الخليفة ، وما يقرأ فيها على التوالي من اي القرآن الكريم ، وكلام ابن عباد ، وقصائد المدح ومقطعات الشعر الملحنة بالانغام، ثم قيام الشعراء لانشاد قصائدهم بين يدي المنصور حسب مراتبهم ، ومد سفرات الاطعمة والحلويات . ويفيدنا ابن القاضي ـ تاريخيا ـ ان عادة احياء ليلة المولد بالقراءة والانشاد كانت قد انقطعت من المغرب منذ عهد المرينيين الى ان احياها المنصور . وعندما يتحدث عن اجازة المنصور الشعراء في اخر الحفل يحدد المبالغ التي كانوا يعطونها ، وهي تتراوح ما بين 300 و 5 000 اوقية . (اي من كيلو ونصف الى خمسة وعشرين كيلو ذهبا)

وعندما يتحدث ابن القاضي عن اهتمام المنصور بالعدل وانصاف الرعية يقدم لنا تفصيلات هامة عن مجالسه العادية للنظر في المظالم ، فيذكر انه كان «اذا صلى الجمعة تارة يجلس بمقصورة المسجد ، وتارة عند ضريح والده ، وتارة بقبته الخمسينية التي شادها في البديع للشكاية فتعرض عليه في تلك المواضع حكاية القضايا ، وترفع اليه الشكايا ، فيقضي فيها بعدله . . . وربما يعرض عليه شيء منها في ايام الديوان : السبت والاثنين ، والاربعاء . بل لا بد ان يعرض عليه منها في كل يوم . . . ويعين في كل سنة من يتفقد احوال رعيته ، ومن ينهي امرها لحضرته . ويأخذ العهد من خواصه وجلاسه على مثل هذه الامور الا يخفوا عنه شيا جل او قل ، كبر او صغر . وقد يتولى بعض هذا بنفسه فيركب ويشق حضرة مراكش ليفحص في ركوبه عن احوال رعيته ويتوصل كل الى شكايته . ولقد شاهدت ذلك منه مرارا . . . ويامر بالنداء في البلدان برفع الظلامات اليه ويحرص على ذلك . . . » ثم يقدم اسماء بعض العلماء والكتاب والوزراء الذين كانوا محل ثقة الخليفة ليتولوا عنه النظر في شؤون المظالم ، مثل المفتي عبد الواحد الحسني ، وقاضي الجماعة قاسم الشاطبي ، والفقيه علي ابن سليمان التاملي ، والكاتب عبد العزيز الفشتالي والشاعر ابي عبد الله بن عمر ، والقائد ابراهيم السفياني . . .

وبعد ، فهذه نظرة خاطفة على كتاب « المنتقى المقصور » احد المصادر الاساسية لتاريخ بلادنا في فترة « ذهبية » لامعة ، نرجو ان يكرس الباحثون جهودهم لاكمال ما به من نقص واصلاح ما به من تحريف واختلاف لاخراجه للناس في حلة زاهية مشرقة .

الرباط ــ محمد حجي

7) انظر النص الكامل لوثيقة الوقف في « المنتقى المقصور » مخطوطة مراكش . ص، 13 ـ 17 .

الشيخ عبد الرحيم المغربي 521/592

للأستاذ : سعيد اعراب

بهذا اللقب كان يعرف في الشرق ، وعرف في بلده بالاسد ، واشتهر اخيرا بالغنائي ، وهو شخصية مغمورة في تاريخ المغرب ، لا تكاد تذكره كتب التراجم والسير . شخصية غريبة في سلوكها ، نادرة في سيرتها واخلاقها ، فذة في علومها ومعارفها .. انها الرحمة المهداة الى بلاد الصعيد ـ كما يقول الحافظ ابن المنذري ، ذلك هو الشيخ ابو محمد عبد الرحيم ابن احمد بن حجون بن محمد بن حمزة بن جعفر بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن جعفر الصادق ، بن محمد الفاخر بن علي بن زين العابدين بن الحسين السبط ، يتصل نسبه بالشرفاء الحسنيين ، والصقليون بفاس من ابناء عمومتهم ، انتقلوا من سبتة على عهد المرينيين ، ويعرف فريق منهم ببني حمزة ، اصلهم من دمشق ، استوطنوا سبتة قديما ، ومنهم بنو حجون الذين رحلوا الى البادية، وسكنوا ترغة احدى قرى غمارة ، على بعد نحو 60 كيلو متر من تطوان ، ويعرفون الى الان باولاد حكون، والجاري على الالسن احكان . ومما ينسب لبعض هوءلاء الحسنيين :

عتبت على الدنيا وقلت الى متى
اكابد حرثا همه ليس ينجلي

اكل شريف من علي نجاره
حرام عليه اليسر غير محلل

فقالت نعم يا ابن الحسين فانني
غضبت عليكم حين طلقني علي

وفي قرية ترغة هذه ولد السيد عبد الرحيم سنة 521، ولذا يقال في نسبته الترغي السبتي ، وربما قيل الغماري

هذا نسبه الابوي الزكي ، الذي انجب الشيخ عبد الرحيم،اما نسبه من حيث خوءولته فامه سكينة بنت احمد بن حمزة الحراني ، ينتهي نسبها الى جعفر الصادق بن محمد الباقر ، حفيد الحسين السبط ، فبنو حمزة وبنو حجون ، يلتقيان في اقرب جد اليهما ، فهما ـ معا ـ شرفاء حسنيون ـ كما اسلفنا ـ وكلاهما كان بيت علم وفضل ودين ، فابو العباس والد المترجم كان عالما فاضلا ، وفقيها نبيها ، بل كان من كبار علماء المغرب ، الا ان البادية اضاعته ، واضاعت علمه ، ولا بد انه درس على شيوخ سبتة وغيرها من مدن المغرب والاندلس، لكن المصادر التي بين ايدينا لا تحدثنا في هذا الصدد بشيء ، وكل ما نعرف انه كان امام مسجد ترغة ، والشان ان يكون خطيبها ، والامام الذي يرجع اليه اهل البلد في شوءونهم الدينية والدنيوية .

وكانت غمارة في هذا العصر تابعة لسبتة ، وتعتبر احدى عمالاتها ، ولذا نجد اكثر اهلها يرحلون الى سبتة لاتمام دراستهم ، واخذهم عن علمائها ومشايخها ، وقلما يتجهون الى سواها ، وقد استوطنها جملة وافرة منهم وظهر فيهم علماء فطاحل ، وفقهاء نابهون ، ويكفي ان نعرف ان الشيخ ابا عمرو اسحاق بن ابراهيم الغماري كان قاضي سبتة لهذا العهد ، تنقل قاضيا في عدة جهات من المغرب والاندلس ، كفاس وجيان وسواهما ، وكان حافظ المذهب ، يستظهر المدونة ، فقد في وقعة العقاب

عام 609 ، عني ابو العباس بولده الصغير ، ورباه تربية دينية ، واحاطه بسياج من الفضيلة والاخلاق ، ويقال انه سماه « اسدا » تفاؤلا ان يكون من اسود الله ، يكافح عن دينه ، ويذب عن حوزته .

وبهذا الاسم كان معروفا في اول امره ، ثم سمى نفسه عبد الرحيم ، قال : لما فتح الله علي عاينت كرامة الله علي ، ورايت وصف الرحمة ، وشاهدت الطاف المولى ـ سميت نفسي عبد الرحيم ، طمعا فيما عاينت) وكانت له اخت اختير لها من الاسماء (شعثة) ولعل ذلك لحديث : (رب اشعث اغبر لو اقسم على الله لابره)

كل ذلك يدلنا على ان اسرة الطفل كانت تعيش على جانب كبير من الخشونة والنسك والتعبد ، وقرية ترغة هذه مشهورة بعلمائها الكثيرين ، ففي شاطئها يرقد العدد العديد من العباد الزاهدين ، والاولياء العارفين كالشيخ الاكبر عبد الرحمان الزيات ، شيخ ابن مشيش ، والعارف الاشهر ابي العباس الغزال وسواهما .

ادخل ابو العباس ولده الكتاب ـ ولم يرزق ولدا ذكرا سواه ـ فحفظ القران الكريم ، وشدا بعض العلوم والفنون ، وهكذا تهيا للناشيء الصغير بيئة صالحة تعده لمكان مرموق في العلم والصلاح ، وكانت تطغى عليه منذ نشاته ـ نفحة صوفية ، تجعله يبتعد عن الصبيان ، ولا يلهو مع اللاهين ، وكان لسان حاله يقول :

« قد رشحوك لامر لو فطنت له
فاربا بنفسك ان ترعى مع الهمل »

وكان ابو العباس حريصا على ان يرسل ولده الناشيء الى بيت اخواله بسبتة ، لاتمام دراسته ، وانهاء تعليمه العالي ، الذي كان يتجلى في الاجازات العلمية ، التي يحرز عليها الطلاب المتفوقون من اساتذتهم النابهين ، الا ان المنية عاجلت الشيخ الوالد قبل ان تتحقق منه هذه الامنية ، والصبي بعد حدث ، لم يتجاوز سنه السادسة عشرة ، ولكن الفتى عرف طريقه ، فتسلل بين شعاب الجبل ، والتحق بمدينة سبتة ، ونزل ببيت اخواله بني حمزة ، ولم يكن غريبا عن هذا البلد ، فقد تردد اليه غير مرة صحفة والديه ، ولم تزل احاديث والده الشيخ عالقة بذهنه ، وكانت تهز نفسه ، وتدفعه الى الاخذ والتلقي عن المشايخ الشهيرين

وكانت سبتة انذاك مدينة علم وفكر وادب ، تضج اعلاما كبارا في كل فن ، امثال القاضي عياض في التفسير وعلوم الحديث ، حتى لقد قال القائل :

« مشارق انوار تبدت بسبتة
ومن عجب كون المشارق في الغرب»

وكابي عبد الله بن هشام اللخمي في العربية وعلوم اللغة ، ومن اليهما من الشيوخ العديدين الذين كانت تطفح بهم مدارس سبتة وكان للشيخ ابي عبد الله بن عيسى ـ صدى بعيد في الاوساط الثقافية بالمغرب والاندلس ، وكان امام عصره في سائر العلوم ، انتهت اليه الرياسة في الفقه ، تخرج عليه فقهاء سبتة ، وكان لتلاميذه الحظوة الكبرى لدى الدولة ، ما منهم احد الاقدم للقضاء والشورى ، ولم يكن في قطر من الاقطار ـ بعد يحيى الليثي ـ من حمل عنه الناس اكثر منه

وكانت تاتيه الاسئلة من القاضي بن حمدين بقرطبة ، والقاضي بن شبريل باشبيلية ، والقاضي بن ملجوم بفاس ، وكان حلالا للمشكلات . ومن حسن حظ الفتى عبد الرحيم ان يرى الى جانبه في اكثر حلقات الدروس طبقة واعية من طلبة سبتة ، يزاحمونه بمناكب قوية ، فينافسهم وينافسونه من امثال ابي العباس السبتي ، وابن الصبر الفهري ، وابي علي الصواف ، وابي عبد الله بن حماد الصنهاجي وسواهم

ولم يكن التلميذ القروي من التلاميذ العادين ، بل كان على سمت حسن ، وذكاء عجيب ، مما لفت اليه انظار اشياخه ، وحببه الى اساتذته ، وقد ظهر نبوغه مبكرا ، فحفظ اكثر العلوم والفنون ، ولم يكد ينتهي العقد الثاني من عمره (20) حتى كان اماما مقدما في سائر العلوم ، وخصوصا منها علوم الحديث والتفسير ، فقد رزق فيهما فهما عجيبا ، وسرا غريبا ، قال ابن بادبس في سينيته :

« وللمغربي عبد الرحيم مواهب
من الفهم للقران جلت عن الحدس
وفاضت من السر المصون بحوزه

....

جلس للتدريس بجوامع سبتة ، وكانت تختلف الى حلقاته المشايخ والروءوس .

وعلى الجملة فقد اخذ محل الصدارة بين شيوخ عصره ـ على حداثة سنه ، فكان اماما وواعظا ، وخطيبا ومدرسا بالجامع الاعظم بسبتة ، وكان لا يرتقي الى كرسي هذا الجامع ـ الا الشيوخ المحنكون ، ثم مال الى التصوف ، وملك عليه شغاف قلبه ، وكان يقضي جل وقته في محاريب الله ، قال السيد عبد الرحيم ـ وهو يتحدث عن نفسه ـ : فتح الله علي ، وانا ابن عشرين سنة او دونها ، وكنت رايت في المنام كاني صعدت منارا عاليا الى اعلاها ، فاستوفيت منها ، فنزلت فوجدت في اسفلها عين ماء ، قال والرؤيا صفة حال .

ثم التاريخ لا يذكر بعد ذلك شيئا عن شبابه وشيوخه، ومقدار العلوم التي حصلها ، ولا بد انه زار الاندلس، واخذ عن اعلام علمائها ، وقلما نجد من شيوخ سبتة من لم يرحل الى الاندلس ويكترع من مناهلها ، وكانت سبتة في هذا الوقت بالذات مهبط صوفية الاندلس ، وملتقى الحركات الفكرية ، والنزعات الفلسفية ، ومن اقطاب التصوف لهذا العهد ـ ابو زيد القرطبي ، وابو الربيع المالقي ، وابو العباس بن العريف الطنجي ، وابو مدين القطياني ، وابو اسحاق ابراهيم بن طريف، وكان ابو يعزى يمثل مدرسة قائمة بذاتها في جنوب المغرب .

وقد اتصل السيد عبد الرحيم بجملة وافرة من شيوخ التصوف فاخذ عن ابي النجاة سالم الجيلي دفين بجاية واقام في خدمته مدة ، وكان شيخا زاهدا ، متخليا عن الدنيا ، منقطعا الى الله ، ثم اتصل بابي محمد عبد الرزاق الجزولي ، وجدد له العهد ، ولعل ذلك بعد وفاة شيخه ابي سالم

وقال في الطالع السعيد : انه من اصحاب ابي يعزى، ولم يذكره ابو القاسم الصومعي في جملة اصحابه ، والتاريخ لا يبعد لقياه به . ولقي الشيخ ابا مدين واخذ عنه . قال سمعته يقول : (اوقفني ربي عز وجل بين يديه، وقال يا شعيب ما ذا عن يمينك ؟ فقال يارب عطاؤك ، قال وما ذا عن شمالك ؟ قال يارب قضاؤك . قال يا شعيب: قد ضاعفت لك هذا ، وغفرت لك هذا ...) وكانت بادية شمال المغرب ، تعج بالكثير من العباد المتبتلين ، والاولياء العارفين ، وكانت تمتد على هذا الشاطيء من سبتة الى حدود تلمسان سلسلة من الربط كمعاهد للعلم والتعبد والجهاد ، تخرج منها كثير من الابطال الصناديد وكانوا شجى في حلق العدو ، ثم حدثت احداث ، تدرت صفو الحياة على هؤلاء واولئك ، وامتحن البعض منهم في نحلته ومذهبه ، وكان الشيخ عبد الرحيم من المشهورين بعقيدتهم السلفية ، ومن المتمسكين بمذهب مالك .

كان المغرب يعيش في هذه الفترة ـ حياة الفوضى والاضطراب ، وقد بلغ الصراع اشده بين المرابطين والموحدين، وكانت سبتة هدفا لغارات وهجومات عنيفة، عاشت معها في شبه عزلة مستقلة عن بقية اجزاء المغرب ، تحت زعامة القاضي عياض ، ثم كانت مثار فتن وحروب داخلية ، قضت مضاجع العقلاء من ابنائها ، فرحل الكثير من علمائها ومشايخها ، ونفي منها عياض فيدومها الاكبر، وفي هذه الاثناء مرضت عمارة لحملة تاديبية ، اراق فيها الموحدون دماء كثيرة ، ثم كانت المجزرة البشرية الكبرى ، التي ذهبت ضحيتها ثمانمائة رجل من رؤساء غمارة .

كل هذه عوامل دفعت الشيخ عبد الرحيم الى الخروج من سبتة ، ثم من المغرب نهائيا ، وقد غادر سنة 542 وجاء لتوديعه الكثير من تلامذه ومريديه ، وكان خروجه برسم اداء الحج ، والمحتمل ان سفره كان عن طريق الجزائر ، وقد نزل الاسكندرية ، ومنها واصل طريقه الى مكة المكرمة تحدوه الاشواق المتاججة الى البيت المعمور ، وتدفعه العاطفة الثائرة الى المنبر والروضة والحبيب، وفي احدى الليالي العاطرة الانفاس هبط السيد عبد الرحيم الى مكة ، البلد المبارك الذي طوف به الانبياء ، ونزل الى ساحته الملائكة ، فوجد المكان الذي سكن اليه قلبه ، وهدأ روعه ، وانثالت عليه علوم ومعارف ، وغمرته نفحات لم يكن ليجدها فيما سواه .

ثم قصد المدينة المنورة ، حيث الحبيب ، وجاور بالروضة الشريفة ما شاء الله ، وهكذا جعل يتنقل ما بين الحرمين الشريفين ، مدة سبع سنين او تزيد ، وكان هذا البلد الامين ، مجمع العلماء والمحدثين ، واهل الفتيا والبيان ، فنزل السيد عبد الرحيم بينهم كالقمر بين النجوم ، فالتفوا حوله وجلسوا اليه واستمعوا الى

احاديثه واخذوا عنه في كل العلوم ، وتتلمذ عليه الكثير من المريدين ، وهنا لمع اسم الشيخ المغربي ، والتصق به هذا اللقب ، ولهج الناس به في كل محفل وناد .

ويحدثنا في هذا الصدد احد الذين عاصروه ، وشاهدوا من انوار معرفته ، وهو ابو الوفاء المدني ، فيذكر في كتابه (الاصفياء) صورا من مجالس الشيخ المغربي ، ويتحدث - كشاهد عيان - عن كراماته ومناقبه ، ويعرض علينا كثيرا من احزابه واوراده ، وهي مجموعة من ايات قرآنية تستغرق نحو نصفها ، ثم تتلوها ادعية وصلوات على الرسول الاعظم ، الذي كان لا يحلو للشيخ عبد الرحيم الجلوس الا بجانبه ولا يكاد يفارقه ، ولا يزال يلهج بذكره ، اناء الليل واطراف النهار ، ويذكر الكتاب ان مما كان يدعو به الشيخ المغربي بين ركعتي الفجر وصلاة الغداة وبين الشفع وركعة الوتر - هذا الدعاء : (اللهم ارزقني علم الحياة وحياة العلم ، وامنحني نعيم الحياة وحياة النعيم ، واغمرني بفضل من النور ونور من الفضل ، واعطني قوة الابدان وابدان القوة ، واسالك نعمة الشفا وشفاء النعمة ، واسالك طول العمر والانعام ، واحسن الي يا عظيم الاحسان) .

وهناك في رحاب المسجد النبوي ، التقى بالشيخ المغربي عالم قوص ، السيد مجد الدين القشيري ، فرغب اليه في ان يذهب معه الى بلده ، وقد اعجب بغزارة علمه ، ونور معرفته واسرار حكمته .

وبعد سنة كاملة من هذا اللقاء ، التحق الشيخ عبد الرحيم المغربي بقوص سنة (551) وهناك اسس مدرسته الكبرى ، التي جمعت بين العلم والعمل ، وكانت خير مثال للتصوف السني كما قيل .

ذلك ما نريد ان نتحدث عنه بشيء من التفصيل في العدد المقبل بحول الله

تطوان - سعيد اعراب







NIVIL BORBOUR لنبل برابر

للأستاذ محمد بن تاويت

صدر هذا الكتاب عن دار النشر المعروفة باسم Thames and Hudson (1) وقد عرفت هذه الدار بالمؤلف فقالت على الغلاف « نيل بربر معروف جدا ككاتب ومذيع حول بلاد افريقيا الشمالية والشرق الاوسط ، وكدارس للعربية ، ومساعد سابق لرئيس قسم الشرقيات ، بدار الاذاعة البريطانية B.B.C. ، وكصحفي اهتم بشؤون العالم العربي ، زهاء اربعين سنة ، وان كتابه المسمى Nisi Dominus, A. Survey of the Palestine المنشور سنة 1946 . لمشهود له بكونه مؤلفا عظيم الاهمية فى بابه ، كما أنه مراسل للصحيفة The Economist فى بريطانيا العظمى ، والصحيفة Politique étrangère فى باريز ، والصحيفة Politica Internacional فى مدريد ، والصحيفة The Middle East Journal فى واشنطن » (2)

وقد ذكر لي المؤلف انه عاش بالمغرب عشرين سنة ، ولد له فيها ابن ، وقضى منها ثلاث سنوات مقيما بعقبة الفيران بفاس كما انه عاش بالمشرق عشرين سنة اخرى ، ولد له فيها ابن آخر ، وكانت مصر والعراق ، مسرحا لنشاطه خلال سنوات الحرب العظمى الاولى .

وبهذا فانه يعرف المغرب ، كالمشرق ، معرفة جيدة ، بحيث انه لا يبدي اي عجب او تعجب لما يتحدث اليه عن هذه البلاد بما يقتضي ذلك من غيره ، واذكر اني قلت له ذات يوم ، وكنت ضيفا على مائدته بنادي « اكسفورد كمبرج » اللندني ، فى حديث لي معه : أني درست بالقرويين .. فما زاد على أن علق هذا بقوله : انك اذن علامة .. !! فعلمني هذا التعليق (الانجليزي) ان الرجل محيط بدقائقنا ، مطلع جد الاطلاع على أحوالنا ..

واجتمعنا ثلاث مرات بتطوان ، وسافرنا معا الى الرباط ، كما اجتمعنا مرارا باسبانيا ، فما استطعت فى هذه المرار ، ان أزوده بشيء جديد عن المغرب .

وبالجملة ، فان المؤلف من الكتاب الخبيرين بالمغرب وشؤونه ورجاله ، متثبت فيما يكتب ، معتمد فيه الى اقصى حد وكتابه هذا الذي صدر سنة 1965 ، هو حلقة أخيرة من سلسلة كتاباته عن المغرب ، وقد استرعت قراءتنا له هذه الجزئيات التي سجلناها منه ، وهي كما يلي :

فى الصفحة 14 يذكر ان الاقطار الواقعة جنوبي المغرب ، يمثل أهلها المغاربة اكثر مما يمثلون غيرهم

1) ذكرت هذه الدار ، على ثني الصحيفة المذكورة من الغلاف ، أنها اصدرت وستصدر ، الى جانب كتاب المغرب ، الكتب الآتية : يوغسلافيا ، اندونيسيا ، الهند ، البرازيل ، الفلبين ، الصين ، جزر الهند الغربية ، غانة ، استراليا ، افريقيا الوسطى ، زيلندا الجديدة .
وبهذا نرى انها لم تذكر الكتب المذكورة ، على انها سلسلة صدرت بالفعل كلها ، كما انها لم تجعل مؤلفي هذه الكتب من المستشرقين كلهم ، او بعبارة أن الاسماء التي ذكرتها لهؤلاء المؤلفين ، ليس أصحابها جميعا من رجال الاستشراق ، بل اغلبهم لايعد من الاستشراق فى شيء ، واخيرا فانها اكتفت بذكر هذه الكتب ولم تزد « الخ » .

2) فالمؤلف ليس « بروفيسور » كما نعته بعضهم خطا او غلطا .

وفى الصفحة 18 يذكر ان اللغة الاصلية لجزر كنرياس ، هي البربرية ، وبذلك تكون الجزر قد انفصلت عن المغرب وهي آهلة بسكانها ، او ان المغاربة البربر ، كانوا هم المستعمرين لها .

وفى الصفحة 34 يذكر ان رجال القائد الروماني « بليزريوس » يذكر انهم لما اتوا الشمال الافريقي ، وجدوا اهله يتكلمون اللغة البونية (الفنيقية المتاخرة) وبذلك تكون هذه اللغة الشرقية قد تمكنت من القوم ولم تزحزحها أو تنافسها اللاتينية .

وفى الصفحة 35 يذكر ان بوكوس الاول ، ملك موريطانيا ، كان قد أعان صهره ، زوج بنته ، جوكورثا ، فى حربه للرومان لكنه لما انتهى الى موقفه اليائس ، سلمه الى اعدائه الرومان ، صنيع ما فعل فيما بعد الفي سنة ، المولى عبد الرحمن الذي اعان الامير عبد القادر الجزائري فى حربه للفرنسيين ثم اسلمه اليهم ، لما انتهى الى موقفه اليائس .

ونحن لا نوافق المؤلف فى هذه المقارنة التي يصدق عليها انها « قياس مع وجود الفارق » ... ويكفي ان نقرأ كتاب ابن الامير المذكور (تحفة الزائر) لنرى به أوجه الخلاف ماثلة تمام المثول ، بل ان المؤلف نفسه أشار الى شيء من ملابسات القضية فى نفس الكتاب وبالصفحة 125 — 126 .

وفى الصفحة 39 يذكر ان المسيحية عرفت بالمغرب قبل اعتناق قسطنطين لها ، وهذا يؤيده التاريخ الذي يذكر ان المضطهدين من قبل الرومان ، كانوا يفرون الى اخوانهم بالمغرب ، حيث يامنون على انفسهم وعقيدتهم

وفى الصفحة 40 يذكر ان جستنيان ، لما استرد الشمال الافريقي ، لم يحتل من المغرب الا مدينة سبتة حيث بنى بها الحصون ، كما بنى بها كنيسة العذراء ، فى منتصف القرن السادس ، وهذا يطلعنا على مدى ما كان قد انتهى اليه النفوذ الروماني من ضعف فى المغرب ، وعلى هذا الضعف الذي ورثه القوط فيما ، كان الفتح العربي للمغرب .

وفى الصفحة 50 يسجل ان السنكال ما هم الا صنهاجة ، بل الكلمة نفسها ما هي الا صنهاجي ، مع تحريف بسيط .

وفى الصفحة 51 يذكر ان المرابطين كانوا ، مثل الامويين بقرطبة ، قد اشتاقوا الى نخيل بلادهم ، فجلبوه اليهم وعملوا على غرسه بوطنهم الجديد ، فكانت العاصمة المرابطية مراكش ، يغرس بها النخيل فى كثرة متراصة ، وهي ملاحظة طريفة ولها خطرها .

وفى الصفحة 58 يذكر ان احراق الكتب معهود بالاندلس ، عند المسلمين والمسيحيين على السواء ، وبذلك تكون قضية احراق كتاب الاحياء ، قضية اندلسية تحمس لها فقهاء الاندلس وعلى راسهم قاضي قرطبة ، ابن حمدين ، وحملوا المرابطين عليها ، فتحملوا وزرها دونهم .

وفى الصفحة 59 يذكر ان الملوك المسيحيين ، كانوا يقلدون العملة المرابطية ، وأتى بصور لهذه العملة المقلدة ، حتى بكتابتها العربية ، وهي للفونس الثامن .

وفى الصفحة 75 يذكر ان تاشفين المرابطي ، لما تردى به فرسه ، كان فارا من سبتة ، والمعلوم لنا انه تردى به قرب وهران ، ولا ندري المصدر الذي اعتمد عليه المؤلف فى هذا .

وفى الصفحة 80 يذكر ان الموحدين نشطوا فى استعمال الاسبان والبرتغال فى جيشهم ، وكان ذلك منهم على عهد مبكر ، حيث انهم استعملوا نفس النصارى الذين كانوا تحت قيادة الروبرتير ، الذي قتل وهو قائد بالجيش المرابطي .

وفى الصفحة 83 يذكر ان ابا يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ، اتجه بنفسه سنة 1274 (673) الى برشلونة ليتحالف مع الملك الارغوني ، وان هذا اصحبه فى عودته خمس مائة فارس من المسيحيين .

ونحن لا نعلم ان هذا الملك كان بالاندلس فى ذلك التاريخ ، بل ان اول جواز له الى الاندلس كان فى السنة التالية 674 ، وفى هذا الجواز ما ذكر لهذا الملك توجه الى برشلونة ، ولا فى اي جواز آخر من جوازاته التي تكررت فيما بعد ، نعم : اننا نعلم ان الامير ابا زيان ابنه كان قد جهزه والده واجازه الى الاندلس ، حيث جاهد به وانتهى الى شريش فى السنة التي ذكر المؤلف ، فلعل ابا زيان هذا هو الذي توجه (سرا) الى برشلونة، فخلطت الرواية المسيحية التي اعتمد عليها المؤلف .

وفى الصفحة 84 يذكر ان الانجليز كانوا مهتمين بقيام الدولة المرينية ، وان كتابهم لذلك العصر كتبوا عنهم ، كما يذكر فيها ان عاهلهم يعقوب المذكور كتب الى ملك فرنسا فى التحالف معه ، لقمع الثورة التي ثارها سنة 1282 (681) ابن ملك قشتالة الفونس الثامن ، وقد طلب هذا مساعدة يعقوب فى قمع ثورة ابنه عليه .

وفي الصفحة 85 يذكر ان يعقوب لما بنى المدينة البيضاء (فاس الجديد) وجعل حارة اليهود بازاء تلك المدينة ، اراد بذلك ان يكون (الملاح) تحت حمايته المباشرة .

وفي الصفحة 97 يذكر ان هجومات الاسبان على السواحل المغربية ، بدات قبول سقوط غرناطة بنحو مائتي سنة ، الا انهم كانوا يردون عنها خائبين منهزمين وفي سنة 1400 تمكنوا من النزول قرب تطوان ، حيث تمكنوا منها وقتلوا نصف سكانها واسروا نصفهم الباقي.

وهذه الكارثة اشار اليها صاحب الاستقصا ، نقلا عن معاصره المؤرخ الراهب منويل ، لكنه ذكر أن أهلها جلوا عنها قبل احتلالها ، وذكر هذا كذلك صاحب تاريخ تطوان ، الاستاذ داود ، الا انه نقل عن غيره ان الاسبان اسروا معظم اهل المدينة او من بقي بها ، ولم نر لغير المؤلف من نص على تلك المذبحة التي اتت على نصف سكان تطوان ، ولا بد انه اعتمد في ذلك على وثائق لم نطلع عليها .

وفي الصفحة 103 ذكر ان مولاي عبد الله السعدي ، كان يطلب معونة فرنسا ، ويحاول ان يحصل منها على فرق عسكرية يجلبها .

وفي الصفحة 107 ينقل عن الادريسي أن السكر كان معروفا بالسوس من قديم ، وعلى الاقل في أواسط القرن الثاني عشر .

وفي الصفحة 108 وما بعدها ، يذكر ان المنصور السعدي كان جادا في غزو اسبانيا ، وانه طلب من الزابيث أن ترسل اليه مائة سفينة يعبر عليها جيشه الى جنوب اسبانيا على ان يؤدي عن ذلك 150.000 دوقة بمجرد ما تصل هذه السفن الى الموانىء المغربية ، لكن هذا لم يوافق عليه ، ثم لما راى نفسه عاجزا عن مد سلطانه نحو الشمال حيث اسبانيا ونحو الشرق حيث الاتراك ، اتجه نحو الجنوب ، فكان فتح السودان المعروف .

وفي الصفحة 110 ذكر انه لما احتل الانجليز « والدوتش » مدينة قادس راى هؤلاء الاخيرون أن يسلموا المدينة للمنصور وحصل الاتفاق على هذا ، وعلى ان يرسل الى المنصور سفير في طلب المراكب والرجال والمؤن ، لكن الفكرة الغيت في اليوم التالي .

وفي الصفحة 111 ذكر ان الزابيث كانت تنتظر من المنصور معاونته في فتح أميركا وأخذها من يد الاسبان، لكن المنصور كان راغبا في فتح اسبانيا نفسها ، ومما تجدر ملاحظته ان الوثائق التي نشرنا بعضها نصت على طلب الزابيث من المنصور مشاركتها في فتح الهند ، بدل اميركا ، وهو ما كان معروفا آنذاك غلطا من القوم ، حيث اعتقد الفاتحون الاول أنهم فتحوا الهند ، وما زال هؤلاء الاسبان يسمون سكان اميركا الاصليين ، هنودا.

وفي الصفحة 116 ذكر أن الخضر غيلان كان العدو اللدود لانجلترا ، على حين كان العياشي يوصف للملك جمس بانه الصديق والولي الاعظم ، وهذا الوصف ما وجدناه عند جون هرسون ، في رسائله وتقاريره العديدة التي ترجمناها ، في العددين التاسع والعاشر من « تطوان » .

وفي الصفحة 118 ذكر ان الموريسكوس المهاجرين الى المغرب، طلبوا من فليب الرابع ان يسمح لهم بالعودة الى اسبانيا والمعلوم لنا ان رجال هذا الملك ، كانوا يتصلون بهؤلاء سرا ، ويستدرجونهم للعودة الى اسبانيا ، وهذا ما ذكره هرسون في وثائقه السالفة الذكر .

وفي الصفحة 119 ذكر ان ملوك اوربا كانوا حريصين على اتخاذ الاسرى المغاربة ، عاملين في اساطيلهم ، ولهذا لما طلب من لويس الرابع عشر ان يجري الافتداء بين الفرنسيين والمغاربة ابى ذلك ، حرصا منه على هؤلاء الذين كانوا اقدر من غيرهم على القيام بالاعمال الشاقة .

وفي الصفحة 122 يذكر ان المولى محمد بن عبد الله ومن اتى بعده ، كانوا ميالين للتجديد الوهابي عاملين على تثبيته .

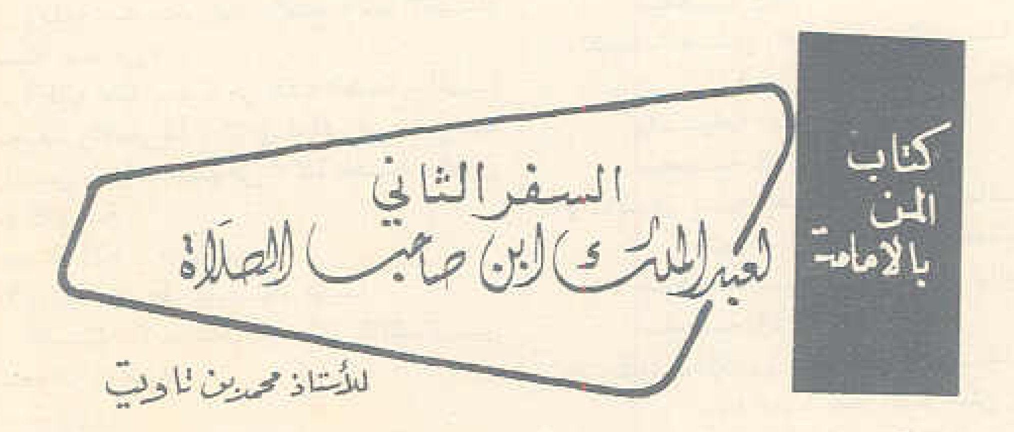
وفي الصفحة 124 ذكر ان يوسف «بونبرط» عرض على المولى سليمان ان يرجع الى المغرب مليلية وسبتة مقابل ان يعترف له بكونه ملكا على اسبانيا ، فابى المولى سليمان ، ولا ندري لهذا الاباء وجها ، الا ان تكون الدبلوماسية الدخيلة عملت فيه ، اذ يكون الخوف من شبح المستقبل الداهم املى عليه ذلك ، وعلى كل حال ، فهي غلطة منه رحمه الله .

وفي الصفحة 125 يذكر ان انجلترا ، تظاهرت للمولى عبد الرحمن بكونها حامية لسيادة المغرب ، بينما كانت هي نفسها تعمل على ان تنال امتيازات خاصة بها في المغرب .

وفي الصفحة 202 لاحظ ان المغرب الآن يلائم بين التقاليد القديمة والحياة العصرية .

وهكذا فالكتاب مفيد لنا في بعض معلوماته ، كما هو مفيد لغيرنا في التعرف على البلاد والاطلاع على ماضيها وحاضرها .

تطوان : **محمد بن تاويت**



وهـذا مرجع آخر من مراجع تاريخنا المغربي، او مصدر كذلك من مصادره ، ظهر للوجـود العام ، بعدما كنا نسمع عنه ونتوق لرؤيته ، نعم : لقد ظهر هذا السفر في أحسن ما يكون الظهور ، وتجلى في جلوة انيقة بديعة ، بفضل ما اظهره به وجلاه ، صديقنا الاستاذ عبد الهادي التازي ، الذي انفق فيه السنين دائبا في عمله ، باحثا في دراسته ، فكان بحق باكورة من بواكير الاعمال المتقنة العلمية التي نرجو لها التقدم والازدهار ، بين دارسينا وبحاثنا .

وان كلية آدابنا ، وقد منحته بهذه الدراسة الممتعة ، درجة امتياز في دبلومه العالي ، لمحقة في هذا التقدير ، وواضعة للاشياء في نصابها ، من العدل والاحسان ، فان عمل صديقنا التازي ليس بهين ، وان ما اضفاه على ذلك من حواش وتعليقات ، ليزيد في عمله وزنا راجحا ، كان به من المفلحين الفائزين .

يعد كتابنا مصدرا هاما في تاريخنا – كما قلنا – وكنت من قبل بخمس عشرة سنة ، قلت لصديقي المنوني : « اني لاجد اختلافا بينا في اسلوب ابن عذارى خصوصا في جزئه الثالث ، الذي بدا بالموحدين وانتهى ببداية المرينيين ، فهذه النهاية او النهايات لتختلف اختلافا صارخا في اسلوبها عن باقي الكتاب » . واذا بابن صاحب الصلاة ، يدلي باسلوبه – حتى في المواطن التي لم يعلن عنه – ومن الدلالات على ذلك ، ما اتى به الاستاذ التازي ، مقارنا بين نصوص الكتاب ، وبين ما ورد منه في عدة مدونات، منها مدونة ابن عذارى . . فابن القطان في نظمه ، وابن الابار في حلتـه وتكملته، وابن عبد الملك في ذيله وتكملته ، والجزنائي في زهـرة آسه ، وابن ابي زرع في انيسـه ، وابـن الخطيب في احاطته ، والمقري في نفحـه ، وصاحب الحلل الموشية، جميعهم نقلوا من الكتاب الا يكن بالنص – كما فعل ابن عذارى – فبالاحالة عليه ، والاعتماد على ما ذكر في تاريخ الموحدين .

ومن المؤسف ان الكتاب ، لايعرف منه حتى الآن الا هذا الجزء ، من اجزائه الثلاثة ، والا نسخة واحدة من هذا الجزء بالذات ، ولا شك ان الاستاذ التازي لاقى عناء شديدا في تخريجها ، ولولا رجوعه الى تلك النقول عنه ، والى تلك الايماءات المقتضبة اليه ، لما كان عمله هذا يتم بتلك الصورة التي وصفنا آنفا . .

ومع هذا المجهود الشاق ، فان السفر ما تزال فيه فجوات ، يحس الاستاذ التازي – كما نحس – بضرورة سدها ، ولكن كيف ومتى ؟ ذلك موكول بالصدف ، نعم : الصدف التي لا يحسب حسابها، ولكنها تفاجيء مفاجاتها السارة ، بظهور كنوزها بعد الخفـاء .

ومن الملاحظات القيمة ، التي لاحظها المحقق، ما ورد في التعليق (7) من الصفحة 453 . وهي أن ابن صاحب الصلاة (لم يعبأ بشعر الجراوي) ، وهـذه ملاحظة على ايجازها ، تشير الى التعصب الذي كان في ابن صاحب الصلاة ، فهو لم يعبأ بالجراوي وحده من ادباء المغرب ، بل لم يعبأ بأحد منهم ، واقتصر على ادباء وشعراء الاندلس ، فذكر ما قالوه من شعر في مناسبات شتى ، وبدون أن يبخسهم في شيء ، ولم يذكر لابن حبوس الفاسي الا بيتا واحـدا من قصيد وصفه غيره بأنـه حسن .

وعلى كل حال ، فالمهم من هذا السفر انه يفيدنا افادة تفصيلية عن تلك الحوادث التي اتصلت بفترة من فترات العهد الموحدي اي منذ سنة 554 الى سنة 569 . وكانت في الواقع فترة حافلة ومهمة في توطيد دعائم هذه الدولة العظيمة . يتخلل ذلك كله ، وقفات منه خاصة ، كالتي وقفها عند التعريف ببعض الرجال،

او بعض المعاهد ، كوقفته باشبيلية عند بناء جامعها الاعظم ، او وقفته عند بناء رباط الفتح ، مما لانكاد نظفر بتفاصيله عند غيره .

واخيرا فانه مما يسرنا من هذه الطبعة ، انها قليلة التصحيف والتحريف ، الا في اماكن من نصوصها الادبية ، والشعر منها بالخصوص ، كما نجد ذلك في الصفحات الآتية :

صفحة 121 (بالهامش)

يطالع الاسد اختط البناء بها
لكنك الاسد الداي الاظافير

والصواب بطالع

صفحة 132

تتسنى لاهل الحق نيل مرادهم
وطاب لهم فيما يرومونه الورد

وصوبه تسنى

صفحة 158

تعوو عليه ذكاء وهي قد نهيت
فتجد اناة من سنى المقل

ضبط ذكاء بالفتح ، وصوابه ذكاء بالضم علما للشمس

صفحة 164

اتتك تشكر ما اوليت من نعم
(تعم) وانما ارج النوار للسحب

ولا محل لتعم التي اختل بها التوازن

صفحة 160

اذا ام ارضا للنزول تنوعت
منابتها مسكا لمن هو ناشق

وصوابه تضوعت

صفحة 166

له سيمة ترتاح للبذل والندى
وكف لتفليق الجماجم وامق

وصوابه شيمة .

صفحة 210

يغنى ويفنى راضيا او ساطيا
ويفي ببذل مواهب ونوائب

وصوابه يقني .

صفحة 241

ترك المهاد ليسرج اجرد سابح
وصفا عليه سرده الموضون

وصوابه ليسرج .

صفحة 242

خذن التقي وسليل انوار الهدى
ادته عن خير الظهور بطون

وصوابه خدن .

صفحة 243

ولكنها عين اليقين بانها
قد اوقدت بك للهدى مصباحها

والصواب اسقاط الواو .

صفحة 248

وسايل به تخبرك عن عزماته
سوائل من ماء الحديد رواكد

ضبط تخبرك بالتشديد والصواب عدمه .

صفحة 253

خذوا بحظكم يا اهل اندلس
منها فما لقاو بها من بعدها رشد

والصواب – كما يبدو – فليس لقاو بعدها رشد ، أو اسقاط « منها » فيستقيم الوزن .

صفحة 256

ودونكم من قوافي في مدحكم حبرا
تبلى الليالي وهن الغضة الجرد

والصواب اسقاط « في » والجدد بدل الجرد.

صفحة 257

همام اذا هم نال مراده
ولو انه امسى على قمة النسر

والصواب اذا ما هم .

صفحة 260

وضحت بانوار الهدى قماته
وبانت الهدى القويم سماته

والصواب وابانت .

صفحة 261

كثرت فضائله فكاثرت الحصى
عدا وقد فلت سنواته

والصواب – كما يبدو – وقد قلت به سنواته.

يلهيه روض والقنا دوحاته
والبيض زهر والدماء شقراته

والصواب قصر الدماء .

صفحة 262

سيف بكفك مصلت تسطو به
ماضي الشبا لا تتقي نثواته

ضبط مصلت بالتشديد ، والصواب عدمه .

صفحة 268

عسى الجود يحظيه بصهوة صافن
يشق على ذى السبق شق غباره

والصواب صافن ، بدل صافس .

صفحة 284

سيقضي حاجها الرب الذي لم

يدع من بحاجة الا قضاها

والصواب من حاجة

صفحة 288

فكان الاقطار عنكم تحيى

بنسيم الرياض بعد القطار

والصواب « القطار » جمع قطر .

صفحة 289

وعفا على البعاد فانا

قد اخذنا للبعد منه بثار

هكذا اورد الشطر الاول وفيه اخلال بالوزن والمعنى .

صفحة 325

بلجت بكن حجج الكتاب المنزل

ونصرتم نصر النبي المرسل

والصواب « بكم » .

صفحة 328

هنئت مولانا ابا يعقوب بما

خولت من فتح اغر محجل

والصواب « ما » بدل بما .

صفحة 330

وجرى ملك السعادة بالتي

جثمت على كسرى وفلت قيصرا

والصواب وجرى لها ملك .

سلطان وضاح الجبين متوج

وتقى تقي الجنب اشعث اغبرا

والصواب – كما يبدو – بتقي ، وفي سلطان منع ما يصرف .

لامام عدل بالعبادة ناشىء

لم يصب قد عقدت يداه المئزرا

والصواب « مذ » بدل قد ، وهو تعبير مطروق في الكتابة .

فاجل الظلام بنور غرته التي

فضحت اشعتها الصباح الانورا

والصواب – كما يبدو – يجلو .

صفحة 331

تلفي لها اثرا بكل تنوفة

وترى لها في كل افق عثيرا

والصواب « عثيرا » .

صفحة 335

هبني نبت تبتني أوطاني لبعدكم

افي جواركم ينبوني الوطن

والصواب « بني » بدل تبتني .

صفحة 336

وخاصمنا بأسنة العوالي

فكان الفلج وانقطع الخصام

والصواب « الفلج » بدل الفلح .

صفحة 361

وكيف يفوتكم هارب

والله مطلوبكم يطلب

والصواب « ولله » (بفتح اللام) بدل والله .

صفحة 362

تود الكواكب لو انها

من بعض جندكم موكب

والصواب « جنودكم » .

الست الذي بمقاماته

يباى على المشرق المغرب

والصواب « تباى » .

صفحة 364

وللامام ابي يعقوب مشبههم

ومن تقيلهم في القول والعمل

ضبطت « مشبههم » بالتشديد والصواب عدمه.

صفحة 365

ومن لهم راحة سحاء مذ خلقت

لم يحفل الناس بالوكافة الهطل

والصواب « بالوكافة » .

صفحة 385

ولولا الذي نرجوه من بركاتكم

اقامت علل دين المآتما

والصواب « المآتما » .

صفحة 426

وبالغوغاء مفترين في جبل

بناعق شانه في الناس تضليل

والصواب « وبا لغوغاء » .

صفحة 459

ما السعد الا مايثال وفوده

وذر السعود قد غدث جدامها

والصواب « غدت »

الى جانب تعبيرات راقت الاستاذ من الشرق فاستعملها ، وان كانت العربية لا ترضى عنها ، مثل: (لكنها هي الاخرى) 28 و (كما وليس) 127 ت 3. وهذه من توافه الملاحظات لكننا يجدر بنا ان نقف حتى عند التوافه ، خصوصا ان كان خطرها مما يستفحل، وبلواها مما تعم .

تطوان – محمد بن تاويت

معالم الفكر العربي المعاصر

للأستاذ: أنور الجندي

عرض ودراسة

بقلم الأستاذ: أحمد حسن المحامي

صدر كتاب «معالم الادب العربي المعاصر» للاستاذ الكبير انور الجندي فى مجلدين ويضم معه كتاب « الثقافة العربيـــة المعاصرة » فى 500 صفحة من القطـــع الكبير وقد تفضل الاستاذ الكبير احمد حسن المحامي بعرض هذا الكتاب الجديد وخص بدراسته مجلة « دعـوة الحق »

تدور هذه الايام مناقشات ومجادلات حول ما يسمونه « الالتزام » فى الادب والفن والفكر بصفة عامة ، وتتشعب القضية وتتفرع ، فحتى الذين يقولون بالالتزام ، لا يلبثون ان يتفرقوا حول المقصود بالالتزام واي المناهج هي التي يتعين على الكاتب او الاديب الالتزام بـه ، فالبعض يرون رايا والاخرون يرون رايا مخالفا وهكذا ، ولعل من خير ما سمعته فى هذا الباب ، القول بالتزام الكاتب او الاديب والفنان نحو ضميره ومعتقده ، فالاديب اي اديب او الفنان والمفكر لا يستحق هذا الوصف الا اذا كان له هدف فى الحياة ومنهج تنبثق عنه كل مناشطه وتصرفاته واقواله ، فضلا عن انتاجه ومظاهر ابداعه بحيث يصبح هذا المنهاج وهذا الهدف هو مفتاح شخصيته وهو التفسير لكل اعماله وتصرفاته .

على هذا الاساس وفى هذه الحدود ، يمكن ان يوصف « انور الجندي » بحق انه كاتب ملتزم ، يلتزم بفكرة معينة ، ولا يرضى ضميره الا عن منهج محدد ، ومن هنا تجيء كل مؤلفاته وتجيء كل احكامه مقيسة بهذا المقياس موزونة بهذا الوزن .

ولقد يعجب بعض الذين يتتبعون انتاج انور الجندي الوفير ان يوصف بالالتزام وقد يؤثرون وصفه بالموسوعية ، فهو موسوعي فى كل ما يكتب يضم الشتات ويجمع المعارف وينسق الحقائق ، بل لقد كان اول عربي «فيما نعرف» فى العصر الحديث ، من يضع موسوعة للادب فى المائة عام التي تبدا من عام 1840 حتى 1940 ، حيث استعرض مئات من اعلام الادب والفكر والصحافة ، رجالا ونساء ، شعراء وكتابا ، فتحدث عن آثارهم ، وسجل افكارهم ، ولخص معاركهم ، على ما فى هذه الافكار والاراء من تعارض وتناقض فى اكثر الاحيان فذلك هو ما تقتضيه امانة العلاج الموسوعي .

ومن هنا يبدا العجب ان يجمع انور الجندي بين هاتين الصفتين صفة الالتزام ، وصفة الكاتب الموسوعي فالالتزام تمسك بما يعتقده الكاتب وشجب لما عداه من آراء وافكار واشخاص لا تدين بما يلتزم به الكاتب ، والموسوعية تستلزم نقيض ذلك ، اذ يتعين على الكاتب الموسوعي ان يكون موضوعيا ، بعيدا عن التحيز بعرض الاراء كلها فى تجرد ويقف من اصحابها وقائليها موقف الحياد المطلق .

ولكني اشهد ان « انور الجندي » قد جمع بين الخلتين فهو موسوعي الى حد الاستجابة الى كل مقتضياتها ، فهو يحيط بشتى عناصر موضوعه وهو يحتفل بكل مقوماته ، ويذكر من استحق ان يوصف بانه اديب او كاتب او صاحب فكرة وقلم ، مع الامانة فى عرض خلاصة انتاج اي كاتب او اديب ، حتى لقد يتصور القارىء انه متعاطف مع كل من يترجم له . ولكنا نراه فى نفس الوقت ملتزما كادق ما يكون الالتزام لفكره وعقيدته فلا ينظر للامور الا من خلال التزامه ، حتى ليضيق به الانسان احيانا فيتصوره متزمتا مبالغا فى تزمته .

ولم يكن باستطاعة « انور الجندي » ان يجمع بين هاتين الصفتين الا التوازن العجيب بين قوة عقله وقوة وجدانه فى ذات الوقت فهو فى عمله كاتب موسوعي يطلق لعقله العنان فيرى زوايا الحقيقة المتعددة التي يمكن النظر اليها من خلالها ، ومن هنا فهو يستوعب وجهة نظر اي مفكر ويحتفي بثمرة فكره وجده ، ايا كانت هذه الثمرات والافكار ، وهو فى نفس الوقت قوي الايمان بعقيدته عظيم الاعتزاز بما يسميه « قيم الفكر العربي الاسلامي ومقوماته » ومن هنا يحس الانسان بعاطفته القوية العاصفة التي تنطلق دون ان تلوي على شيء ، تتصدى لكل ما يعتبره تحيفا او تنقصا من التاريخ العربي الاسلامي او التراث العربي الاسلامي .

والحق ان ليس هناك ما يعكس شخصية الانسان مثل كتاباته وانتاجه بصفة عامة ، ذلك ان انتاج اي انسان سواء كان ماديا او معنويا هو جزء من الانسان ذاته ، وهو اظهر ما يكون فى دنيا الفنون والفكر .

ولقد سعدت فى السنوات الاخيرة بمعرفة « انور الجندي » شخصيا فوجدت فيه هذا الازدواج الفكري والعاطفي ، فهو يخالط الناس جميعا بروح سمحة ونفس صافية ، يعقد الصداقات ويصل خيوط المودة بينه وبين العديد من الكتاب والمفكرين والادباء على اختلاف مناهجهم ومشاربهم ومعتقداتهم ، وهو يكتب عنهم من حين لاخر عارضا افكارهم فى موضوعية لا تتاثر برايه الخاص وعقيدته ، كما فعل فى مقاله عن طه حسين فى عدد مجلة الهلال الذي صدر تكريما لطه حسين ، ولكن ذلك لا يحول بينه وبين تقويم اتجاهات طه حسين الادبية والفكرية وصلتها بحركة التغريب التي تصدت لغزو الفكر العربي الاسلامي .

معالم الفكر العربي والثقافة العربية المعاصرة :

ولعل الكتابين الاخيرين اللذين اصدرهما « انور الجندي» اخيرا وهما « معالم الفكر العربي المعاصر» و « الثقافة العربية المعاصرة » واخرجهما فى مجلد واحد كبير يناهز الخمسمائة صفحة من القطع الكبير هو خير تجسيد لطابع « انور الجندي » فى انتاجه ومؤلفاته العديدة ففي هذين الكتابين نرى « انور الجندي » ملتزما اشد الالتزام بما يسميه « الفكر العربي الاسلامي » وكل ما يتصل به عن قرب او بعد ، حتى ليحاكم كل محاولة للتطور او التجديد التي لا يمكن ان تظهر فى كل عصر من العصور الحية فى ضوء هذه الحملة الخفية حينا والعلنية فى اكثر الاحيان « لتغريب » الفكر العربي الاسلامي ، فنشر الكتب الادبية القديمة كالاغاني والف ليلة وليلة ورباعيات الخيام ، والتحدث عن الادب الشعبي والفن الشعبي ومايسمى «الفولكلور» وما يتصل بمظاهر لهذه الحرب المسمومة التي يشنها دعاة الشعوبية والتبشير والتغريب فى مواجهة الفكر العربي الاسلامي .

وهذا هو « انور الجندي » الملتزم ، انور الجندي المعتز بالفكر العربي الاسلامي .

والى جوار هذا الخط الواضح من الالتزام بفكرة الكاتب وعقيدته كما يمليها عليه ضميره ، يقابلك فى الكتابين « انور الجندي الاخر » و « انور الجندي الموسوعي » ، « انور الجندي » صاحب الفكر المفتوح .

وهذا الفكر المفتوح يشغل عند « انور الجندي » جبهة عريضة جدا تبدأ من الحضارة الغربية فى مجموعها ، حتى اشد الكتاب امعانا فى محاربة كل ما يلتزم به « انور الجندي » من امثال الاستاذ سلامة موسى او الدكتور طه حسين .

فهو يقرر فى غير تحرج او تردد ، انه ليس خصما للحضارة الغربية ولا هو خصم للفكر الغربي .

« فالحضارة الغربية مدنية انسانية عالمية شاركنا فى بنائها وكان لنا دورنا فى تكوينها ، وهي حق مشاع لكل الامم والشعوب ، ولسنا خصوما

للفكر الغربي اصلا ، الا حين يحاول هذا الفكر ان يسيطر علينا لحساب النفوذ الاجنبي ، يحمل عصارات من الابداع والعبقرية في مجالات الفلسفة والفن والادب والتاريخ تتجه نحو ترقية الانسانية.

ولست احسب ان اعظم المشيدين بالحضارة الغربية يمكن ان يصفها باعلى من هذا الوصف .

وهو عندما يدعو في الحاح ومثابرة وتحمس للفكر العربي الاسلامي والتراث العربي الاسلامي ، وكل مقومات الحياة العربية الاسلامية فهو لا يدعو الى :

« فكر جامد ولا متخلف ولا متوقف عند الماضي ولا دافع الى الارتداد او الرفض لمنطق الحياة والتطور ، بل هو متبلور حي قادر على الحركة مواجه النهضات والثقافات ، قادر على الانتفاع بكل جديد ياخذ منها ويعطي لا يبعدها بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالعقد » .

واشهد مرة اخرى ، انه لا يمكن ان يعبر عما يجب ان يكون عليه موقف المجتمع العربي الاسلامي في مواجهة التيارات العالمية ، بأروع من هذا التعبير وادقه واشمله . ونتعرض بعد ذلك لمحتويات الكتابين :

الكتاب الاول :

فاما اول الكتابين وهو « الفكر العربي المعاصر» فان الانسان ليحس منذ الوهلة الاولى عندما يشرع في مطالعته ، انه قد حوى عصارة فكر الكاتب ، وثمرة اطلاعه وانه قد اريد به ان يكون بحثا عميقا اكاديميا . وابادر فاقول انني استفدت شخصيا من هذا الكتاب اعظم استفادة ، وعندي انه حتم على كل كاتب او اديب او مفكر في مجتمعنا الحديث ان يقرا ولا يمكنه ان يستغني عن مطالعة هذا الكتاب ، الذي لخص وبلور التيارات والاعاصير الفكرية التي تعرض لها المجتمع العربي الاسلامي ، مذ علت موجة الحضارة الغربية وقوي سلطانها ونفوذها العسكري والسياسي والاقتصادي والفكري .

وليس الغزو العسكري والتسلط السياسي الذي وقع فيه المجتمع العربي الاسلامي ضحية العالم الغربي ، الا جزء من مخطط اكبر ، اريد به افناء المقومات الروحية والفكرية للمجتمع العربي الاسلامي ، فقد سلطت على فكره وتراثه وثقافته ودينه ولغته ، عناصر التشكيك والتهوين والتنقيص ، فاللغة العربية يجب ان تزول وتموت ، والدين الاسلامي قد استنفذ اغراضه ، والثقافة العربية الاسلامية يجب ان تتلاشى وتزول لتحل محلها الثقافة الغربية .

والثقافة الغربية تقوم في جوهرها واساسها على الوثنية الاغريقية التي تدعو الى الاستغراق في المادة ، بعد ان اضيف اليها النظرة الرومانية التي تعتبر جميع البشر ما خلا « روما » عبيدا ، زائدا المسيحية التي جردت من روحها الشرقية واغرقت في الوثنية والاغريقية .

بحيث يمكن القول ان الثقافة الغربية والفكر الغربي يقوم على ثلاث اسس : 1» الغاء فكرة الالوهية والدين . 2» مادية الحياة . 3» حيوانية الانسان باطلاق غرائزه.

وقد سرت هذه الاسس الثلاث الى سائر النظريات الغربية ابتداء من نظرة « كارل ماركس » لمادية التاريخ ، او عدمية الوجودية كما يمثلها « سارتر » ومادية السلوك والتربية « جيمس وديوي » ونظرية الجنس « فرويد » .

ذلك في الوقت الذي يقوم فيه الفكر العربي الاسلامي على اساس يخالف ذلك كل المخالفة ، حيث يمثل الايمان بالله والمثل العليا والروحانيات جوهر النشاط الانساني و « انور الجندي » حريص كل الحرص على ان يعزل المجتمع العربي الاسلامي عن بيئة الشرق الذي يقول عنه ان جوهر حياته هو الروحانيات المطلقة ، بينما يمثل الفكر العربي الاسلامي « الوسط » بين الاغراق في الروحية والمادية . ولست الان في صدد مناقشة هذه التحديدات الصارمة ، بين فكر يوصف بانه شرقي، وآخر بأنه غربي ، وثالث بانه عربي اسلامي ، فلذلك محله في مناسبة اخرى ، اما الان فنحن بصدد عرض كتاب الاستاذ الجندي ، والذي يمضي في تتبع محاولات التغريب في شتى ميادين الفكر والثقافة العربية الاسلامية سواء في حقل الدين او اللغة او التراث والتاريخ والاداب والقومية .

ويطول بنا المدى لو حاولنا تلخيص اي من هذه الفصول ، وما جرى فى مختلف المعارك من مد وجزر وانتصارات واخفاق .

الثقافة العربية المعاصرة :

اما الجزء الثاني من الكتاب والذي يعتبره « انور الجندي » كتابا مستقلا على الرغم من صدوره فى مجلد واحد مع الكتاب الاول ، فهو بمثابة المذكرة التفسيرية للكتاب الاول ، فحيث لخص الكتاب الاول وادمج وحلل فقد سرد الكتاب الثاني وفصل وسجل فى غير تعليق بطريقة « انور الجندي » الموسوعية ، فهو يثبت خمسا وسبعين معركة فكرية دارت على صفحات الصحف ، دون ان يقيم الدعوى على ان من اطراف هذه المعارك ، فضلا عن ان يحكم عليه ويدينه ، بل لقد يحدث ان ينقل عن احد الكتاب ما يستشهد به فى دعوته للتغريب ، ثم ينقل عنه هو نفسه اقوالا ضد بعض تيارات التغريب كما هو الشأن بالنسبة لسلامة موسى «ص 192» وهكذا يحس الانسان كما ذكرنا من قبل انه لا يحمل لاي من هؤلاء الكتاب الذي يكتب عن معاركهم والذي يلقي الضوء على اتجاهم باعتباره جزء من حملة الشعوبية والتبشير والتغريب التي سلطت على الفكر العربي الاسلامي وثقافته ، ضغنا او حقدا ، وهو لا يغض من زواق فحولتهم اوعملهم اذا كان هذا هو استحقاقهم وقدرتهم .

ولا يمكن الا ان يحس القارىء العادي بالمتعة وهو يطالع تفصيل هذه المعارك الادبية والفكرية الخمسة وسبعين والتي شملت تقريبا اكثر الموضوعات التي يمكن ان يدور حولها الجدل فى كل زمان ومكان والتي ستظل تدور ، فالكتابة باللغة العربية او العامية ، والدين والعلم ، واقليمية الادب وتحرير المراة ، وحدود النقل والترجمة والاقتباس ، وتصل اللغة عن الدين ، والغيبيات والاساطير .. والحملة على الاطلاق ، والامية والشعوبية وهكذا .

وبالنسبة لي باعتباري واحدا من الشيوخ المخضرمين ، فقد اعادت مطالعة هذه المعارك ، كسابقتها فى كتب الاستاذ انور الجندي ، الشباب الي ، ولقد كان لنا مشاركة فى بعض هذه المعارك ، وكان بعضها يدور حولنا دون ان يثير اهتمامنا ، فقد كان لنا ساعتئذ ما يصرفنا عن متابعتها ، اما الان وبعد ان ولى الشباب ومضى ، فكل من هذه المعارك تثير اهتمامنا ، وتشغل تفكيرنا ، وهو ما يجعلني اسمح لنفسي ان اخرج عن قاعدتي فى عدم الدخول مع مناقشة الاراء الاستاذ انور الجندي ، لاسجل واقعا احسه من نفسي وجربته بتجربتي .

فالاستاذ انور الجندي ، يصور المعارك الخمسة وسبعين والتي هي جزء من فيض اكبر على انها نموذج لحملة التغريب التي سلطت على المجتمع العربي الاسلامي لتوهينه واضعافه ، واحمد الله انني قد عرفت نفسي وانا اؤمن بالاسلام وبوطنيي وعروبتي ومع ذلك فقد وجدت نفسي منساقا فى فترة من فترات شبابي المبكر الى الدعوة الى الفرعونية ، والتعلق بالمسرح الاوربي ، واخيرا الاغراق فى حب مصر والدعوة الى الوطنية المتطرفة ، ولم يكن ذلك ينبع بحال من الاحوال الا من الرغبة فى العمل من اجل بعث المجد المصري والعربي والاسلامي .

وعندي انه لا يمكن لاي مفكر او اديب او فنان ، ان لا يتأثر فى وقت من الاوقات وفى مرحلة من المراحل بالتيارات المختلفة التي تهب على مجتمعه من شتى نواحي العالم ، ولكنه لا يلبث مع الزمن والتجارب ان ينتهي الى النضج ، وما يكاد يكون نوعا من المحافظة على القديم بعد الافراط فى التعلق بكل ما هو جديد وافكر ان يكون فى ادباء العصر من يستحق صفة الاديب الحق لجهلهم الادب العربي القديم ، وانكر كل حديث فى الكتابة بالعامية . والدكتور طه حسين الذي انتهى الى هذه النهاية ، هو طه حسين صاحب اكبر منصب من هذه المعارك وحملات التعريب التي اثبتها الاستاذ انور الجندي فى كتابه ، حيث لم يسلم من معول الدكتور طه حسين اي قدس من مقدسات المجتمع العربي الاسلامي سواء بالنسبة لتراثه او تاريخه او دينه .

واعود بعد هذا الاستطراد الى معارك الاستاذ انور الجندي كما اختارها وسجلها واشهد من جديد انني كنت اطالعها بشغف ولهفة كما لو كانت رواية بوليسية ، والحق ان الجدل والحوار سيبقى هو اعلى اللذات العقلية على الاطلاق ، ويرى الانسان فى هذه المعارك التي بعثها الاستاذ الجندي من مرقدها ، الى اي مدى يصل الجموح والتطرف فى الافكار عند

بعض الناس ، مما يجعلهم هم انفسهم اكثر الناس اشفاقا مما قالوا او كتبوا عندما يمتد بهم العمر ، كما اتساق هو بالنسبة للدكتور طه حسين على ما اشرنا .

المجتمع العربي والاسلامي :

وقد خرجت من مطالعة هذا المجلد الاخير للاستاذ انور الجندي ، كما خرجت من مطالعة كتب مماثلة له من قبل ، بالشعور بالرضا والتفاؤل بالنسبة لما يصفه الاستاذ انور الجندي بالمجتمع العربي الاسلامي ، فما اكثر ما سلطت عليه الحملات العسكرية والفكرية والصليبية ، وما اكثر ما تصدر المتصدرون انه فقد كيانه وشخصيته وذاتيته ، ولكن هذه الحملات قد تكسرت كلها على صخرة هذا الجزء من العالم ، وخرج دائما قويا نابضا بالحياة كما هو نساله هذه الايام بعد ان خلع عنه نير الاستعمار العسكري والسياسي ، وهو بصدد التحرر منه الان اقتصاديا وفكريا ، كما تدل على ذلك عشرات الظواهر والادلة .

تحية للكتاب والمؤلف :

وبعد فانني احيي الكتاب والمؤلف ، احيي الكتاب « رغم اختلافي مع الكثير من احكامه » باعتباره مظهرا لصلابة هذه الامة وعزمها على التمسك بشخصيتها وعروبتها الاسلامية ، والتصدي لكل محاولة لحرفها عن مناهجها الاصيلة .

واحيي المؤلف ، النموذج الكامل للكاتب العربي المسلم ، الذي يرى مع تفتح فكره وعقله ، واستعداده لتقبل كل تطور سليم ، ومسايرته لمتطلبات العصر والاوان ، قد ازداد ايمانه على ايمان واعتقادا فوق اعتقاد ، ان الاسلام هو « جوهر الفكر العربي والثقافة العربية » .. وانه الدين العام الخالد الذي يمكن للعالم تحت كل مبادئه الاساسية ان ينعم بالسلام والعدل والحق والاخوة البشرية .

القاهرة — احمد حسين المحامي



الإسلام والمسلمون في المانيا
بين الأمس واليوم

للشيخ فؤاد طبارة

بقلم : الشيخ طه المولي ـ عددالصفحات ـ 208 ـ من القطع الكبير ،
نشره : دار الفتح للطباعة والنشر في بيروت، طبع على مطابع دار لبنان ببيروت

الشيخ طه الولي من اعلام مدينة بيروت وعلمائها. وهو احد القلائل الذين يجمعون بين الثقافتين الدينية والمدنية ، اذ هو حائز على اجازة في الدراسات الاسلامية من كلية اصول الدين بالازهر الشريف في مصر ، وعلى ليسانس في القانون من معهد الحقوق بجامعة القديس يوسف اليسوعية في بيروت وقد منحته جامعة فينا مؤخرا ، ديبلوم علم المكتبات ، ثم انه أمين سر جمعية المكتبات اللبنانية التابعة لمنظمة (فياب) التي تنتظم جميع المكتبات العامة في العالم .

ان الشيخ طه الولي لا يقصر ابحاثه وتحقيقاته على اللون الديني الاسلامي وحسب ، بل هو كثيرا ما يعالج بكتاباته الموضوعات التاريخية ، لاسيما ما يتصل منها بالمسلمين والعرب . وهو اليوم بسبيل اعداد موسوعة ضخمة عن تاريخ مدينة بيروت ، عاصمة الجمهورية اللبنانية ، تنطوي على كل ما يتصل بهذه المدينة العريقة منذ تأسيسها لاول مرة ، حتى ايامنا الحاضرة . وتدل المقالات التي نشرت من هذه الموسوعة ان الشيخ الولي يبذل مجهودا كبيرا في اعداد هذا التاريخ لكي يكون كتابه مصدرا أساسيا يعتمده كل من يرغب في الاطلاع على المراحل التي مرت بها هذه المدينة قديما وحديثا في مختلف اطوارها وظروفها من عمرانية او انسانية .

ولعلنا بغنى عن الاشارة الى المكانة العلمية المرموقة التي يتمتع بها الشيخ طه الولي في العالم العربي فضلا عن لبنان وها نحن اولاء في كلمتنا التالية نقدمه في اطار جذاب من الدراسات الاسلامية الممتعة التي سجلها في كتابه تحت عنوان : « الاسلام والمسلمون في المانيا ، بين الامس واليوم » ، ونحن على يقين من ان القراء سيجدون فيه العالم المحقق الذي تقرا بحوثه الاسلامية والتاريخية بكثير من الشوق والعناية والاطمئنان ، نظرا لما يمتاز به من مبالغة في الحرص على قيمة كل كلمة يخطها بيمينه .

الكتاب :

صدر الكتاب « الاسلام والمسلمون في المانيا بين الامس واليوم » في الشهر الماضي عن دار الفتح للطباعة والنشر في بيروت .

وهو يقع في مائتين وثمان صفحات من القطع الكبير موزعة على خمسة ابواب ، وفي كل باب عدة فصول . وهو كما يدل عليه التعريف الذي أتبع بعنوانه « عرض سريع لتطور الاستشراق في المانيا مع صورة عامة للنشاط الاسلامي الراهن فيها » .

وتدل المقدمة على ان المؤلف ، الشيخ طه الولي، وضع كتابه على اثر زيارة قام بها الى المانيا الغربية ، بدعوة من منظمة التبادل الجامعي في بون ، اتاحت له فرصة الاتصال الشخصي والمباشر بعدد كبير من العاملين في حقل الاستشراق الاسلامي من العلماء الالمان ، والتعرف الى مختلف الهيئات والمؤسسات الثقافية التي اخذت نفسها بالتوفر على الدراسات والابحاث الشرقية ، في تلك البلاد التي استطاعت أن

تخرج بالعلوم العربية والاسلامية من ظلمة العواطف الدينية المتعصبية ، الى نور التحقيقات الموضوعية المتفتحة ، بما هيأ للباحثين فيها ، ظروفا ملائمة لرعاية اتجاه متميز للاقتراب من حقيقة الاسلام مما يمكن معه ، أن يصدق عليه وصف الروح الاكاديمية الصحيحة .

وتجدر الملاحظة ان الشيخ طه الولي ، وهو من العلماء البارزين في لبنان ، حاول ، في الواقع ، أن يجعل من كتابه ، احد المصادر الحديثة في تتبع الجهود التي بذلها المستشرقون الالمان في السابق ، وما يزال خلفاؤهم المعاصرون على سنتهم ، في محاولة الاحاطة بموضوع القرآن الكريم ، وفهم نصوصه اللغوية واغراضه التشريعية ، والتعليق على ما أثاره هذا الكتاب الديني العريق في أوساط المؤمنين به ، من علوم وآداب وفنون ومذاهب عقائدية واتجاهات سياسية وفكرية .

وقد كان حديث المؤلف عن موقف الكنيسة — قديما — من القرآن الكريم ، سببا لان يتضمن كتابه فصلا خاصا عن تاريخ هذا الكتاب المقدس في البلاد الاوروبية من ترجمة وطباعة ونشر ، بحيث يمكن القول ، بأن هذا الفصل بذاته يعتبر الاحصاء الاول من نوعه في اللغة العربية ، ذلك بانه يعطي القارىء فكرة علمية دقيقة عن دخول القرآن الكريم الى المؤسسات الدينية والعلمية في الدوائر الاجنبية عن طريق ترجمته الى العديد من لغات الغرب والشرق ، ابتداء من القرن الحادي عشر للميلاد حتى ايامنا الحاضرة في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين . وقد أحسن المؤلف العلامة صنعا بما عرض خلال هذا الفصل المهم من العكوس الشمسية التي تصور بعض النصوص الاصلية للترجمات التي أوردها في اللغات التي اشار اليها ، الامر الذي يعطي القارىء بعض النماذج الواقعة لهذه الترجمات .

وقد أراد الشيخ طه ان لا يمر فيموضوع الترجمات الاجنبية للقرآن الكريم ، دون أن يبدي شكه في قدرة المترجمين على بلوغ ما تطاولوا اليه من رغبة في الدقة واصابة الهدف ، فقال : « ولسنا هنا في مجال تحليل هذه الترجمات ومناقشتها في قربها أو بعدها عن الغرض الذي تسامت اليه ! وانما نحن نحاول اعطاء القارىء صورة تاريخية عن هذا الموضوع الخطير والاشخاص الذين ندبوا انفسهم له . وليس من شك في أن الترجمة الحرفية للقرآن الكريم ستبقى الغاية المنشودة ؛ كما أنها ستبقى كذلك الغاية التي لن تدرك لان ترجمة الوحي الالهي الذي نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين ، ليست بالامر الهين وفي ذلك يقول المستشرق الالماني « فيشر » :

« لا يداخل الذين تعمقوا باسرار العربية شك ، في انه لا توجد بين ترجمات القرآن ، سواء أكانت كاملة أم قاصرة على بعض آيات منه ، ترجمة تفي بالمطالب اللغوية الدقيقة ! ... »

واذا تجاوزنا الاحصاءات التاريخية الدقيقة التي وضعها الشيخ الولي عن اللغات التي نقل اليها القرآن الكريم مع ذكر عدد المرات التي ترجم اليها في كل لغة ، اذا تجاوزنا ذلك فاننا نجد أنفسنا حيال بحوث ممتعة ، تتناول عناية المستشرقين الالمان بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته الشريفة ، كما تتناول كذلك ، الفرق الاسلامية ، في الاستشراق الالماني الى ان ينتهي به الكلام الى المراحل المتعددة التي مرت بها الدراسات الاسلامية في المانيا منذ انشاء الكرسي الخاص بالدراسات الشرقية في مدينة « هايد لبرغ » الذي دشنه الامير « يوهان فاسيمير » ، احد النبلاء الالمان سنة 1609 م مرورا بمعهد الدراسات الشرقية الذي أسسه بسمارك في برلين ، أواخر القرن التاسع عشر للميلاد ، الى هذه الايام التي أصبحت فيها « بون » العاصمة المؤقتة لالمانيا الاتحادية مقرا لهذه الدراسات تحت اشراف المستشرق المعاصر ، «البروفسور أوتوشبس» وقد أحسن المؤلفصنعا بما تضمنه كتابه القيم من صورتمثل أشخاص المستشرقين الذين ورد ذكرهم في غضون الكلام .

وانه لمما يزيد في رونق الكتاب وقيمته العلمية ، أن المؤلف حرص على أن يحيط بموضوعه من كافة اطرافه ، فافرد في هذا الكتاب عدة فصول تتضمن عرضا احصائيا للمطبوعات الدورية التي تعنى بالدراسات الاسلامية ، مما يصدره الالمان أنفسهم أو يصدر عن غيرهم باللغة الالمانية في داخل المانيا أو خارجها ، وانه ليصح القول بان هذه المطبوعات هي في الواقع المرآة التي تعكس بوضوح ، الجهود الصادقة التي تجعل من اللغة الالمانية احد المفاتيح الرئيسية لدراسة الاسلام والمسلمين ، ليس في أوروبا وحسب ، بل وفي سائر أنحاء العالم ، بما في ذلك الاقطار الاسلامية نفسها ! ..

واستكمالا لموضوع الكتاب ، نجد الشيخ طه الولي ، يتقدم للقارىء العربي ، دليلا مصورا عن

المساجد والجوامع التي توجد حاليا في الحواضر الالمانية (الغربية) الرئيسية، وهي المساجد والجوامع التي بنيت في تلك البلاد في أزمنة مختلفة من قبل مؤسسات اسلامية عديدة ، بعضها ينتمي الى اهل السنة والجماعة وبعضها الى مذهب الشيعة الامامية ، وبعضها الاخر على المذهب القادياني بفريقيه (لا هور والربوة) . وعبر الفصل الخاص بتعداد هذه المساجد والجوامع نجد صاحب الكتاب ينتهز الفرصة ليعطي القارىء بعض الايضاحات التي لابد منها عن حياة المسلمين الذين يقيمون اليوم في المانيا والظروف العامة التي تحيط بهم في نشاطهم وعبادتهم مشيدا بالروح الايجابية الكريمة التي يلقونها لدى الاوساط الالمانية ، من رسمية واهلية ، هذه الروح التي كان لها الفضل في « عودة صوت المؤذن ليطرق من جديد ، اسماع الاوروبيين من فوق المآذن التي شقت سبيلها الى ساحات المدن الالمانية العديدة ... » .

وفي ختام الكتاب ، فصل خاص بتاريخ العلاقات الديبلوماسية ، التي قامت ، على نحو أو على آخر ، بين المسلمين والالمان عبر اللقاء المثير الذي تم بين الراهب « جان » سفير « أوتون » الكبير امبراطور المانيا في القرن العاشر للميلاد وبين الخليفة الاندلسي عبد الرحمن الناصر ، ولم ينس المؤلف أن ينتهز هذه المناسبة لينفي جدية القصة التي ترويها المصادر الاجنبية الحديثة ، عن تبادل الهدايا بين الخليفة العباسي هارون الرشيد وبين مؤسس الامبراطورية الجرمانية المقدسة شارلمان لاسباب بينها في كتابه . ثم ينتهي الشيخ طه الولي من كتابه ، بفصل آخر جعل عنوانه « المانيا وقضية الاسلام الاولى فلسطين » قال فيه :

« وايا ما كانت المبررات التي تتذرع بها بعض الجهات في المانيا اليوم للتخفيف من اثر استجابتها للسياسة المغرضة بقبول العدوان المفروض على حق العرب بفلسطين كأمر واقع ، فان المسلمين في كل قطر من اقطارهم ، لا فارق بين حاكم ولا محكوم ، ليسوا على استعداد للاقتناع بجدية هذه المبررات ، والتسامح باستمرار استجابة الالمان لما فرض عليهم ، على حساب العدالة الانسانية ، التي لقيت مصرعها الفظيع على يد الشهوات الاستعمارية القاسية في فلسطين وقبولها كأمر واقع ... »

اما بعد ،

ان كتاب « الاسلام والمسلمون في المانيا بين الامس واليوم » يعتبر في الواقع ، محاولة جدية ، لتقديم دراسة علمية رصينة ، مدعومة بالمراجع الموثوقة الى المكتبة الاسلامية ، حتى يتاح للقارىء العربي الوقوف على ما يبتغيه من الابحاث التي تلقي ضوءا على تاريخ الاستشراق الالماني فيما يتصل بالقرآن الكريم وما انبثق عنه في مختلف العصور من العلوم والفنون في الشرق او في الغرب وما اثاره من فضول في الدوائر الاوروبية بصورة خاصة ، كانت تتراوح بين سلبية التعصب حينا وايجابية التفهم حينا آخر تبعا للمناخ الفكري الذي كانت تعيشه هذه الدوائر .

ولعلنا لا نجور بالقول ولا نجنح الى المبالغة ، اذا اكدنا ، في هذه العجالة العابرة عن الكتاب الذي بين ايدينا ، بأن الدقة العلمية التي امتاز بها الشيخ طه الولي في معالجته المركزة لموضوعه المهم، جديرة بأن تلفت اليه الانظار كواحد من ابرز علماء الاسلاميات في لبنان .

بيروت — **الشيخ فؤاد طبارة**

قصة العدد

آخر الفرسان

للاستاذ محمد بن احمد اشماعو

غرناطة عاصمة الحضارة الاسلامية الاندلسية ، وموطن العلوم والفنون في حال من اسوأ الاحوال !

لقد احاط بها الاعداء من كل جهة ، وشددوا عليها الخناق ، فشاع فيها الرعب والهول والفوضى ، واصبح الناس ـ اذا اصبحوا ـ يتوقعون مع المساء الشرور والمصائب ، واذا امسوا ينتظرون مع الفجر حلول الازمات والاهوال ... ولكأن الطبيعة بدورها كانت تشارك القوم آلامهم وضيقهم ويأسهم، لقد وافى الخريف برياح عاصفة ، فاحتجبت الشمس وراء حجب من الغمام الكثيف وتسربل الكون برداء رمادي كئيب ، ومالت الاشجار مترنحة من شدة هجمات الريح المتوالية ، ونفضت عنها اوراقها كما تنفض الطيور الهرمة ريشها يأسا من الحياة

وانقلبت شوارع غرناطة التي كانت مسرحا للحركة والنشاط ، ومجالا لرجالات العلم والادب والفن ، ومنطلقا لفضليات السيدات ومصونات العذارى وريقى الشباب انقلبت الى ماو للنازحين من اطراف المدينة والقرى المجاورة الذين فروا من وجه العدو المهاجم ، بما استطاعوا ان يحملوه من مال ومتاع ، مسلمين في اجود الاراضي ، واخصب المراعي ، وانضر الاشجار، وصاروا هكذا نازحين مبعثرين في الطرقات ، راكنين الى الجدران ، ومستترين في منعطفات الازقة وقعور الدروب ، صيانة لاعراض ربات البيوت وفلذات الاكباد الغاليات

لكم هو مؤلم منظر العائلات البئيسة وقد تحلق افرادها حول كانون ، ينفخون في ناره ، فيتصاعد الدخان كثيفا خانقا ، لقد قطع الجوع امعاءهم ، وذبل نضارة وجوههم ، فبعد ما اكلوا من المجفف والمقدد والمملح لم يعد ـ بعد هذا ـ مناص من نصب القدور في عرض الطرقات وتحمل تلطخات الفحم والرماد وبقايا الاخشاب المحروقة التي شوهت ـ يا للحسرة ـ وجوها واطرافا وبزات طالما تطيبت بالمسك والورد والريحان

رغم هذا لم تفارق هؤلاء الناس عادتهم في لبس النظيف من الثياب ، ولذلك راحت ربات الحجاب يحركن الاذرع المكشوفة وسط جفان عامرة ، استعرتها من المحسنات واستعرن معها شيئا من الصابون وعقاقير غسل الثياب .

وبين الحين والحين كانت تسمع زفرات واصداء انين ، اذ لا يخلو ان يكون في هذه الزوايا المهملة سيدة على وشك الوضع ، او شيخ هرم معذب يعاني آلام الاحتضار، او جريح حمل معه جرحه الدامي من ساحات المعركة التي لم ير فيها للأسف ولو بصيصا من علامات النصر .

حتى اهل غرناطة انفسهم لم يعودوا كما كانوا في حيويتهم ، وابتهاجهم برخاء العيش وجمال الحياة ، لقد اوقفوا حركات حياتهم الاجتماعية كلها ، وعافوا مجالس لهوهم ومرحهم ، لانهم فقدوا الامل نهائيا في اي انتصار ، ولم يعودوا يتوقعون ان مخرجا سيفتح في وجوههم للنجاة من هذه الضائقة الخانقة ... وهكذا توقف ارباب الصناعات جميعها عن صناعاتهم ونفض البناؤون والنجارون والحدادون والمزخرفون والبستانيون ايديهم من حركات البناء والتشييد والعمران

وغلق ارباب المتاجر الصغرى والكبرى ابواب متاجرهم ودكاكينهم استثارا بما تبقى عندهم لاغراضهم الشخصية وحاجات عائلاتهم تاركين السكان والنازحين في حال من الاحتياج والخصاص ، تبعث على الالم الشديد ، ولا عجب ان اصبحت بعض هذه المتاجر وهي محطمة الابواب منهوبة

واين عامل المدينة (ابو القاسم عبد الملك) ومساعدوه من قاض ومحتسب وصاحب شرطة ورجال العسة ؟ انهم مشغولون بانفسهم وضمان منافع لعائلاتهم وذويهم (وابو القاسم عبد الملك) على الخصوص مشغول بمفاوضة الاسبان على الكيفية التي يتم بها تسليم مدينة غرناطة (1) ، فلو تجرأ وظهر امام الغرناطيين والنازحين اليهم لمزق تمزيقا ، لذلك هو لا يغادر جانب الامير بقصر الحمراء الا ليذهب تحت الحراسة القوية لمتابعة المفاوضة مع مندوبي امير الاسبانيين ، والاستزادة من الضمانات على الوعود التي قطعها الاسبان على انفسهم تجاه الامير ابي عبد الله واهله وحاشيته .
ولقد كانت هذه الوعود سخية بدرجة لم يكن احد يتوقعها ، واغتناما للفرصة كان امير غرناطة يستزيد فيزاد ، كما كان (ابو القاسم) يفاوض من اجل نفسه ومن اجل معارفه فيحصل فورا على ما يريد ، ويمنح حضورا اكياسا عامرة بالقطع الذهبية !

وغار المقربون من (ابي القاسم) الذي اصبح في ايام معدودة من اكبر الناس ثراء ، ومن اوسعهم املاكا . فراحوا يذيعون اسراره بين الجماهير الغاضبة الحانقة ، التي لو وجدت السبيل لنسفت قصر الحمراء على رؤوس من فيه وزاد في آلام النفوس مشاهد الالاف من الجرحى الذين ينقلون في كل ساعة من ساعات النهار والليل من ارباض المدينة تقطر جروحهم دماء قانية وتفيض صدورهم بالاهات والتوجعات ، بحيث لا يجدون الراحة ولا يخلدون الى الصمت ، الا اذا فاضت ارواحهم الى ربها ، وهذا ما يزيد في اتعاب حفارى القبور !

ان الانسان في احرج ساعات حياته كثيرا ما ينبع في صدره قليل من الامل يخفف عنه ما به ، ولكن هؤلاء قد جف في صدورهم كل احساس بان هناك خيرا يكون قد بقي على وجه هذه الارض ، فالممتلكات معرضة للزوال كيفما كانت قيمتها ، والبنات والبنون قد يؤخذون خدما مهانين ، واعراض النساء قد تستباح تحت سمع وبصر الاباء والازواج ، والجوع والوبخ والضرب والاهانات والنفي والتشريد .. لا غالب الا انت يا الله ! بقي رجاء عظيم وحيد معلق على بطل عربي شاب !

وهكذا ، بينما الجموع الغفيرة اليائسة الهائجة تعاني من الام نفوسها ، اذ بالشاب العربي فارس غرناطة الشهير (موسى بن ابي غسان) (2) مقبل ، راكبا جوادا اصهب اللون ، متهدل العرف ، يحسب الناظر ان حوافره تحس حرارة الجمر فوق الارض ، فهي لذلك لا تكاد تلامسها ! اما الفارس نفسه فقد كان مثالا للشباب العربي البهي الطلعة ، الذي يملأ العين ويقوي الحماس في القلوب ويدفعها دفعا الى الجهاد والفداء عن طواعية ورضى ، هذا دون ان يتكلم ! فاذا تكلم فكلامه الفصل تقتنع به العقول ، وتطمئن النفوس ، وتتقوى العزائم .
بمجرد ما اقبل الفارس (موسى بن ابي غسان) تعلقت به الابصار وحفت به الجموع تساله الخبر دون كلام وكان رده :

(ان انتظروا اني متوجه الى هناك) ولم يتعد الجواب الاشارة براحة اليد والسبابة !

ومضى الجواد يصعد عقبة البيازين في خفة ورشاقة ، تياها على الدواب العجفاء التي كان يمر بها بحسن طلعة راكبه وجمال هندامه وعلامات الحزم والعزم المطلة من عينيه

ورغم الظروف الخطيرة القاسية التي يعيشها البطل ، ورغم العبء الثقيل الذي ينتظره وهو ذاهب الى قصر الحمراء ، ليوصي رجالا هناك بالاقدام والاستماتة وهم

---

1) ابتدئت مفاوضات تسليم غرناطة في شهر اكتوبر سنة 1491 اي منذ 475 سنة من عامنا هذا 1966 م
2) الاسماء الموضوعة بين هلالين هي اسماء تاريخية

في حالة من الخور والعجز ، وليحضهم على الصمود دفاعا عن كرامة المواطنين وصيانة لسلامتهم مع انهم باعوا مقدما تلك الكرامات كلها بثمن بخس ... رغم هذا ، احس البطل موسى ــ وهو يصعد ربوة البيازين ــ بخلجات رفيعة في حنايا صدره ، ان الحي حي سلمى ابنة الفاضل السيد جعفر العفاني وسلمى هذه ، هي وحدها التي تربط بين البطل واغراض الدنيا ، ان روحه التي وهبها فداء للاسلام والاندلس ، تفلت منه احيانا وتروح محلقة وراء طيف سلمى العفانية ، الخلابة بحديثها وثبات قلبها وغزير علمها وادبها ، والتي تستحوذ على القلوب في اي مجلس حلت ، يا لله منها ! ان على الرجل ان يكون وافر المزايا ليستطيع ان يفوز ببعض اهتمامها ، وهذا بالضبط ما سلب عقل موسى فيها ! وملك اعجابه اكثر من ذلك انها استغلت مناسبة جمع حافل والحث على الرجال في ان يدفعوا بنسائهم وفتياتهم الى التدرب عن حمل الاسلحة واستعمالها عوضا عن المضي في مداعبة الاوتار والتسلي بقرض الاشعار ، ولكن انصراف القوم عن اقتراحها كان موجعا باعثا على الحسرة والاسف ...

ولما حاذى البطل الفارس المنزل السعيد الذي طالما احسن استقباله وضيافته وجد ان الداخلين للمنزل والخارجين هم من غير اهله ، انهم عبارة عن خليط من النازحين القرويين الذين لم يدركوا روعة البناية التي قطنوها ففضلوا الجلوس على الاعتاب مفترشين الارض من غير تأنق ولا حذق ...

وكتم الراكب لوعته مما راى ، وتناسى احاسيسه نحو هذا المشهد المؤلم ، وجد قاصدا قصر الحمراء ، ويا لعجبه الشديد وهو يرى الحراس في شاغل عن مهمتهم الدقيقة بحزم امتعتهم ، واخفاء المروقات التي استطاعوا اختلاسها ثم انهم لم يبادروا كما جرت العادة بالوقوف تحية للقادم وافساح المجال له ، بل انهم لم يكلفوا انفسهم حتى برفع ابصارهم اليه ، يا لضيعة النفوس الصغيرة ، ولكن هذه النفوس الصغيرة تستمد قوتها من النفوس الكبيرة ، واين النفوس الكبيرة في هذه الايام العصيبة ..

وتعاظم ما بنفس البطل (موسى) وهو يرى ردهات القصر وممراته تتكدس فيها الاحمال والصناديق الضخمة والمتوسطة والاكياس والبراميل ، وما زال عتاة الحمالين يحملون من داخل القصور الى الابهاء المزيد من المتاع والمقتنيات ، ولو استطاعوا ــ ولن يستطيعوا ــ لهيأوا هذه الحجرات ذات النقوش المدهشة والزخارف الرائعة والفسيفساء البديعة ، وهيأوا هذه الابهاء والاروقة ذات الاسطوانات الرشيقة والاقواس المقرنصة والسقوف الخشبية المنقوشة ، وهيأوا هذه الساحات العظيمة المرخمة . وهذه النافورات التي تعلوها قباب جذابة وتصل بينها مجاري مياه صافية رائقة . لو استطاعوا لهيأوا كل ذلك للرحيل ، ولكن لقوة الانسان كما لأطماعه حدودا !

ويا ليت الزائر البطل وجد ــ كالعادة ــ من يستقبله ويستاذن عليه الامير ، فكل اثنين او ثلاثة من حاشية الامير انصرفوا الى زاوية من الزوايا يضعون تخطيطات الهزيمة ، ويعبرون عما في انفسهم من غضب نحو اولئك الذين اغتنموا الفرصة فعظموا ثرواتهم بين عشية وضحاها . لكن الرجل القوي يفرض نفسه ولو كان مقامه بسيطا على اناس ضعفاء ولو كان مقامهم عاليا ...

على هذا ، دعا (الامير ابو عبد الله) الحاضرين لعقد اجتماع على الفور بمشاركة الزائر (موسى بن ابي غسان) . وفعلا توارد القوم على مجلس الامير واحدا بعد اخر ، لكأن الامر لم يعد يلزمهم باحترام مقام الامير واعضاء مجلسه ما يستحق من التوقير والتعظيم ، لقد تواردوا فرادى ، وجلس كل واحد حيث يشاء وعلى الكيفية التي تروق له ، بل ان منهم من كان مستعجلا من امره ، ولولا بقية من حياء ، لقالوا لاميرهم : كفى ثرثرة واجتماعات ، لقد انتهى الامر معك .. ! وبدا الامير انحل وجها مما كان ، وتبعثر شعره كثيفا منفوشا تتقزز منه النفس ، كما علت لباسه الثمين طبقة من الغبار والوسخ والدهن . اما اطرافه فكانت في حالة من التوتر ، بحيث كانت انامله تشد حينا على اطراف الثياب وحينا تتلمس اعضاء الجسد تلمسا شديدا لكأن بها آلاما مبرحة ، وتمايل الجسد وترنح في جلسته بشكل لا يقر له معه قرار ...

وبذل الامير جهدا ليخرج اللفظ من شفتيه معبرا واضحا ، غير ان الفكر المعطل المشتت لم يسعف بشيء ، ولو رحمه الحاضرون وانجدوه ، لاكتفوا منه بهذا

الارتجاج وهذا التعطل ، وتلك الصفرة وذاك الذبول ... ولكن عين الفارس (موسى) النافذة ، العامرة بالشك والريبة . الممزوجين بالسخرية ، ايقظت في الامير عزة الامراء وتخوتهم ، فانحلت عقدة اللسان وتدفق البيان :

ـ ابنائي اخواني :

والله ان خروج الروح لأهون على الانسان من ان يلقاكم في ساعة ياس وخذلان ، لقد عملنا ما في مستطاعنا ، ودافعنا عن ديارنا وقلاعنا ، ولكن ارادة الله القاهر الجبار شاءت ان تسلط علينا اعتى اعدائنا ، لقد عددوا علينا الحصار فاختلط علينا ظلام الليل ونور النهار ، وقلت الارزاق وتوقفت الصناعات ، وبلغ الياس بالناس منتهاه ، فلا حول ولا قوة الا بالله . ان بعض المستشارين المخلصين ، العارفين بقوة الاعداء الظالمين، وباحوال رعايانا الامنين ارتأوا ان نفاوض عدو الله (فيرناندو) على شروط شريفة ، تضمن لكل فرد من رعيتنا الهناء والعيشة اللطيفة ، وتصون للناس ممتلكاتهم وتسمح لهم بالتعبد حسب تعاليم دياناتنا السمحاء ... واظن اننا سنصل الى حل مع العنيد الجبار ... وسكت الحاضرون عن قصد ، ثم هموا عن قصد ايضا بالانصراف وهنا قام (موسى) ثابتا شامخا حاد النظرات ، ليقذفهم بقول كأنه الجمرات :

سيدي الاميـر :

هذا اليوم له ما بعده ، فقد يكون هذا آخر لقاء لابناء الاسلام المجيد في هذا المجلس الكريم ، فتصبح الارض غير الارض ، والناس غير الناس وتمحي الديانة الاسلامية واللغة العربية ، وتنقرض الخلافة التي دامت بهذه الديار طيلة ثمانية قرون ... ويساق الرجال والابناء عبيدا ، اما النساء والبنات فلا يعلم الا الله كيف يكون مصيرهن ؟ ولا اراه الا مصيرا مهـولا

ايها الاميـر :

« لا تخدعوا انفسكم ، ولا تظنوا ان النصارى سيوفون بعهدهم ، ولا تركنوا الى شهامة ملكهم ، ان الموت اقل ما نخشى ، فامامنا نهب مدننا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا ، وتخريب بيوتنا ، وهتك نسائنا وبناتنا ، وامامنا التعصب الوحشي ، والسياط والأغلال ، وامامنا السجون والانطاع والمحارق ... هذا ما سوف نعانيه من مصائب وعسف ، وهذا ما سوف تراه تلك النفوس التي تخشى الان الموت الشريف ، اما انا فو الله لن اراه ... »

وتيقن الحاضرون من صدق هذه الكلمات ، كلمات البطل (موسى) وتأكدوا ان كل ما ذكره البطل واقع لا شك فيه ، اذ كل المدن الاندلسية الساقطة في ايدي الاسبان الواحدة بعد الاخرى ذاق اهلها المساكين المصائب والاهوال ، وما سلموا من الهوان الا يوم غادروا مكرهين ديارهم وضياعهم الى حيث لا رجوع . ان كلام (موسى) هو الواقع المر ولكن ولكن ولكن

ولكن القوم الحاضرين كانوا قد فقدوا نخوتهم وغيرتهم الوطنية وعزتهم الدينية الى الابد ، باعوا كل ذلك وقبضوا الثمن ، كل حسب مساومته ووقاحته في تحديد الثمن ، حتى الامير تصور ان الوعود العظيمة والبسيطة والظاهرة والخفية كانت كافية لضمان عيش رغيد له ولأهله وللبنين والاحفاد ، فعلام التحدي ومجابهة الاقدار والاستماع الى راي شاب حار الدم ، هائج العواطف ، لم يعرف حقيقة الحياة ومشاكلها حتى يمكنه ان يقدر الظروف حق قدرها ، ويدرك انه ليس في الامكان ابدع مما كان !

تفحص الشاب البطل الوجوه واحدا واحدا ، وتعمق اسرار العيون فاذا به يجد ان ذلك الشعاع الخفي المعهود في نظرات القادة والزعماء واولياء الامور قد انطفأ ، وان الجباه العالية الشامخة المعتزة اذلها الخذلان والهلع والطمع فاخذت تتخفض وتتهدل مستكينة نحو الارض ... فمن يستحق ان يجاذبه الحديث بين هؤلاء؟ سلام على قصر الحمراء وفي ذمة الله ما صنع الفنانون ، وابدع الشعراء والعلماء والحكماء وسقيا لليالي الانس والطرب وروائع الموشحات المنتدات ، ورحمة الله لبساتين عرفاء زرعوا اجود البذور فنبتت اعلى الاشجار واطيب الاثمار ، وازكى الازهار ، واجروا المياه الصافية ، واستفردوا الطيور الشادية ... وكادت عاطفته تغلب عليه ولولا انه كان اقوى من هذه العواطف ، ولذلك خطا سائرا نحو الابواب دون ان يودع احدا ، انما هو متيقن من ان

خطواته هذه هي اخر خطوات في هذا القصر المنيف !

وانحدر الفارس قاصدا حتى البيازين العامر بالحماس واليقظة الشعبية ، كان يهمز جواده ليسرع به في النزول ، انه يود الالتقاء بانصاره والعارفين به من سكان غرناطة لينقل اليهم الخبر الفظيع ، خبر الاستلام الشنيع ! ولكن الجواد كان يطلب السلامة في هذا المنزلق ، ولا يريده منزلقا الا في ساحة المعركة حيث يطيب السقوط ويحلو طعم الموت المرير ! وهنا برز صديقا الفارس الحميمان (نعيم بن رضوان) و (محمد بن زائدة) وشدا على ركاب الجواد معلقين بسرهما بالرجل الذي ذهب ليطلع على سر الموقف فاصبح عارفا به ، ولم يفتهما ان يريا علامات الكدر العميق مرتسمة على وجه زميلهما الفارس المقدام ، ولم يتردد هو في ان يخبرهما بان المصيبة الكبرى حلت ، وان حكام البلاد قد سلموا المعقل الاخير للاسلام بهذه الديار ، ولم يتمهلوا حتى الان عن اعلان ذلك الا لانهم ما زالوا يطمعون في المزيد من الغنائم والارباح التي ما تزال ـ للعجب ـ حتى اليوم في ملكهم وفي حوزتهم! يا للهوان والمذلة ايها الاخوان لقد رايتهم احرص من اي وقت على تسليم البلاد للعدو ، ولهذا فللعدو ان ينام مرتاحا اذ له بينهم انصار متفانون ، واخص بالذكر اللئيم الفاجر الجبان (ابا القاسم عبد الملك) وصفيه الدنيء (يوسف بن كماشة) ، لو كان من شاني الاغتيال والسفك لعجلت بارواحهما الى النار ، ولو كانت فيهما بقية من الشجاعة لدعوتهما الى المبارزة هما معا ، ولكنهما لم يخلقا الا لمواقف الذل والمهانة فلينعما بها الى حين

كان الجواد ينزل حذرا كما صعد حذرا ، مما مكن الفارس وزميليه ان يتبادلوا الحديث بتوسع ، فلما كانوا على ابواب قصر الفاضل السيد جعفر العفاني التفت (نعيم) الى البطل (موسى) ينعشه بالخبر الاتي :

ـ لقد غادر السيد العفاني قصره صحبة اولاده الشبان وبناته الشابات كلهم ، متسلحين بالسلاح الكامل وتوجهوا الى احدى ساحات المعركة معولين على الاستشهاد في سبيل الله والوطن ، وقد هزت حركتهم النادرة همم العديد من الرجال فاقتدوا بهم

ولمن تركوا القصر ؟

ـ تركوه للخدم وللعجزة من افراد العائلة ، يستقبلون فيه وفود النازحين يأوونهم اسكانا واطعاما وشرابا ، الى ان تنجلي الحالة .. !

وهنا وجد فارس غرناطة الحل لمشكلته ، لقد قضى الفترة القصيرة بين مغادرة سكان قصر الحمراء والالتقاء بالزملاء في عاصفة من الحيرة الشديدة ، وها هو الان يجد القدوة في اسرة رجل نبيل رفض الذل والمهانة له ولاهله ، فاقتحم على الموت بابه ، قبل ان يقتحم بابه الموت وعلى صورة من الخزي والعار ، اذا فلتكن النهاية في ميدان الشرف ..

وتراكمت الجموع على (البطل موسى) تستفسره عن تطورات الحالة ، فلم يسعه الا ان يعتلي احد السطوح ليخاطبها :

ـ ايها الناس ، ليس لدي ما اقوله لكم سوى ان اخبركم ان بلادكم بيعت للاعداء وبثمن زهيد . يمكنكم ان تقولوا هذا لاهلكم وعشيرتكم واقربائكم . ان رؤساءكم لم يعودوا قادرين على حمايتكم ، لقد فاوضوا العدو وقبضوا الثمن وليس بينكم وبين الخروج النهائي من هذه الاراضي الا اياما معدودة ، ومن رضي البقاء منكم فهو يعرف مصيره المحتوم ، مصير القرطبيين والبلنسين والمرسين والجيانين والاشبيليين والاخرون من بعدهم ..

اني ادعو ذوي الاستطاعة من الشبان والكهول الى الكفاح والجهاد ، اما غير القادرين فلهم في ارض العدوة الاخرى اخوة مسلمون مومنون اباة ، طالما ناصرونا واستماتوا في الدفاع عنا ، واراقوا الدماء العزيزة من اجلنا ، ان كل شبر من هذه الارض يشهد بذلك ، وما اظنهم يتخلون عنكم في خاتمة المأساة هذه

ان ارضكم هذه ستكون بعد شهرين او اقل من ذلك ملكا لغيركم ، ولا يستبعد ابدا ان يكون من بين اهلها عبيدا واماء للنصارى ، وفتيانا من بينهم وفتيات للتسلية والمجون والعبث

صاح بعضهم : هذا لا يمكن !

فاجابهم :

ـ بل هو ممكن وهو ما سيكون ! ان وثيقة الاستسلام وقعت او هي في طريق التوقيع ، نعم . ولكم ان تغضبوا وتهيجوا فهذا هو الواقع ، ولقد اخذ الاعداء ضمانات قوية من بينها ابناء الامير نفسه ، فهل بعد هذا من ذل ! اصارحكم انه لن تطيب لي عيشة بعد اليوم .

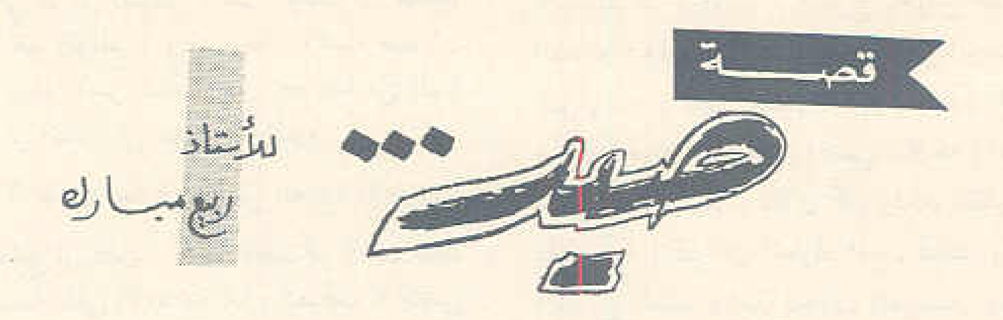
ولما ذا لا تذهب معنا الى ارض العدوة الاخرى

ـ لا استطيع ان افعل ، كنت اذهب لو كانت هناك اخبار فوز وانتصار على الاعداء ، اما والموقف لا يتعدى مواقف للاستجداء والهجرة الذليلة فلن اذهب والله .. لطالما ازعجنا هؤلاء الناس واتعبناهم وحملناهم فوق ما يطيقون ، وسوف نحملهم المزيد من ذلك فاولى بالرجال هنا ان يدافعوا عن بلادهم او يموتوا دونها .

وهاج القوم عند هذه الكلمات وانطلقوا يتشاورون في الكيفية التي يواجهون بها الموقف ، واغتنمها الفارس فرصة فتوجه الى بيته وتدجج بالسلاح ، وتسربل بالحديد هو وجواده ، وخرج يجوس خلال ارباض المدينة ، ولم يشعر الا وجماعة من الجنود النصارى تقترب منه ، تحاول تطويقه ، وباداوه بالسؤال عن شخصه ، فكان جوابه ان انقض بسلاحه واخذ يفتك بهم واحدا بعد واحد ، لكأن كل واحد ينتظر دوره ليقتل على يديه ! غير ان الجواد اصيب فسقط وعندئذ ترجل الفارس العظيم واخذ يحارب الفرسان وهو راجل ، وبمجرد ما شعر بالضربة الجارحة، التي سيوخذ بعدها الى الاسر والعذاب المهين ، بادر ورمى بنفسه المثقلة بالدرع الحديدي الى اعماق نهر (شنيل) ليرقد هناك رقدته الابدية

محمد بن احمد اشماعو





اقعت «ميرة» على مؤخرتها متحفزة ، وانتصبت اذنا «مسعود» فى حذر ، وطفق الكلبان معا يراقبان حركات صاحبهما ، بينما انحنى هو يفتش يمنة ويسرة ، عن شيء معين ، حتى اذا وجد طوبة صالحة ، المها بيسراه قليلا ، ثم نظر الى كلبيه يتفحص وضعهما ، ولاحظ ان مسعودا يتقدم صاحبته بنحو خطوتين فنهره :

— الى الوراء ، مسعود . اهكذا يكون الصياد الاصيل .

وكانما تذكر شيئا بهذه المناسبة ، فتمهل وانحنى الى الكلب ، وامسك باذنه الطويلة يتوعده ، كما يتوعد طفلا :

— اسمع ايها الكسول . كاختك يجب ان تكون . ام تريد أن تصبح كسائر كلاب المزابل . والدتك المرحومة ، لا يشبهها فى ضراوتها وامانتها الا «ميرة» . اما انت فكسول ولص . ماهر . نعم ، ولكن لص ، وهذا ما لا اقبله . وارتفعت حماسته ، وشده يقوى على اذن الكلب الذي بدا يئن انينا خافتا :

— .. لم تكن كلابي لصوصا قط ، اتسمع ؟ هه . انا لم انس حجلة اليوم السابق ، وساؤدبك اذا عدت الى مثل ذلك ، لكن اذا حاولت ان تكون كلبا حقيقيا لي ، جديرا برفقتي ، كميرة ، فانت تعرف .. هزت ميرة مؤخرتها ، محركة ذيلها الى الجهتين ، وهي تسمع حديث الاطراء ، بينما حنى مسعود راسه ، ذلة ، ويد صاحبه لا تزال تقرص اذنه بحدة ، نظر الحاج نظرة رضى ، الى ميرة ، وهو يترك اذن مسعود الذي عاد يصلح من وضعه بمحاذاتها .

تمشى الحاج بقامته القصيرة خطوات ، امام الكلبين ، ثم حرر ذراعه اليسرى من كم جلابته ، بان اخرجها من فتحة الراس ، تاركا جزء الجلابة الايسر ، يتدلى بكمه تحت ابطه ، وظهرت كتفه السمراء ، وعنقه القصير تحت عمامة صغيرة ، عادت يسراه تلملم الطوبة ، بينما تمسك يمناه بعصا قصيرة معقودة الراس ، ونظر الى كلبيه نظرة اخيرة ، قبل بدء العملية ، ثم هلل وكبر ، وتتابعت منه صيحات لا معنى لها ، ورجلاه تنفصلان على الارض فى قفزات حماسية .. كلما زادت صيحاته وقفزاته ، بدا التوتر واضحا على حركات الكلبين ، ثم طوح بالطوبة الى الفضاء ، اعلى ما يستطيع ، وقبل ان ترتد الطوبة منحرفة نحو الارض ، انطلقت العصا وراءها فى عزم ، حتى اذا اصابتها ، رمى الحاج بعمامته طربا ، وتتابعت قفزاته وصيحاته من جديد ، بينما انطلق الكلبان ، كل الى جهة ، لالتقاط الفتات المتناثر ، قبل ان يقع .

وعادت ميرة ، فى لمح البصر ، وفى فيها الطويل ، طينة صغيرة ، بينما تعالى نباح مسعود ، امام سدرة منبسطة على الارض فى شبه دائرة واسعة ، تسلم الحاج الطينة من ميرة ، واشار اليها ان تلتقط عصاه ، بينما توجه هو ، صوب مسعود النابح ، امام السدرة .

يبدو ان حظ مسعود لم يكن طيبا ، فالطوبة التي اختار ان يلتقمها ، اتجهت متساقطة ، صوب مركز السدرة الشائكة ، وما كاد يتردد فى القفز وسط الاشواك ، ليكون لها بالمرصاد ، حتى استوت هناك ، فطفق يتبع فى حركات جنونية ، وعيناه تقطعان المسافة بين صاحبه وموضع الطوبة ، وازداد نباحه كانما

ليعـوض ما فاتـه مـن فوز ، لكن نظـرة صاحبه الغضبـى اخرسته ، فتراجع، وشبه حشرجة تجول فى صـدره ، وارتفع بـه صوت الحاج :

ـــ لا. لا. لن تكون كلب صيد . الف لا . ولا كلبي انا بالذات ، عليك اللعنة ، اتسمع ؟ اولـى بـك ان تراجم القطط على الموائد ، والدتك المرحومة ، كانـت لا تتهيب شوكا ولا ماء ، ولا نـارا ، واختك ميرة .. «التفت صوبها فحركت ذيلها استجابة» .. او لتتوزعك الفيران .. اما الصيد فلا .. انا اعرف منك بالكلاب. كلب الصيد الاصيل لا يبصر ارضا ، ولا يحس بها ، الطريدة ، الهدف عينه ، اما الكسالـى امثالـك ، واللصوص ، فيتلمسون مواقع اقدامهم ، على الدوام ، ابتعـد عنـي ..

تراجع مسعود عن صاحبه بمسافة ، بينمـا اقبلت ميرة تتحكك به والعصا القصيرة لا تزال بين انيابها فشرع الحاج بداعبها ، واساريره تفيض رضى عنهـا : عشت يا بنيـة ، عشت .

لم يكن لاعتزاز الحاج بكلابه وعصاه حد ، ولطالما شارك اصحاب البنادق فى عمليات الصيـد ، ايام الاحاد ، وغالبا ما كان حظه يفـوق حظوظهـم ، وحدثنفسه مرارا ، بان القدر اذا ما رمى اليه ببندقية يوما ، فسيتخذ خشبها وقودا ، ويصنع من جعبتهـا شبابة ـــ بندقيـة ؟ المعركة ذاتها غير متكافئة ، بيـن الطريدة وصاحب البندقية ، وابن المهارة » ان لـم تكن فى الصيد الطبيعي بالعصا والكلاب ؟ الكـلاب تتربص وتطارد ، والطريدة تراوغ وتحتال ، والصياد الاصيـل يسدد العصـا فى اللحظـة المناسبة .

كان منطقه هذا ، قويا فى نفسه سيما حيـن يتذكر ان كل طلقة تكلف نصف درهم ، بينمـا الكلاب ، لا تكلف شيئا ، فيتمتم مرة اخرى بازدراء: بندقيـة ؟ هه . واكد لنفسـه انه ان قدر عليـه يوما ان يغير نظريته ويمتلك بندقية ، فذلك سيكون لا محالة ، لامرين اثنيـن : انـه بذلك يصبح مهيبـا فى القرية ، وانه يستطيع ان يمارس الصيد بمشروعيـة الصيد المشروع ، آه . يستوقفك حارس الصيد او الشرطـة ، فتفتش فى جيوبـك ذات اليميـن ، وذات الشمال ، عن الرخصة ، كانـك اضعتهـا او انـك لا تملكها ؟ وعيـن العدو ترقب حركاتك ، وشهيته تتفتح للقبض عليك ، حتى اذا اطمأن الى وقوعك ، واتسـعت ابتسامته الخبيثة وانت تتصنع الحرج .. آه ها هي ذي اخيـرا .. وتخرجها مقواة بيضاء ، فى اعلاهـا الصورة والطابع ، اوه نعم الصـورة والطابع ، ويخيب امل العدو ، فيردها اليـك وقد غابـت ابتسامتـه : « احترس للمرة القادمة » دون ان تحفل بالرد عليه ..

وتراجع الحاج قليلا عن ان يعتبر البندقية شرا، او ان يتوعدها بالشر : ولم افعل بها ذلك ؟ كفانـي الا اصيد بها ، وما لبث ان استدرك انـه قد يستعمل البندقية اذا ما مارس الصيد فى بقعـة محروسة امـا فيما عدا ذلك ، فله كلابه وعصاه ، وطريقته ، طريقته حقا ، ذات يوم ، والارنب الصغير يقفز بخفة بيـن الصخور ، ومعه صيادان بالبنادق ، والرصاص .. لكن العصا القصيـرة وحدها صدمت جمجمته .

وحضرته صورة سرب الحمام الطائـر ، الـذي اسقطت منه البندقية ، خمسـا ، بطلقة واحـــدة ، وقطيع الارانب الذي نقص ثلاثا : آه . رائـع حقا ، خمسا دفعة واحـدة ، هذا هو الصيد .. وثلاثـا ايضا . حقـا ، صيد رائع .. واعترف الحاج بأنـه لو امتلك بندقية، ما احتاج الى صحبة كلب فاشل ، والتفت الى مسعـود ، فتوقف هذا ، وبصره يتابـع فى بلادة حركة صاحبه ، الذي سدد اليه العصا كمـا يفعل ببندقية ، بيم ، بيم ، بيم ، وارتفع صوت ميـرة، على مسافة من صاحبها ، ونظرها مركز على الارض ، فأسرع نحوها مسعـود بينما حدث الحاج نفسـه وهو متجه اليهما : لو وجدت ، قتفذا ، لاتخذته مركزا تدور حوله .. ولانطلق نباحها متقطعـا ، ام اثـر ليس الا . سنـرى .

ووجدها امام حفرة صغيرة كحفنـة اليـد ، ووريشـات دقيقة .. حجلة ، ادرك ذلك بسرعة ، ولكن مبيتها لن يكون هنا ، خدعة ليس الا ، تـلاف، اما مبيتها الحقيقي .. ودار حواليـه قبل ان يصدر الامر ، الـى كلبيه المنتظرين : لـن يكـون بعيـدا ، لتفتش كل فى اتجاه عن مبيتها ، وتفرق الثلاثـة يتفحصون ، ومضت مدة قبل ان يرتفع نباح مسعود، امام فوهة صغيرة ، فى ربوة ناتئة ، اسرعا نحوه : من النادر ان تتخذ الحجلة غارا كهذا ، وانحنى الحـاج يتفحص التراب ، ثم استقام وهو يتسـاءل فى سره : تـرى الا يزال الارنب فى الداخل ام هجر ؟ ربت علـى راس مسعـود ، فهز ذيله ، واقبل على الجحر يعمل فيه مخالبه ، بينما اخذت ميرة مكانها ، على قمة الربوة، تروح وتغدو فى قلق وتربـص ، وتقهقر الحـاج الـى الخلف ، محاولا ان يخترق ظلمـات الجحر بنظـره

الحاد ، وصيحاته الغامضة تتصل ، فيتضاعف نشاط الكلب ، واتسعت الفوهة بمقدار كاف فحشر مسعود انفه ، ثم عاد اشد حماسا في الحفر ، واسرعت قوائمه في جلب التراب ، واتسعت الفوهة اكثر ، فارسل احدى اماميتيه الى داخل الجحر ، فاخرجت كمشة تراب دقيق ، تفحصها الحاج ولاحظ ان بها شعيرات دقيقة بيضاء وبعرا حديثا ، فتأكد من وجود الارنب داخل الجحر ، انما .. سيكون من الصعب اخراجه ، واذا كان الجحر عميقا ، فينكمش في اقصى ركن ، واصبحت حركة ميرة على الربوة ، جريا مستمرا ، وادخل مسعود كامل راسه ، وما لبث ان قفز خطوات الى الوراء ، بعيدا عن الفوهة ، ونباحه يشتد وصاح به الحاج :

— ها . ها . نفخ في وجهك ، ايها الرعديد ، تخاف مخلبه ، جرب مرة اخرى ايها الكسول ، افتح عينيك جيدا ، وخذه من خاصرته ..

وبدا وكان الكلب يعاني صراعا داخليا ، فردد نظره بين الفوهة وصاحبه ، ثم اقبل على العمل من جديد ، وصوت صاحبه ما ينفك يعلو فوقه ، دفع مسعود بقائمتين متمهلا ، فراسه ، ثم غاب عنقه ، وبدا من مؤخرته ، خارج الجحر انه يعارك بشدة في الداخل ، وحدث الحاج نفسه مرة اخرى ، بان الجحر ان كان فسيحا ، فلن يفلح مسعود ولا غيره في اخراج الارنب او الارانب ، وظل يراقب مؤخرة الكلب ، وقائمتيه الخلفيتين اللتين تزدادان انفراجا ، وانفرازا في التراب بقدر ما ينحشر من جسد مسعود في الداخل ، ودام ذلك دقائق ، وحدث الحاج نفسه بان لا طائل يرجى من المعركة ، فالجحر ميسرة للنموس لا للكلاب ، وتاكد من ان اللعين قد تحصن في الداخل ، حين تقاربت خلفيتا مسعود ، ثم خرج وفمه مطبق عليها . سوداء تلوت حول عنقه ، وفوها ينفتح وينغلق على رجله ، وقبل ان يفيق الحاج من دهشته ، قفزت ميرة ، واطبقت على عنق الحية بقوة فشطرتها ، وتحرر مسعود مبتعدا ، بينما سقطت الكتلة الضخمة تتخبط على الارض .

اسرع الحاج الى مسعود ، الذي كانت اماميته لا تكاد تلامس الارض ، فبطحه على جنبه ، واضعا احدى ساقيه على عنق الكلب ، والاخرى على بطنه ، وبدون تردد اخرج سكينه وغرز راسه في الجرح ، يوسعه ثم اخذ يمتصه بقوة ، وبين الفينة والاخرى يرمي حوله ، جرعة سائل داكن ، وبدت ميرة كالتمثال جامدة ، تراقب العملية بعينين باردتين ، بينما تشتد عضات مسعود على التراب ، ثم تراخى الكلب وتواهى اذنيه ، وصاحبه لا يفتر عن المص . قطع الحاج شريطا من عمامته ، وعصب الجرح برفق ، ثم مسح فمه بطرف العمامة ، واعاد ذلك مرارا ، وهو يبصق ، ثم التفت حواليه ، فردت اليه الصخور ، والاشجار الشائكة المترامية على حد الافق ، نظرة خائبة ، وحين وقع بصره على ميرة قال بمرارة ونظره اليها : سيشتد به العطش ، فتململت في مكانها متحفزة ، اما هو فانصرف الى نفسه يؤنبها ، على التهاون في حمل الماء ، ان من عادته ان يستهين بكل زاد ، ويعتز بصبره وصبر كلابه ، ثم قال بحدة وهو يقوم ، ويرفع الكلب المستكين ، وقد خارت قواه : ساحمل معي ماء منذ اليوم ، وتبعته ميرة في خطوات خفيفة .

احس باشعة الشمس تلهبه في تقدمها نحو كبد السماء ، فاطبق فم الكلب بيديه ، وهو يوجه اليه الخطاب ، احتفظ بلعابك ، انت احوج اليه من اي وقت ايها الوفي ، قبل ان تقطع مسافة نصف يوم في الوعر ، وفكر بانه ربما كان قاسيا على كلبه في وقت ما ، لكنه ارتاح عندما تذكر ان نيته كانت طيبة فردد وهو يرنو الى مسعود : صالحك كنت اقصد ، ايها الوفي . يجب ان يكون المرء احيانا ، قاسيا على كلابه واولاده من اجل تربيتهم . بيد انك لم تكن تجرني قط الى القسوة عليك ، كنت اصيلا في مهنتك ، كوالدتك وكميرة ايضا ، حقا انت تتردد ، وهذه ميزتك ، على سائر ما عرفت من كلاب ، كلب الصيد يجب ان يتردد احيانا ، ما فائدة الارتماء بين الاشواك ؟ ليتك ترددت اليوم . بلى ترددت . نعم ولكنك تشجعت عندما امرتك ، ليتك ترددت الى الابد .. خفت قسوتي ؟ لكني لم اكن لاقسو ، نعم ، ربما وبختك ، الكلب الاصيل يابى التوبيخ ، لن اوبخ كلبا منذ اليوم .

كان يتكلم بحدة ، وهو يجد السير ، والصور تتداعى في خاطره : اتذكر يوم الحجلة ؟ كنت في غاية الامانة ، بالرغم من قسوتي عليك ، كنا قد قضينا يوما وليلة على الطوى ، افليس من حقك ان تتبلغ بها ، اؤكد لك انك كنت شريفا في تصرفك ، ولولا اني اخاف ان تالف اكل الصيد ، ما قسوت عليك ، شان سائر الصيادين .. حسنا ، منذ اليوم ساحمل معي مؤونة يومين كاملين لك لابي ، وهذا ما لم افعله قط ، نعم ، ولن انسى الماء ، الصياد الاصيل يجب الا ينسى شيئا .

واحس بكتلة الكلب تثقل بين ذراعيه ، فتمهل ورنا الى الكلب قليلا ، ثم وضعه برفق على الارض بينما ابتعدت ميرة منه وظلت تراقب حركاته .

الرباط — مبارك ربيع

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تشييد مجموعة من المساجد في مراكز مهمة من الصحراء

في يوم 13 اكتوبر 1966 وصل الكاتب العام لقسم الشؤون الاسلامية بوزارة الاوقاف الاستاذ الحاج عبد الرحمن الدكالي الى اقليم ورزازات نيابة عن معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش بقصد تشييد عدة مساجد بهذا الاقليم ...

ولقد كان سعادة الكاتب العام مصحوبا في هذه الرحلة بالكاتب العام لعمالة الاقليم ، وقائد اكدز نائبا عن رئيس الدائرة ، وبعض الافراد المرافقين له حيث قصد الكل مركز « تاكنيت » ، بعد زيارة سريعة لمقر الدائرة حيث اقيم احتفال على شرف الكاتب العام . وحول الساعة الثالثة ونصف قصد الموكب الذي يتألف من جمهور غفير من عموم المواطنين مسجد « تاكنيت » الذي اديت فيه صلاة العصر .

وقد حضر الحفل الديني الرائع المشهود فضيلة القاضي والممثلون المحليون وعلية القوم ووجاؤها واعيانها .

وبعد الانتهاء من صلاة العصر القى فضيلة الاستاذ الحاج عبد الرحمان الدكالي درسا قيما ضمنه توجيهات وارشادات ترك السنة السكان تلهج بالثناء والعطر ، والدعاء للاسلام والمسلمين ، وحامي حمى الملة والدين امير المومنين مولانا الحسن الثاني نصره الله ، ولولي عهده سيدي محمد .

ورجع الموكب بعد توديع الحاضرين الى زاكورة التي وصلها مع الغروب ، وقصد على التو واللحظة فضيلة الكاتب العام للوزارة مسجدها العظيم

وقد وجد في استقباله بباب المسجد الممثلين المحليين والوجهاء والاعيان ، وكان المسجد غاصا بجمهور من المواطنين لايقدر ، حيث اكتظت رحابه بالمقرئين والمومنين ، قام بهم صلاة المغرب وبعد قراءة الحزب بأصوات خاشعة ، وقلوب مقشرة ، وعيون دامعة ، تصدر فضيلة الكاتب العام فالقى درسا وعظيا في الدين والاخلاق ، ومزايا الاسلام في التآزر والتناصر والمؤاخاة والنصح لله ولرسوله وللائمة المسلمين وعامتهم الى غير ذلك من التوجيهات التي عهدناها من فضيلة الاستاذ مما كان له اطيب الاثر في النفوس ، وقد اختتم هذا الحفل الديني الرائع في تضرع وابتهال الى الله العلي القدير ان يحفظ لهذا البلد الامين ملكه الساهر على دينه ومقدساته وامته وسعادته ، ويقر عينيه بصلاح ولي عهده ، ويتغمد بواسع رحمته المغفور له مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه ، وان يتولى امور المسلمين والاسلام بتدبيره وحكمته .

في زاوية تمكروت

وفي صبيحة يوم الجمعة 14 اكتوبر قصد الكاتب العام لقسم الشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج عبد الرحمان الدكالي هو وصحبه زاوية تمكروت التي حل بها ، وقد وجد سعادته الشرفاء الناصريون والممثلون المحليون والوجهاء والاعيان في استقباله .

والقى سيادته كلمة توجيهية في الحاضرين عبر فيها عن سروره وابتهاجه لوجوده في هذا الحفل السعيد ، وقد بلغهم تحيات جلالة الملك ورضاه ، وعنايته بالاماكن المقدسة الدينية كما حثهم على الالتفاف حول العرش العلوي المجيد .

زيارة المكتبة

كما قام الكاتب العام بزيارة المكتبة الناصرية ، فطاف باركانها واطلع على قائمة الكتب التي تضمها هذه المكتبة التاريخية الفريدة واثنى على قيمها الحازم الذي يرعى تلك الذخائر والاعلاق ، ويصونها ويرعاها ويحفظها من الضياع والبلى .

في الجامـع الكبيـر

ثم توجه سعادة الكاتب العام مع صحبه المرافقين له الى الجامع الكبير لاداء صلاة الجمعة ، وبعد الفراغ من الفريضة القى فضيلته درسا قيما في التفسيـر ، احيى في النفوس الولهى راقد الحياة ، وايقظ الارواح الغافية ، وبعث روح الايمان بالله وبرسوله والاحتماء بتقوى الله من امر بمعروف ونهي عن منكـر ؛ وعلى السمع والطاعة لاولياء الامر ، والالتفاف حول القائد الاعظم صاحب الجلالة نصره الله .

في مركـز اكـدز ...

وفي طريق عودته من ورزازات عرج على مركـز « اكـدز » فدشن بـه مسجـدا ، كما القى درسا توجيهيـا ....

تـدشيـن مسجـد الكرادسـة

كما انتدب معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش الاستاذ السيد محمـد الطنجـي رئيس قسم الوعظ والارشاد بالوزارة لتدشين مسجد الكرادسـة بقبيلـة شراكـة .

ففي يـوم الجمعـة 21 اكتوبـر الماضـي كـان موعدا لحفل دينـي كبيـر اقيـم بمناسبـة تدشيـن هذا المسجد ، وقد حضر حفلة التدشيـن عدة وفود من مدينـة فاس والناحية ، وموظفو نظارات الاحباس وهكذا تشكـل الوفد الفاسي المشارك في الحفل واتجه صوب قبيلة شراكـة حيث وصـل اليهـا حوالـي السـاعـة الثانيـة عشـرة زوالا .

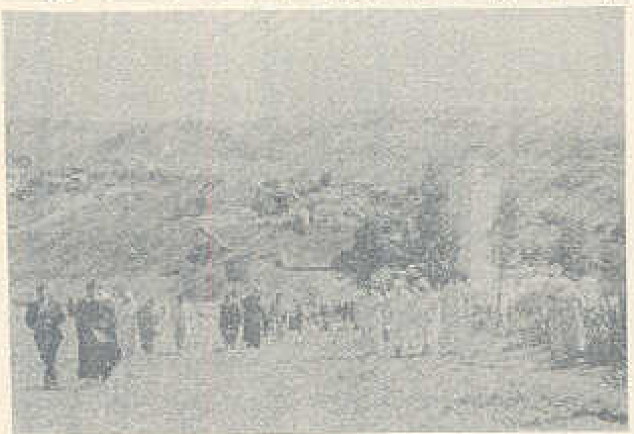
وانضم هذا الموكب ، الى موكب آخـر شـارك بدوره افـراد القبيلة فرحتهم بهذا الحفل الدينـي الرائـع .

وكان يتالف من السادة رئيس محكمـة قريـة ابا محمد الموحدة ، وفضيلـة قاضـي التوثيـق ، وبعض ممثلي السلطـة المحليـة ، واعضاء الجماعـة القرويـة ، واعيـان القبيلة ووجهائها ، وعلى الاثـر التحق الجميـع بالمسجـد لاداء فريضـة الجمعـة التـي تولى القاء خطبتهـا الفقيـه السيـد محمد الطنجـي .

وقد ركز موضوع الخطبة حول موضوع الحديث الشريف «من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة» كما بين من جهة آخرى الـدور الهـام الذي قام به المسجـد اثناء ظهور الدعوة الاسلامية حيث كـان



جمهور المومنين بقبيلة شراكة الذين حضروا الاحتفال الدينـي المشهـود بمسجـد الكرادسة . وقـد توسطهـم ممثـل الوزارة الاستاذ محمد الطنجي .



صورة تمثل المنطقة التي بني بها مسجـد الكرادسة بقبيلة شراكة . وقد غادر المومنون رحاب المسجـد بعـد اداء الصلاة ...

المومنـون يتدارسون مع النبي صلى الله عليه وسلم ويتشاورون معه في كل ما يعرض لهم من امورهـم الدنيويـة ، وما ينفعهم في امورهم الاخرويـة .

وعقب انتهاء الصلاة ، ارتجل الاستـاذ محمـد الطنجـي كلمة وجيزة استهلها بالدعاء لمولانـا صاحب الجلالة واعطى توجيهات دينيـة للحاضرين كمـا شكـر القبيلـة على عنايتها بالدين ، واهتمامها بكـل ما يتعلق باحـوال المسلميـن . وفي نهايـة الحفـل تليت سورة « انا فتحنـا لك فتحـا مبينا ليغفـر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » باصوات خاشعة ترحما على روح فقيـد العروبة والاسـلام جلالـة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثـراه .

كما توجه المومنـون الى الله العلي القديـر بالدعـاء الصالح لمولانـا اميـر المومنين وحامـي حمى

الملة والدين جلالة الحسن الثاني نصره الله ، واعز امره ولولي عهده سيدي محمد اصلحه الله ولكافة افراد الاسرة العلوية الكريمة .

المنجزات الفلاحية

نظرا لوجود عدة اراضي في جميع المملكة المغربية تحت تصرف وزارة عموم الاوقاف والتي يرجع تحبيسها الى الماضي ، حينما كان المسلمون يتنازلون عن بعض اراضيهم لفائدة المساجد والمدارس والمستشفيات والجمعيات الخيرية .

وبما ان القيام باستصلاح الاراضي الحبسية يعتبر من الواجبات الملقاة على عاتق الاوقاف لكونها وزارة تنتمي الى جهاز الدولة ، فتسدي دوما خدمات لاجل الصالح العام ، وبما انها تتحمل نفقات تتعلق ببناء واصلاح المساجد واداء رواتب الموظفين الدينيين القائمين عليها ، يتعين عليها ايجاد مداخيل كفيلة بسد هذه الحاجيات .

لاجل ذلك كله وقع الاهتمام باستصلاح هذه الاراضي، كما اجريت دراسات في الموضوع قد اسفرت عن النتائج الاتية :

بما ان كل استثمار ارض يرتكز على معرفة هذه الارض بالضبط ، فكان اول عمل تعين القيام به هو الاحصاء ، اي معرفة جميع اسماء الاراضي الحبسية ومساحاتها وحدودها وحالتها الفلاحية الخ .. الشيء الذي كان مجهولا فيما مضى .

وفي شهر ماي من سنة 1926 قررت وزارة الاوقاف بالتعاون مع وزارات المالية والفلاحة والداخلية القيام باحصاء عام لجميع الاراضي الحبسية ، فنظمت لهذه الغاية سلسلة من الدروس التوجيهية شارك فيها نخبة من موظفي النظارات قصد تزويدهم بجميع المعلومات الضرورية في هذا الميدان .

وقد اسفرت العملية الانفة الذكر والتي انتهت في آخر شهر شتنبر 1963 عن النتائج الاتية :

المساحة الكلية لجميع الاراضي الحبسية : 90 000 هكتار من ضمنها الاراضي المحتلة من طرف الجماعات والتي تكرى بثمن رمزي لايتعدى في غالب الاحيان 100 فرنك لكل هكتار اما مساحة هذه الاراضي فتقدر بـ 17 232 هكتار ، في حين ان مجموع القطع يقدر بـ 200 000 قطعة ، والشيء الذي تجدر الاشارة اليه هو ان 60 000 هكتار من الاراضي الحبسية لا تتعدى مساحة كل واحدة منها ربع هكتار كما انها توجد مبعثرة ومبعدة عن بعضها ، وهكذا يصير من العسير استغلالها حسب الطرق الحديثة المعمول بها ، اذ لا يمكن الاستفادة منها الا اذا تطورت عقلية الفلاحين المغاربة القاطنين فيها على وجه الكراء فتكون لديهم الرغبة الاكيدة في استعمال الاسمدة وتنويع المزروعات ، وشراء الالات الفلاحية الخفيفة .

التحفيظ :

حفاظا على هذه الثروة ، وبمجرد الانتهاء من عملية الاحصاء فكرت الوزارة في عملية التحفيظ ، فاجرت عدة محاولات لدى وزارة الفلاحة في موضوع اعفاء الاراضي الحبسية من اداء واجب التسجيل بالمحافظة ، هذه المحاولات التي اسفرت عن نتائج سارة حيث صدر ظهير شريف في هذا المضمار ، تعفى الاوقاف بمقتضاه من جميع الواجبات .

الاستغلال :

ان العادة الجاري بها العمل منذ قديم ، والتي ما زالت في حيز التنفيذ الى حد الان تتضمن اكراء الاراضي الحبسية عن طريق السمسرة العلنية الحرة مع الزام كل مكتر بتطبيق الشروط المنصوص عليها في دفتر الالتزامات ، الذي يضاف الى كل عقد ابرم في الموضوع ، وان تاكد للوزارة اجراء تلك السمسرة ان ارضا او اراضي حبسية لم تصل اثناء المزايدة المعنية بالامر الى واجب كرائها الحقيقي فانها تامر بايقاف البت فيها حتى تنظر في شان استغلالها بطرق اخرى غير طريقة السمسرة .

الاستثمار :

نظرا لتجزئة الاراضي الحبسية وابتعاد بعضها عن بعض ووجود الكثير منها في الشركة مع الغير اصبح استثمارها شيئا عسيرا ، فبرر التدابير الاتية المتنوعة التي اتخذتها الوزارة في الموضوع .

الطرق الاربعة التي تنهجها وزارة عموم الاوقاف لتحسين دخل اراضيها

اولا – اصلاح الاشجار القديمة باجراء عملية التجفين والتقليم والتسميد والسقي ، فكثير

من غابات الزيتون القديمة بفاس ومراكش وتارودانت ومكناس وصفرو وزرهون وبني ملال والصويرة وتازة مثلا ارتفع دخلها بنسبة تتراوح بين خمسمائة فى المائة وثمانمائة بعد ما وجهت اليها الوزارة كامل العناية حيث قامت على قدم وساق باصلاحها اصلاحا جذريا .

وتجري العمليات الانفة الذكر كل سنة بواسطة النواب والخبراء الفلاحين والعملة الاختصاصيين وكذلك المساقين الذين يتعاملون مع الاحباس فى هذا الميدان بمقابل نقدي يساوي نسبة مائوية من النتائج الفلاحية تتراوح ما بين السدس والثمن او نصف الثمن .

وتطبق نفس الاشغال الفلاحية على الاراضي الحديثة المهد بالغرس .

ثانيا : حرث الارض الكائنة بين الاشجار مرتين فى السنة لاجل التهوئة وازالة النباتات المضرة والاعشاب الطفيلية والاحجار .

ثالثا : حفظ الاراضي المنحدرة المعرضة للاتلاف تحت تاثير الامطار الغزيرة والمياه الفوضوية بواسطة الاشجار الغبوية .

رابعا : غرس اشجار الزيتون والفواكه فى الاراضي القليلة الانتاج .

تشتمل وسائل التشجير فى وزارة عموم الاوقاف على ثلاثة اساليب

اولا : تبرم عقود مع الفلاحين الراغبين فى تشجير الاراضي الحبسية على اساس نصيب من الارض والاشجار يقدر بالثلث يمنح لهم عند نجاحهم فى المهمة الملقاة على عاتقهم .

واذا اقتضى الحال ان يبقى المغارس مالكا فى الشياع مع الاوقاف فقد يمنح له زيادة عن نسبة الثلث سدس الغلة كمقابل للاشغال الفلاحية التي يقوم بها فى صالح الاوقاف .

ثانيا : تبرم عقود مع ادارة المياه والغابات تتكفل بمقتضاها هذه الاخيرة بتشجير الاراضي الحبسية واستيفاء ما قدمته من نفقات من نتائج بيع الغلال عند نضجها .

ثالثا : الغرس المباشر تقوم وزارة عموم الاوقاف فى كثير من الاحيان بتشجير **اراضيها مباشرة** تحت اشراف الناظر والنائب المحلي وبمعونة خبراء فلاحيين اختصاصيين تابعين للنظارة .

وهكذا انشات مزارع نموذجية فى جميع النواحي التي تتوفر على اراضي حبسية شاسعة وقابلة للتشجير فشيدت عليها بناءات وجهزت باجود الالات الفلاحية الضرورية فى هذا المضمار .

ولاجل تموين جميع منجزات الغرس من النقلات قد انشات مطارح فى كل من زرهون وقد تشتمل على 100 000 نقلة ومراكش وتشتمل على 120 000 نقلة من الزيتون وفاس وتشتمل على 60 000 نقلة وصفرو 50 000 فصار مجموع النقلات الى حد الان يقدر بـ 330 000 نقلة

نتائج التشجير منذ 1957

السنوات	المساحة	عدد الاشجار
1957	247,44	24.722
1958	622,60	218.500
1959	516,91	288.316
1960	444,50	247.417
1961	584,66	448.256
1962	1 094,02	529.016
1963	705,51	265.303
1964	963,89	164.130
1965	943,00	276.194
1966	449,52	67.391
	6 572,05 هـ	2.529.245

اما المساحات بنسبة الانواع وعدد الاشجار فتقدر كما ياتي :

الانواع	الاعداد	المساحة
الزيتون	461.333	3 952,65
اللوز	24.277	160,00
البرتقال	17.226	120,00
المشمش	10.949	79,50
الفواكه الاخرى	47.037	329,00
الكلبتوس	1.968.423	1 930,90
الجملة :	2.529.245	6 572,05هـ

والجدير بالملاحظة ان عدد القطع التي اجـرت للفلاحين على اساس المغارسـة بالثلث يقدر بـ 1598 قطعة صغيـرة كما تقدر المساحـة المخصصة لتشجير هذه الاراضي بـ 2390 هكتـارا في حين ان المساحة المغروسة من طرف ادارة المياه والغابات تقدر بـ 2000هـ اما مساحة الاراضـي المغروسـة مباشرة فتقدر بـ 2182،05هـ .

فبناء على الارقام المسجلة في الاضلاع المشار اليها آنفـا يتبين ان عدد الاشجار من انـواع الزيتون واللوز والكلبتوس والبرتقـال والشمش والداليـة والخروب المغروسة منـذ 1957 الى سنـة 1966 يقدر بـ 245 529 2 شجـرة وان المساحـة المعـدة لهذا الغرس تقدر بـ 6572،05هـ .

التجهيز بالوسائل الميكانيكيـة الحديثـة

لقد بذلت وزارة عموم الاوقاف جهودا جبـارة في ميدان تجهيز مزارعها بالوسائل الميكانيكية الحديثة كالجرارات والمحركات والمضخات والجيبات .. كمـا شيدت بناءات ضخمة لايواء هذه الادوات وكذلـك العملـة المكلفيـن باستعمالهـا .

الفوائد التي تجنيهـا البلاد مـن عملية التشجيـر

اولا ـــ رفع انتاج زيت الزيتون الذي يعتبر قليـلا في بلادنا بنسبة لدول اخرى اروبية كاسبانيا وافريقيا كتونس وامريكـة كالولايات المتحـدة .

ثانيـا ـــ رفع انتـاج مـادة الخشب بتعميم غـرس اشجار الكلبتوس والصنوبر في الاراضـي القليلة الانتاج الفلاحـي والمنحدرة .

ثالثا ـــ رفع انتاج الفواكـه في الاراضي السقوية

رابعـا ـــ رفع مستوى الفلاحين وتركيزهـم في البادية وذلك بمنحهم نصيـبا من الاراضي الجبسية التـي قاموا باستصلاحها بواسطـة الغرس في نطـاق مشـروع « المغارسـة » .



* شارك الاستاذ السيد عبد الله كنون في الدورة الثالثة للمؤتمر الاسلامي الذي عقد اخيرا في القاهرة . وقد نوهت الصحافة المصرية بالموضوع القيم الذي القاه الاستاذ كنون في هذا المؤتمر بعنوان « الحديث النبوي وقيمته العلمية والدينية »

* يصدر قريبا المجلد الخامس من موسوعة « تاريخ تطوان » للمؤرخ المعروف الاستاذ البحاثة السيد محمد داود ، وتشتمل هذه الموسوعة على عشرة اجزاء ، كما انهى الاستاذ المذكور كتابا يقع في ثلاث مجلدات عن الامثال المغربية ومقارنتها مع الامثال العربية ، وينوي الاستاذ داود تقديمها للطبع ، كما ان له مخطوطا بعنوان « على راس الاربعين » سيقدمه للطبع كذلك .

* كان للندوة التي عقدها التليفزيون المغربي اخيرا مع الدكتور رمزي ، رئيس قسم الجراحة لمستشفيات مراكش في موضوع « التخطيط العائلي » اثرها الكبير في نفوس النظارة ، لما انطوت عليه اجابات الدكتور من تركيز ، واطلاع واسع شامل في هذا الموضوع ، وذلك بلغة عربية سليمة . نهنىء الدكتور على هذا النجاح الذي احرز عليه .

* عاد الاستاذ السيد عبد العزيز بن عبد الله ، رئيس المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، التابع للجامعة العربية بالرباط من رحلته الثقافية التي قام بها الى بعض عواصم الدول الاسيوية .

* ستنظم المكتبة العامة بتطوان معرضا للصحافة المغربية في ماضيها وحاضرها .

* في مدرج كلية الاداب بالرباط دشن افتتاح الموسم الدراسي الجامعي بحضور اساتذة الكليات والطلبة الجامعيين ونخبة من المثقفين وبعض رجال السلك الديبلوماسي تكلم فيه الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس ، الذي استعرض نشاطات الجامعة واقسامها . خلال السنة المنصرمة ، كما القى الاستاذ محمد عزيز الحبابي ، عميد كلية الاداب ، درسا افتتاحيا بهذه المناسبة.

* بمناسبة الذكرى العشرينية لليونسكو ، اقام مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية لليونسكو بالرباط في الفترة 7 و14 اكتوبر من هذه السنة معرضا للصور الثابتة عن مجهودات هذه المنظمة في العالم العربي والافريقي .

* من منشورات دار الكشاف للنشر والطباعة في بيروت صدر « الفجر الكاذب » وهو مجموعة قصص مغربية تأليف الاديب المغربي الاستاذ احمد عبد السلام البقالي .

* صدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي ، العدد الثامن من مجلة «البحث العلمي» شارك فيه الاساتذة : الناصر الفاسي ، الدكتور محمد المشاط ، الدكتور ابن الماحي الوزاني ، عبد المالك جسوس .

* صدرت مؤخرا في لبنان الطبعة الثالثة من كتاب « شلال الاسود » للسيد محمد الصباغ . طبعته الاولى صدرت في تطوان ، والثانية في تونس .

* « مدخل لدراسة الفلسفة » عنوان كتاب صدر حديثا بالمغرب لمؤلفيه مصطفى القباج ، ومحمد عباس نور الدين .

* صدر للاستاذ الكبير علال الفاسي كتاب جديد بعنوان « دفاع عن الشريعة » .

* يقوم الاستاذان سعيد اعراب وعبد السلام الهراس بتحقيق مخطوطة « درر السمط ، في اخبار السبط » لابن الابار .

* قدم صديقنا الاستاذ السيد عبد السلام الهراس دراسة وتحقيق لديوان ابن « الابار » عن اصل مخطوط نادر بكلية الاداب بمدريد كرسالة لدكتورة الدولة .

وقد نال درجة بميزة « امتياز » بالاجماع، وبهذه المناسبة احرز على دكتورة الدولة .

تهانينا للدكتور عبد السلام الهراس .

* عقدت في الرباط ما بين 11 و14 اكتوبر الماضي مناظرة لدراسة قضايا التخطيط العائلي ، تحت رعاية وزارة الصحة .

* سيصدر قريبا عن دار «العلم» كتاب للمرحوم مصطفى الصباغ ، مشتملا على منتخبات من آثاره الادبية التي كان ينشرها في جريدة « العلم » رحم الله الفقيد ، آملين لهذا الكتاب رواجا ، وبعد صدى .

* صدرت في تونس مجلة بعنوان « قصص » وتصدر كل ثلاثة شهور .

* قررت وزارة الاعلام والثقافة الليبية شراء الف نسخة من كل مؤلف ليبي يتولى طبع ونشر كتابه على نفقته الخاصة ، وستقسم الكمية بين المؤلف والناشر في حالة قيام ناشر ليبي بنشر الكتاب .

* اهدى المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في الجمهورية العربية المتحدة الى اندونيسيا 1 000 نسخة من القرآن الكريم . وقد قدم السيد توفيق عويضة الامين العام للمجلس هذه الهدية للسيد احمد شيخ رئيس البرلمان الاندونيسي الذي يحضر في القاهرة المؤتمر الثالث لعلماء الاسلام .

* اقيم معرض للكتاب في بون شاركت فيه الجامعة العربية ممثلة للدول العربية جميعها بمجوعة من الكتب كما شاركت فيه بعض دور النشر العربية من بيروت . وشاركت 51 دولة اخرى مثلتها 1681 دار نشر . ضم المعرض 100 الف كتاب في العلم

* مذكرات الشاعرة السيدة نازك الملائكة اخذت طريقها الى النشر في الملحق الادبي الذي تصدره جريدة الاهرام ، علما بان تلك المذكرات تطبع على شكل كتاب في الوقت نفسه في القاهرة . وتضمنت تلك المذكرات خواطر وآراء الشاعرة في الكثير من القضايا الادبية والفكرية .

* « الامثال العامية في البلاد العربية » سيطبعها المجمع اللغوي بالقاهرة في كتاب من اعداد محمد البقلي .

* ستترجم روايتا نجيب محفوظ « بداية ونهاية » «زقاق المدق» الى الانجليزية بناء على قرار لجنة الترجمة في مجلس الفنون بالقاهرة .

* صدر بالقاهرة الحكم في القضية الادبية التي اثارت ضجة عالية واستمرت خمس سنوات . انها قضية ديوان ابراهيم ناجي الذي اصدرته وزارة الثقافة وظهرت فيه 17 قصيدة ليست من شعر ناجي وانما هي من شعر الدكتور كمال نشات .

* لجنة نشر المخطوطات العربية التي تكونت برئاسة الدكتور محمد مرسي احمد مدير جامعة عين شمس بالعربية المتحدة وعضوية الدكتور احمد عزت عبد الكريم وكيل الجامعة ستشترك مع قسم اللغات الشرقية بجامعة موسكو في دراسة المخطوطات العربية . ستقوم اللجنة باعادة طبع المخطوطات بعد تحقيقها .

* تقوم وزارة الاوقاف في العربية المتحدة باعداد معجم لموضوعات القرآن الكريم واطلس جغرافي يشتمل على خرائط للاماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وعمل دائرة معارف قرآنية مزودة بالفهارس استكمالا للمكتبة القرآنية التي وضعها الاولون من تفسير للقرآن الكريم وشرح معانيه .

وقد قررت الجماعة العامة لحفظ القرآن الكريم اعداد مشروع بوضع فهرست موضوعي للقرآن الكريم يرتب الآيات حسب الموضوعات التي تتناولها بدون تقيد بالسور .

* كتاب « تاريخ الادب العربي » للمستشرق الالماني كارل بروكلمان «ت 1956» شرعت الجامعة العربية في اكمال ترجمته الى العربية ، التي صدر منها ثلاثة اجزاء ثم توقفت لوفاة المترجم عبد الحليم النجار . وقد عهدت الجامعة الى احمد الساداتي ان يقوم بترجمة بقية الكتاب تنشره دار المعارف .

* صدر في كتاب الهلال « دراسات في الحب » تأليف يوسف الشاروني .

* الجائزة الاولى في مسابقة الشعر التي ينظمها مجلس الفنون بالقاهرة بين الشباب فاز بها محمد غريب سكرتير لجنة المسرح في مجلس الفنون .

* يعكف الاستاذ مصطفى علي على اعداد بحوثه الاخيرة عن شاعر العراق الرصافي ، ومن الجدير بالذكر ان الاستاذ مصطفى علي كان قد اصدر كتابه الاول عن الرصافي منذ سنوات .

※ صدر الى الاسواق مؤخرا كتاب « تاريخ علماء سامراء» » من تاليف الشيخ يونس ابراهيم السامرائي ويقع الكتاب في 116 صفحة من القطع المتوسط تضمنت حياة عدد كبير من رجال الدين والعلماء في مدينة سامراء .

※ «الفعل زمانه وابنيته » كتاب جديد اصدره الدكتور ابراهيم السامرائي رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب ببغداد وقد ساعدت جامعة بغداد على نشره .

※ صدر كتاب « الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية » تاليف جي.تي. كرونباوم وترجمة الدكتور صدقي جمدي .

※ مخطوطات الموسيقى العربية في العالم ــ القسم الاول « مخطوطات ايران » عنوان الكتاب الجديد الذي اصدره الاستاذ زكرياء يوسف .

※ سيصدر قريبا الجزء الثالث من « موسوعة العتبات المقدسة » والتي يشارك في اعدادها عدد من المختصين في العراق . ويشرف على اصدار هذه الموسوعة الاستاذ جعفر الخليلي .

※ صدر مؤخرا ديوان شعر شعبي بعنوان « قراكين الهوى » للشاعر الشعبي ابي ضاري .

※ صدر مؤخرا كتاب « القصص في العصر الاسلامي » تاليف الاستاذ عبد الهادي الفؤادي .

※ صدرت الطبعة الثانية من كتاب « خطوط الطول والعرض وحساب الوقت » من تاليف الاستاذ عبد الرزاق الشماع .

※ اصدر قسم الفلسفة بجامعة بغداد العدد الاول من مجلته «الفكر الجديد » باشراف جعفر آل ياسين

※ تقرر افتتاح جامعة الكويت في هذا الموسم وستضم في اول عهدها ثلاث كليات هي : الاداب ، العلوم ، التربية . بالاضافة الى كلية البنات التي ستدرس فيها هذه الفروع وتضم الجامعة الان 43 استاذا متخصصا .

※ صدرت ببغداد الكتب التالية « الجزء الثاني من ديوان عبد القادر رشيد الناصري » جمعه وقدم له هلال ناجي ، وعبد الله الجبوري ، « العملة الاسلامية في العهد الاتابكي » لمحمد الاتابكي ومحمد باقر الحسني . « اللهب المقفى » ديوان الشاعر حافظ جميل . « مدارس بغداد في العصر العباسي» لعماد عبد السلام رؤوف « عثمان الموصلي الموسيقار الشاعر المتصوف » للدكتور عادل البكري « من شعرائي المنسيين » لعبد الله الجبوري « رجال السيد بحر العلوم ، بالفوائد الرجالية » تحقيق محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم « البصرة العظمى لسليمان فيضي » «شعراء من الناصرية» ويتضمن شعر ثلاثة شعراء من عناية الحسيناوي وفاضل السيد مهدي ، وعبد الخالق العطار ، « المتشابه من القرآن » لمحمد على حسن الحلي .

※ انتهى في بغداد عبد الله جمال الدين من تحقيق كتاب « سيرة الامام المستنصر » للمؤرخ ابن الساعي البغدادي والنسخة التي حققها موجودة في خزانة الاستاذ مكرمين في استنبول .

※ انتهى عزيز جاسم الحجية من وضع كتاب بعنوان « بغداديات » تضمنت فصوله تسجيل لمظاهر الحياة الشعبية في بغداد منذ الطفولة حتى الممات .

※ مخطوطة « نخبة الشارب ومجالة الراكب » لنظام الدين الاصفهاني انجز تحقيقها الدكتور كمال الشيبي وهي اقدم ديوان شعري في الرباعيات ويحتوي على 500 رباعية مع تعليق المترجم عليها. وسيصدر قريبا في بغداد .

※ من الكتب الجليلة التي صدرت مؤخرا كتاب « لمحات من تاريخ الطب القديم » تاليف الدكتورة آمنة صبري مراد مديرة مستشفى الحريري ببغداد الذي نشرته مكتبة النصر الحديثة بالقاهرة وقدمه الدكتور محمد طلعت استاذ الفسيولوجيا بكلية الطب في جامعة القاهرة .

※ قامت مكتبة المثنى مؤخرا باعادة طبع كتاب « رسائل ابي العلاء المعري » بالافست عن النسخة المطبوعة في المطبعة المدرسية في مدينة اكسفورد سنة 1798 قام بتحقيقه ونشره المستشرق الانكليزي مرغليوث .

※ صدر عن دار البصري ببغداد كتاب «العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران » تاليف شاكر صابر الضابط .

※ صدر عن الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية في الكاظمية بالعراق ، مجلة شهرية فكرية جامعة باسم «البلاغ» وهي حافلة بالابحاث والموضوعات

والقصائد باقلام نخبة من الكتاب في اخراج انيق .

* منعت 13 مجلة لبنانية من دخول العراق « لنشرها مواضيع وصورا تنافي الاداب العامة » وهي : الهلال ، النور العربي ، اسبوع بيروت ، الحسناء ، دنيا الكواكب ، الراي العام ، الليالي ، العالم العربي الفن ، السينما ، الوعد ، كوكتيل ، والعروسة .

* صدرت ببغداد الكتب التالية : « رماد الفجيعة » ديوان شعر لسامي مهدي « تراثنا الفلسفي حاجته الى النقد والتمحيص » للفقيد الشيخ محمد رضا الشبيبي . ومن مطبوعات المجمع العلمي العراقي « دور العلاج والرعاية في الاسلام » لسعيد الديوجي مدير متحف الموصل «معجم المطبوعات النجفية منذ دخول الطباعة الى النجف حتى الان لمحمد هادي اميني تضمنت الاشارة الى اكثر من 1800 مطبوع « ظلال الغاب » ديوان شعر لعبد الصاحب ياسين « كيف تستخدم المكتبة» ترجمة بتصرف السيد اياد جعفر مرزة امين المكتبة الوثائقية بوزارة التربية ببغداد .

* يطبع الان في احدى مطابع لبنان ديوان الشاعر العراقي الحاج عبد الحسين الازري ، ومن المتوقع صدوره خلال فترة قريبة .

* عن دار الاداب في بيروت يصدر قريبا « اصول الدافع الجنسي » لكولن ولسن ترجمة يوسف شرورو . و «الارض يا سلمى » مجموعة قصص يمنية تاليف محمد عبد الولي .

* عن دار المكتبة العصرية في بيروت يصدر قريبا « انتفاضة قلب وقصص اخرى » للقاصة العراقية سهيلة داود سلمان و « طريق المجتمع » للباحث العراقي الدكتور عبد الجليل الطاهر . «الامبراطورية البيزنطية» للباحث العراقي الدكتور عبد القادر احمد اليوسف « في نقد القصص العراقي» للاديب الباحث العراقي الدكتور علي جواد الطاهر .

* من منشورات « دوار الاداب » في بيروت سيصدر ديوان شعر جديد بعنوان « النار والطين» للشاعر راضي صدوق .

* يصدر قريبا الديوان الرابع للشاعر فدوى طوقان وسيحمل عنوان « امام الباب المغلق » .

* « صلاح لبكي شاعر الجمال » عنوان الكراس الذي اصدره رياض فاخوري ، وهو محاضرة كان قد القاها في مدينة النهضة ببيت شباب بلبنان . ويضم الكراس عدا المحاضرة قصيدة بعنوان « فلسطين » .

* عن منشورات عويدات في بيروت يصدر قريبا « تاريخ السينما في العالم » لجورج سادول ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني مع مقدمة من المؤلف للطبعة العربية « تاريخ الرواية الحديثة » لالبيريس ترجمة الاديب السوري جورج سالم . المجلد الرابع من موسوعة « تاريخ الحضارات العام » .

* الدكتور جورج طعمة صدر له عن دار الثقافة في بيروت الطبعة الثانية من كتابه « تكوين العقل الحديث) والكتاب في جزاين صدرت طبعته الاولى منذ سبع سنوات . والدكتور جورج طعمة الذي كان وزيرا للاقتصاد السوري له ايضا كتاب آراء جيفرسون الحية » و « فلسفة لايف ينز » .

* « سنابل القمح » مجموعة تضم عشر قصص لاميل يوسف عواد صدرت في بيروت . ومما يذكر ان المستشرق الفرنسي ميشيل باربو ترجم الكثير من قصص اميل يوسف عواد الى الفرنسية وربما صدرت له في باريس في الموسم المقبل مجموعة من قصص المترجمة .

* الشاعر روبير غانم تصدر له خلال الشهر الجاري في بيروت مجموعته الشعرية الاولى وعنوانها « سنوات الحزن) .

* الشاعرة اللبنانية نللي جدعون ، فازت بجائزة ادغارتو عن ديوانها الشعري باللغة الفرنسية « على وقع الهنيهة » وقد منحتها هذه الجائزة مؤسسة الشعر الفرنسية في باريس ، وكانت نللي قد اهدت هذه المؤسسة نسخة من ديوانها

* صدر حديثا عن دار المكتبة المصرية ببيروت « انف وثلاث وعيون » قصة طويلة لاحسان عبد القدوس . والمجلد الاول من « المثنوي » للشاعر الصوفي جلال الدين الرومي ترجمه عن الفارسية الدكتور عبد السلام الكفافي عميد كلية الاداب في جامعة بيروت العربية . وسيصدر الكتاب كاملا في ست مجلدات .

* يصدر قريبا عن دار الاداب ببيروت « مذكرات بن بلا) كما املاها روبير ميرل .

✻ صدر فى منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت كتاب بولس سلامة « خبز وملح » : وهو الكتاب الحادي عشر من مؤلفات الشاعر بولس سلامة .

✻ « خان الطريق » رواية جديدة لخضر نبوة صدرت فى بيروت .

✻ « الحقد الاسود » للاديب العراقي الدكتور شاكر خصباك صدر فى بيروت .

✻ الهيئة المشرفة على طبع معجم المنجد للاب لويس معلوف اليسوعي قد رفعت كلمة « الخليج » منه وذلك رفعا للنزاع بين العرب وايران .

✻ اصدرت مكتبة دار الحياة بيروت كتابا عن الزهاوي ، يضم اغلب مقالاته التي سبق ان نشرها فى مجلة «الهلال» ومجلة «المقتطف» الى غير ذلك من المقالات التي كتبت تأبينا للشاعر الزهاوي. وقد قام بجمع تلك المواد الاستاذ عبد الحميد الرشودي .

✻ صدر عن دار الثقافة فى بيروت ديوان الشاعر « ديك الجن الحمصي » وقد قام بجمعه وتحقيقه الدكتور احمد مطلوب والاستاذ عبد الله الجبوري ويقع الديوان فى «206» صفحات من القطع الكبير .

✻ اقامت وزارة الثقافة والارشاد فى المركز الثقافي العربي بدمشق ندوة قومية موضوعها « الامير عبد القادر ونضال الشعب العربي فى الجزائر » اشترك فيها الدكتور نور الدين حاطوم رئيس قسم التاريخ بجامعة دمشق وعلي بن محمد من الجزائر ، والشاعر السوري صالح درويش .

✻ احتفلت الجامعة الاردنية فى عمان لاول مرة فى تاريخها القصير بتخريج الدفعة الاولى من طلاب كلية الاداب فيها . وقد اقيم لهذه الغاية حفل كبير تحت الرعاية الملكية ووزعت فيه الشهادات على المتخرجين والجوائز للمتفوقين .

✻ رابطة العالم الاسلامي فى مكة المكرمة ستصدر جريدة اسبوعية باسم « اخبار العالم الاسلامي » لتستطيع ان تمد نشاطها الاسلامي فى سرعة نقل اخبار العالم الاسلامي وخدمة التضامن الاسلامي على نطاق واسع .

✻ ثلاث مجلات جديدة منح امتيازها فى السعودية هي « العرب » الشيخ حمد الجاسر و « القبس » لمحمد حسين زيدان و « كلمة الحق » لاحمد عبد الغفور عطار .

✻ كتاب « ثورة 1952 وسقوط السيطرة البريطانية فى مصر » للكاتب السوفياتي كورد جيلا شفيلي » آخر ما كتب عن الثورة المصرية باللغة الروسية يقوم بترجمته الان فى القاهرة رضوان ابراهيم .

✻ الشاعر السعودي عبد السلام هاشم حافظ يصدر له قريبا ديوان شعر جديد بعنوان « ترانيم الصباح » وكتاب عنوانه « الامام ابن تيمية » الذي فاز بجائزة وزارة المعارف السعودية فى الماضي . كما اعد للطبع كتابا عنوانه « كيف تكون انسانا مثاليا » .

✻ اعلن وزير الاعلام السعودي الشيخ جميل الحجيلان اعتزام وزارة الاعلام اصدار كتب اعلامية جديدة عن نهضة المملكة فى جميع المجالات .

✻ قررت ادارة الافتاء فى السعودية ارسال دعاة للتبشير بالاسلام فى الهند وافريقيا .

✻ الهند ستصدر كتابا من 300 مجلد يضم كل ما قاله او كتبه غاندي ويصدر بمناسبة مرور 100 سنة على ميلاده .

✻ افتتح فى جامعة كاتان فى صقلية معهد دولي لدراسة البراكين وابحاثها بمقتضى اتفاق وقع بين اليونسكو والمجلس الايطالي للابحاث الذي يشترك بنصيب مماثل فى تكاليف هذا المعهد وفى نفقات تجهيزه بالمعدات العلمية الحديثة .

وسيفتح المعهد ابوابه امام الباحثين من مختلف البلاد كما انه سيعمل على تخريج الباحثين من الشباب .

✻ اعلن فى اليونسكو انه وقع الاختيار على الاستاذ يوجين رابينوفيتش رئيس تحرير مجلة « العلماء الذريين » لنيل جائزة كالينجا الرابعة عشرة . تقديرا لجهوده فى تبسيط العلوم .

وجائزة كالينجا هذه سنوية قيمتها 1000 جنيه استرليني تقدمها اليونسكو بناء على منحة افردها بيجويا ناند باتنيك احد رجال الصناعة الهندية واحد المشتركين في ادارة مؤسسة كالينجا نسبة الى الامبراطورية التي اسسها « اسوكا » في الهند منذ اثنين وعشرين قرنا .

* انتهت الان اعمال المؤتمر التاسع والعشرين للتعليم العام الذي عقدته اليونسكو بالاشتراك مع المكتب الدولي للتعليم في جنيف . وشهد هذا المؤتمر مندوبون عن 90 دولة بلغ عددهم 360 مندوبا وكان من بينهم 18 وزيرا للتعليم الى جانب عدد كبير من رجال التدريس والتربية وعلم النفس .

وتضمن جدول اعمال المؤتمر نقطتين رئيسيتين هما : تنظيم شؤون الابحاث التربوية وايفاد الاساتذة الى الخارج .

* ظهر مؤخرا الكتاب الاول في السلسلة التي تصدرها اليونسكو بعنوان « مقدمة للاداب الشرقية » اما الكتاب نفسه فعنوانه « مقدمة للاداب العربي » كتبه الاستاذ جاستون فيت عضو المعهد .

والكتاب موجه الى الجمهور العام ، ومكتوب على نحو مبسط شامل ، وهو يتالف من احد عشر فصلا تقدم الى الجمهور العام ، مراحل الادب العربي منذ بدايته الى ايامنا هذه فتناول الادب الجاهلي ، او العباسي ثم تفكك دولة الخلفاء ، وعهد استيلاء المغول على بغداد ، ثم العصور الحديثة « من القرن الثالث عشر الى القرن الثامن عشر » ثم النهضة العربية « التاسع عشر وبداية القرن العشرين » وفترة بين الحربين ثم الاتجاهات والمدارس الحديثة

* تم التعاقد بين منشورات عويدات ببيروت وعبد اللطيف شرارة على ترجمة مذكرات الجنرال ديغول الى اللغة العربية . ومما يذكر ان صاحب الدار قد تلقى شخصيا موافقة المؤلف والناشر على ترجمة هذا الكتاب واصدره على ان ترسل اصول الترجمة العربية الى الجنرال ديغول قبل الطبع للاطلاع عليها .

* صدر في موسكو كتاب بعنوان « الفكر الفلسفي والاجتماعي الحديث في بلاد الشرق » كتبته مجموعة من المستشرقين السوفييت .

* جاء من لاهور ان فريقا من الفنانين الباكستانيين سيشرعون قريبا بكتابة القرآن بخيوط من الذهب الخالص . وسيعدون 3 نسخ فقط تكلف الواحدة منها 1900 دولار وستوضع في عاصمة باكستان الجديدة والاخريان ستحفظان في كل من مكة المكرمة ، والمدينة المنورة .

* بيرل باك الكاتبة الامريكية حاملة جائزة نوبل ومؤلفة رواية « الارض الطيبة » عن الصين ، صدر لها كتابها رقم سبعين عنوانه « من اجل سماوات ارحب » .

* اصدرت جامعة هارفرد كتابا عنوانه « دراسات عربية اسلامية » ، وذلك بمناسبة بلوغ المستشرق الانكليزي الشهير « هاملون كب » السبعين من عمره .

* ظهر في الولايات المتحدة كتاب عنوانه : « نمرود وبقاياها » وهو بمجلدين للمؤلف الشهير « مالاون » لقد ظل « الاستاذ مالاون » ينقب في نمرود مع اكثر من بعثة بين عام 1949 و 1963 ,وقضى سبعة اعوام في تحضير كتابه هذا الذي يعتبر من اروع ما نعرف عن هذه المدينة التي شهدت اوج مجدها ايام ثلاثة من اعظم ملوك اشور ناصر بال الثاني وابنه شلما نصر الثالث واسر حدون ، وعانت بعد هذا كثيرا من الامزات والمحن حتى فتحها البابليون والميديون وقضوا على الامبراطورية الاشورية عام 612 ق.م. ان الكتاب يضم 594 صورة ومخططا وخارطة .

* في مدينة نيويورك عقد المؤتمر الرابع والثلاثون لنادي القلم الدولي ، وهو اكبر اجتماع حدث في حياة تلك المنظمة الثقافية منذ ان تم تكوينها في اكتوبر عام 1921 في لندن . حضره اكثر من 600 من الادباء والكتاب اكثر من نصفهم كانوا يمثلون بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، ومن بين الشخصيات الادبية الكبيرة التي ظهرت في هذا الاجتماع وساهمت في اعماله الكاتب المسرحي الامريكي آرثر ميلار رئيس المنظمة ، والكاتب روجيه كابوا رئيس القسم الادبي في منظمة اليونسكو ، وسلوني عميد كتاب الرواية في ايطاليا ، وبابلونيرودا الشاعر الشيلي .

* تقوم جامعة الاريزونا بالولايات المتحدة ، باعداد قائمة علمية تحصر كل الابحاث الجغرافية الجارية والتي تم اجراؤها في مجال البيئات الصحراوية ستوفر هذه القائمة كل المعلومات عن صحارى الدنيا جميعها باستثناء الصحارى الباردة ، فتورد

الحقائق عن مختلف المواضيع العلمية فيها سواء من حيث التربة والحياة النباتية والحيوانية والمناخ والطقس والتقسيمات الجغرافية وكل ذلك . وتقرر اصدار هذا المصنف العلمي فى نهاية هذه السنة

* طالب مواطن انكليزي مؤخرا بان يفتح قبر شكسبير للتوصل الى معرفة شكل ملامحه ، وفيما اذا كان مديد القامة ام قصيرا عريض الجبهة ام ضيقها . ومن الجدير بالذكر انه لا يوجد فى الوقت الحاضر اية صورة لشكسبير يمكن الاعتماد عليها باعتبارها رسمت عن وجهه الحقيقي ، واهم الصور الموجودة تخطيط محفور ظهر فى المجلد الاول الذي ضم اعماله والذي طبع بعد وفاته بسبعة اعوام .

* اعلن المتحف البريطاني عن انجازه لمرجع يعد اضخم مرجع فى العالم ويتالف من 263 مجلدا لمجموعة الكتب فى المتحف . وقد بيعت جميع النسخ من هذا الدليل وعددها 750 نسخة لحوالي 40 بلدا بينها الصين ، والاتحاد السوفياتي ، والولايات المتحدة . واستغرق وضع هذا الدليل الذي يتضمن شرحا عن اربعة ملايين كتاب ويتالف كل مجلد منه 500 صفحه .

* اصدرت دار اوكسفورد للنشر فى بريطانيا كتاب « لورنس ــ وجهة نظر عربية » تاليف الكاتب الاردني سليمان موسى ، وكان هذا الكتاب قد نشر اصلا عام 1962 فى الاردن بعنوان « لورنس والعرب » ثم عمل مؤلفه على ترجمته الى اللغة الانكليزية وقد اثار الكتاب عند صدوره نقاشا فى الصحف البريطانية والامريكية واستحوذ على اهتمام النقاد الذين كان من بينهم المستر انتوني ناتنج الوزير البريطاني السابق . وسبب الاهتمام ان هذا الكتاب هو اول كتاب من نوعه بقلم مؤلف عربي يعالج الموضوع من زاوية جديدة تختلف عن الكتب الكثيرة التي وضعها مؤلفون غربيون. وقد اعتمد المؤلف على مصادر عربية لم يتطرق المؤلفون الاجانب اليها ، كما اعتمد على رجال بارزين احياء شاركوا فى الثورة العربية الكبرى وعرفوا لورنس امثال نسيب البكري ، وفائز الغصين ، وعوني عبد الهادي ، والامير سعيد الجزائري ، والامير زيد بن الحسين . ولم تمر ثلاثة اسابيع على صدور الكتاب فى لندن حتى ابلغت دار النشر المؤلف انها قررت اصدار طبعة ثانية منه فى الولايات المتحدة . ومن المقرر ان تصدر الطبعة الثانية .